# وَقَفَاتٌ وتَأَمُّلَاتٌ

## مَعَ آيَاتٍ مِن كِتَابِ اللّهِ العَزِيز

الجزء الثاني

من سورة التوبة حتى نهاية سورة القصص

عبد المنعم مصطفى حليمة

أبو بصير الطرطوسي

# وَقَفَاتٌ وتَأَمُّلَاتٌ مَعَ آيَاتٍ مِن كِتَابِ اللهِ العَزِيز

عبد المنعم مصطفى حليمة

" أبو بصير الطرطوسي "

بسم الله الرحمن الرحيم

## وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ

1- [ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ]؛ المحارِبين، [ اسْتَجَارَكَ ]؛ طلبَ جوارَ المؤمنين وأن ينزلَ آمناً في دِيارِهم، وهذا مِن لوازِمه أن يتخلَّى عن صفةِ المحارَبَةِ، [ فَأَجِرْهُ ]؛ فليجيرُوه وليؤمِّنُوه .. وليُحْسِنُوا معامَلَتَه .. وأيُّ مسلم له الحقُّ في أن يُجيرَ ويؤمِّنَ مَن شاءَ من غيرِ المسلمين، وفي زمَانِنا الفيزَا المتعارَف عليها بين جميع الدول والشُّعُوبِ، التي يحصَل عليها الزائرُ، تقومُ بهذا المقَامِ، وتحققُّ هذا المعنَى، [ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ]؛ حتَّى يَسمعَ القُرآنَ الكريم، ويتعرَّفَ على أحكامِه وشرائعِه .. ففي بلدِه ومَقرِّ إقامتِه قد يصلُه الإسلامُ، والخطابُ الشرعي بصورةٍ مشوَّهةٍ وخاطئةٍ، تُعطيه تصوراً خاطئاً عن القرآنِ، وعن الإسلام .. لِذَا ينبغي أن يُفتَحَ له البابُ لو أرادَ أن يزورَ بلداً مُسلماً .. فإن تحقَّقَ له ذلك .. وأرادَ أن يُنهي زيارَته والجوارَ الذي طلبَه .. وانتهَت مدةُ إقامتِه، وأراد أن يعودَ إلى موطنِه الذي جاءَ مِنه، [ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ]؛ فأنت يا مسلم مطالبٌ بحمايتِه ومسؤولٌ عنه وعن سلامتِه ما دامَ في بلدِك وموطِنِك، إلى أن يعودَ ويبلغَ موطِنَه الآمِن الذي جاءَ مِنه .. والسببُ في هذه المعامَلَة، [ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ]التوبة:6. لا يَعلمون حقيقةَ القُرآنِ، والإسلامِ .. وما يعلمونَه عن الإسلامِ وهم في موطنِهم الأصلي قد لا يكونُ صحيحاً .. ولعلَّهم في زيارَتِهم لبلادِ المسلمين يتحقَّقُ لهم ما كانُوا يجهلونَهُ، ويتعرَّفُون على حقيقةِ الشبهات التي يثيرها إعلامُهم المغْرِض حولَ الإسلام .. وقد وجدنا كثيراً من السائحين الزائِرين في زمانِنا قد دَخَلُوا في الإسلامِ، بسببِ زيارَتِهم لبلدٍ مُسلمٍ، وما رأَوه مِن المسلمين، وسمعُوه عن القُرآنِ، والإسلامِ.

* * * * *

## كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً

2- [ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ]؛ إذَا كانَت لهم الغَلَبَةُ، والكلمةُ العُليَا .. لَا يُراعُون في المؤمنِين حَقَّاً لقرابَةٍ، ولَا لجوَارٍ، ولَا لمواطَنَةٍ .. كما أنَّهم لَا يُراعُون فِيهم عَهْداً، ولَا مِيثَاقاً قَد قَطَعُوه لهم .. وظَهَرت مِنهم العداوةُ والبَغضَاءُ .. وحَرَمُوهم مِن حقُوقِهِم .. وإذَا كانَت الغَلَبَةُ للمؤمنِين، والكلمَةُ العُلْيَا لهم، [ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ ]؛ لَانُوا بألسنَتِهم، وقالُوا للمؤمنِين بأنَّهم إخوَانٌ وأحبَّاء بالإنسانيَّةِ، والمواطَنَةِ .. وسَألُوهم كامِلَ الحقُوق؛ مَا يحقُّ لهم، ومَا لَا يحقُّ، [ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ ]؛ إلَّا أن تمتلئ غَيظاً وحِقداً، وكراهيَةً للمؤمنِين، فألسِنَتُهم في وادٍ، وقلُوبُهم في وادٍ آخَر .. يَنتظرُون فرصَةً سانحةً للغَدْرِ، ولنقْضِ العُهُودِ والمواثِيقِ، [ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ]التوبة:8. يَنقضُون العُهُودَ والمواثِيقَ عِند أوَّل فُرصَةٍ تَسمحُ لهم بذلك .. ويَشعرُون فيها أنَّهم أقوياء!

3- [ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ]التوبة:8. لو تَأمَّلتم أنشِطَةَ، وكلمَات السَّاسَةِ مِن غيرِ المسلمين في تَعامُلهم وتَعاطِيهم معَ قضَايا المسلمِين .. لوجدتمُوها لا تخرجُ عن هذا التَّوصِيف:[ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ ]؛ يُسمِعُونكم بألسنَتِهم الكلمَات المنَمَّقَةِ، والجميلَة التي تُرضِيكُم .. بينَمَا قلوبُهم على نَقيضٍ ممَّا تُظهرُه ألسنَتُهم؛ فهي تَنطوي على الحقْدِ، والكراهيَّةِ، والتَّآمُرِ، وتَنعقِدُ على الغَدْرِ بِكُم، [ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ]؛ يَنقضُون العهُودَ، والمواثِيقَ، ولَا يَفُون لكم بما قَطَعُوه على أنفُسِهم بألسِنَتِهم؟!

* * * * *

## اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً

4- [ اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً ]؛ فهم معَ الذي يُعطِيهم رَاتبَاً، ويُطعمُهم خُبزاً .. فإنَّهم يُطَاوعُونَه على ما يُريد، وإن كان كافِراً محارِباً لدينِ اللهِ، [ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ ]؛ وهم مُقَابل الرَّاتِب، والخبز .. يَردُّون الآيَاتِ القُرآنيَّةِ .. ويَصدُّون الناسَ عن

دينِ اللهِ، ويُقاتِلُون في سَبيلِ الطَّاغُوت، ويُجادِلُون دُونَه، [ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ]التوبة:9. فبئسَ العَمَلُ عملَهم هذا؛ وهو أنَّهم مُقَابِل عَرَضٍ مِن الدُّنيا قَليلٍ؛ يُعرِضُون عن دِينِ اللهِ، ويَصدُّون النَّاسَ عنه .. ويَخسَرُون آخِرَتَهم!

* * * * *

## وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ

5- [ وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ]التوبة:12. فيه أنَّ مَن يَطعَن بالدِّين، ويتمادَى بسَبِّ الدِّين، وسَبِّ اللهِ، ورُسُلِه .. ليسَ كافِراً وحَسب، بَل هو إمَامٌ مِن أئمةِ الكُفْر .. وكُفرُه مُغَلَّظٌ أشَدُّ مِن ذَوي الكُفْرِ المجرَّد .. وفيه أنَّ كلَّ مَن طَعَنَ في الدِّينِ فهو ناكث للعَهدِ، والأيمَانِ .. فالأمَانُ لا يُعطَى لهم مع الجَهرِ بالطَّعنِ والشَّتمِ في الدِّينِ، [ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ]؛ عن الطَّعنِ، والشَّتمِ، ونَقضِ العُهُود.

* * * * *

## فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

6- [ أَتَخْشَوْنَهُمْ ]؛ أتخَافُون مِمّن يَتعيَّن عليكم جِهادَهم، ودَفع شَرِّهِم، والصّدع بالحقِّ أمَامَهم، مِنَ الكافِرين والمنَافِقين .. وهم ليْسُوا لهم عليكم سُلطان إلا مَا شَاءَ اللهُ، [ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ ]؛ لما له من حَقٍّ عليكم، ولأنَّه القَادِرُ عليكم، وعليهم، بيدِه الخَيرُ والشَّرُّ، والضُرُّ والنَّفْعُ، [ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ]التوبة:13. بوعدِ اللهِ ووعيدِه .. وأنه تعالى هو النَّافِعُ والضَّارُ .. وأنه لا يصيبُكم شيءٌ إلا مَا كتبَهُ اللهُ لكم .. وأنَّكم إليه راجِعُون، وفي الحديث:" لا يَمنَعَنَّ أحَدَكم مَخافَةُ النَّاسِ أنْ يقولَ بالحَقِّ إذا شَهِدَه أو عَلِمَه ". وفي رواية:"

لا يمنعَنَّ رجلًا هيبةُ الناسِ أن يقولَ بحقٍّ إذا رآه أو شهِدَه؛ فإنه لا يُقرِّبُ مِن أجَلٍ ولا يُباعِدُ مِن رِزقٍ ".

7- [ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ]التوبة:13. مَهمَا طَغَوا، وتَبَاهوا بقوَّتِهم .. وبطَائراتِهم، وسُفُنِهم، وقنابِلِهم .. فاللهُ تعالى أقوَى، وأعْلَى، وأجَل .. وقادرٌ عليهم أينما كانُوا .. لَا يُعجِزُه - ولا يخفَى عليه - شيءٌ مِنهم .. محيطٌ بِهم .. لَا يَقدرُون على أن يَردُّوا شَيئاً أرادَهم اللهُ به .. كما لَا يَقدِرُون - ولو كانَ بعضُهم لبعضٍ ظهرياً - على أن يُنزِلُوا بإحَدٍ ضُرّاً، أو أن يَدفعُوا عنه شَرّاً، إلا بإذنِ اللهِ تعالى، وبمشيئتِه .. فمشيئتُه هي النَّافِذَةُ، والحاكِمَةُ في خَلْقِه، ومَشيئةُ ما سواه محكُومَةٌ بمشيئتِه، وخاضِعَةٌ لمشيئتِه، لَا يَنفذُ منها شيءٌ إلا إذَا شَاءَ اللهُ، وبالقَدْرِ الذي يَشَاءُ .. وإذا كان الوصْفُ على مَا ذُكِر فكيفَ يليقُ بالمؤمنين أن يخشَوْهُم، ولا يخشَونَ اللهَ؟! [ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ] باللهِ حقَّ الإيمانِ فلا تخشَوْهُم، واخشوا اللهَ تعالى وحدَه.

* * * * *

## وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ

8- [ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ]التوبة:14. المؤمنُون مَهمَا سَمَت بهم أرواحُهم، وأخلاقُهم .. إلَّا أنَّهم مِن لحمٍ ودَمٍ؛ يَعتَرِي صدُورهم مَا يَعتَري غيرهم مِن حُبِّ الثَّأرِ والانتصافِ ممَّن ظلمَهُم، واعتدَى على دِينِهم، وعلى حقُوقِهم، وحرُمَاتِهم .. واللهُ تعالى يَعلمُ مِن عبادِهِ المؤمنِين هذا الشُّعُور، وهذه الرِّغْبة في الانتصافِ، والتَّشَفِّي .. فيُكرمهم اللهُ، ويمنُّ عليهم؛ فيُذهِب ما في صدُورِهم مِن حُبِّ التَّشَفِّي والثَّأرِ لمظالِمِهم ممَّن ظلمَهم، واعتَدَى عليهم .. ويحقِّقُ لهم ذلك مِن خلالِ ثَلاثةِ طُرق، كُلها قَد دَلَّ عليها النَّقْلُ الصَّحِيح: أن يُسَلِّطَ المؤمنِينَ على الظالمِين المعتدِين، ويمكِّنَهم من الانتصافِ

لحقُوقِهم ومظَالمِهم مِنهم .. أو أن يُسلّطَ على الظَّالمِين المعتدِين ظالمِين مِثلهم، أو أشَدَّ مِنهم ظُلماً، فيضربُ الظَّالمِين بالظَّالمِين، ويتحقَّق للمؤمنِين الاشتِفَاء مِن دُون مشارَكةٍ مِنهم في القِتالِ .. أو أن يُسلّطَ على الظالمِين المعتدِين عذَاباً مِن عِندِه، وبجندٍ مِن عندِه، وبأسبَابٍ كونيَّةٍ لَا يَعلمُها إلا اللهُ .. ويكفِي اللهُ المؤمنِين مؤنَةَ القِتَال .. كُلُّ هَذا وَارِدٌ، وقَد حَصَلَ، ولَا يَزَالُ يحصَل.

* * * * *

## قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ

9- [ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا ]؛ لم يقُلْ إن كان آباؤكُم أو أبناؤكُم أو، أو .. على التَّخيير، وإنما جمعَ بينها جميعاً بواو العَطفِ .. فإذَا كانت هذه الأشيَاء على عِظَمِها، وشَرَفِها، ونفَاسَتِها، وعَظِيمِ حَقِّها، مجتمعةً بعضُها معَ بعْضٍ، [ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ]؛ تؤثرُونَها على طاعَةِ اللهِ تعالى، وطاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. قَد لا يقولُ القائلُ بلسانِه: الآباءُ، والأبناءُ، والإخوانُ، و، و، و .. أحبُّ إليَّ مِن اللهِ ورسولِه .. وبُرهانُ صِدقِ قولِه مِن عدَمِه يَظهرُ في الطاعَةِ والمتابعَةِ؛ فإن قدَّمَ طاعةَ اللهِ ورسولِه صلى الله عليه وسلم على طاعةِ مَا ذُكِرَ مِن أشياءٍ؛ فقد صَدَقَ في دَعْواه أنَّ اللهَ تعالى، ورسولَه صلى الله عليه وسلم أحبُّ إليه مما ذُكِرَ مجتمعَاً، وإن كان العَكسُ؛ قدَّمَ طاعَةَ هذهِ الأشياءِ الواردَةِ في الآية أعْلاه، على طاعَةِ الله تعالى، وطاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم؛ فهو كاذِبٌ في دَعْواه أنه يحبُّ اللهَ ورسولَه أكثر مِن جميع مَا ذُكِرَ في الآيةِ أعلاه، مَهمَا زَعَمَ بلسانِه خِلافَ ذلك، [ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ]؛ وكان ما ذُكِرَ أعلاه مِن أشياء وروابِطَ، وعوَالِق سَبباً في تركِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ، [ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ ]؛ انتظرُوا

حتَّى يأتي اللهُ تعالى بوعيدِه وعذابِه لكم في الدُّنيا والآخِرةِ؛ في الدُّنيا ذِلَّةٌ، وصَغَارٌ، وفِقدانٌ للعزيزِ، وتِيهٌ في الأرضِ، وفي الآخِرةِ عذابُ جهنم وبئسَ المصِير، [ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ]التوبة:24. الكافِرين.

* * * * *

## إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ

10- [ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ]التوبة:25. وذلك أنَّ قلوبَهم تَعَلَّقَت بالكثرةِ والعَدَدِ، وظَنُّوا أن كثرَتَهم هي التي ستنصُرهم مِن دُونِ اللهِ .. وتَعصمُهم من الهزيمةِ .. وكان عددُ المسلمين يَومئذٍ ثلاثةُ أضعافِ أعدائِهم .. إلَّا أنَّها لم تُغنِ عنهم شَيئاً .. فكانَت غفلةً مِنهم دَفَعُوا ضَريبتَها ثمناً باهِظاً .. ليَعْلَموا أنَّ النصرَ مِن عندِ اللهِ؛ فهو سُبحانَه الذي يَنزِّلُ السَّكينَةَ على القلوبِ .. ويُثَبِّتُ الأقدَامَ .. ويُسَدِّدُ الرَّميَ .. ويَنْصُر!

11- [ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ]التوبة:25. العُجْبُ بالأسبَابِ، والغَفْلَةِ عن خالقِ ومُسَخِّرِ الأسبَابِ، يَرفعُ المعِيَّةَ، ويُسْلِمُ المرءَ لنفسِه، وعزَمَاتِه، وأسبَابِه .. ويُعَرِّضه للعقُوبَةِ والخُذْلَانِ .. وقَد حدَّثَنا النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن نَبيٍّ من الأنبيَاءِ، قال كَلِمَةً على وجهِ الإعجَابِ بجُنْدِه وجيشِه، فقال:" مَن يُكافِئُ هؤلاءِ أو مَن يَقُومُ لهؤلاءِ؟!"، ولم يَزِد على ذلك .. فكانَت الكَفَّارَةُ أن أوحَى اللهُ إليه:" أنِ اختَرْ لقومِك إحدَى ثَلاثٍ؛ إما أن نُسَلِّطَ عليهم عدوّاً مِن غَيرِهم، أو الجوعَ، أو الموتَ، فاستشَارَ قومَهُ في ذلك، فقالُوا أنتَ نبيُّ اللهِ، كلُّ ذلك إليك، خِرْ لنا، فقامَ إلى الصَّلاةِ، وكانُوا إذا فَزِعُوا فَزِعُوا إلى الصَّلاةِ، فصَلَّى مَا شاءَ اللهُ، ثم قال: أي ربِّ! أمَّا عَدوٌّ مِن غَيرِهم فَلَا، أو الجوعُ فَلَا، ولكنِ

الموتُ! فسَلَّطَ عليهم الموتَ، فماتَ مِنهم في يَومٍ سَبعُونَ ألفاً، وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يهمسُ بكلِماتٍ، فقال:" فهَمْسي الذي تَرون أني أقُولُ: اللهمَّ بِكَ أَحُولُ، وبِكَ أَصُولُ، وبِكَ أُقَاتِلُ ".

* * * * *

## اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ

12- [ اتَّخَذُواْ ]؛ اليهودُ، [ أَحْبَارَهُمْ ]؛ عُلماءَهم .. والنَّصارَى، اتخَذُوا [ وَرُهْبَانَهُمْ ]؛ عُبّادَهم وعلماءَهم [ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ ]التوبة:31. وذلك عِندما أطاعُوهم واتَّبَعُوهم في التَّشْرِيعِ، والتَّحْلِيلِ والتَّحْرِيمِ بغيرِ سُلطانٍ مِن اللهِ .. فأحَلُّوا لهم ما حَرَّم اللهُ، وحَرَّمُوا عليهم مَا أحَلَّ اللهُ .. وحَسَّنُوا لهم ما قبَّحَ اللهُ .. وقبَّحُوا لهم ما حَسَّنَ اللهُ .. فأطاعُوهم واتَّبَعُوهم؛ فاتَّخَذُوهم بذلك أرْبَاباً ومَعْبُودِين مِن دُونِ الله .. وللمتعصِّبَةِ مِن الأمَّةِ لأقوالِ العُلماءِ في الحقِّ والبَّاطِلِ .. فِيما أصَابُوا فيه، وفِيما أخْطَأوا .. حَظٌّ وافِرٌ مِن هذهِ الآيةِ .. فليسَ لليهودِ والنَّصَارَى كُلّ مُرَّةٍ، ولَنَا كُلّ حُلْوَة!

13- حظُّ الأمّة من هذه الآية الكريمة:[ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ ]التوبة:31. يكمن في التَّعصّب لأقوالِ العلماءِ، ومذاهِبهم، على حسابِ الحق!

14- [ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ ]التوبة:31. قَلَّدُوهُم في التَّحلِيلِ والتَّحرِيمِ، والتَّحْسِينِ، والتَّقْبِيحِ .. وتَرَكُوا مُتَابَعَةَ الشَّرْعِ المنَزَّلِ .. فاتخذُوهُم بذلك أَرْبَاباً مِن دُونِ الله!

* * * * *

## وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ

15- [ يُرِيدُونَ ]؛ الكُفَّارُ الظَّلامِيُّون؛ أينما وجِدُوا، وعلى مَدارِ أزمنَتِهم: الماضِي منها، والحاضِرُ، والمسْتقبَلُ، [ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللهِ ]؛ دِينَ اللهِ .. وسُمِّي دينُ اللهِ بالنُّورِ؛ لأنه النُّورُ الذي يُبَدِّدُ ظُلَمَ وظَلامَ الكُفْرِ، والشِّركِ، والضَّلالِ .. ويكشفُ الأشياءَ على حَقِيقَتِها .. ويَهدي إلى الحقِّ، والإيمانِ، والصِّراطِ المستقيم؛ الذي لا اعْوِجَاجَ فِيه، [ بِأَفْوَاهِهِمْ ]؛ تَعبيرٌ عن جميعِ وسائلِ إعلامِهم: المقرُوأةِ، والمسْمُوعَةِ، والمرئيَّةِ؛ التي تَمكرُ الليلَ موصُولاً بالنَّهارِ، والنهارَ موصُولاً بالليلِ، لصَدِّ الناسِ عن دينِ اللهِ، وإطفاءِ ما في قلوبِهم مِن نورِ الحقِّ والهِدَايَةِ، [ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ ]؛ يُتِمّ دينَه بيَاناً، ويتمه ظُهوراً وانتشَاراً؛ حتى " لا يَبْقى على ظَهرِ الأرضِ بَيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدْخَلَه اللهُ كَلِمةَ الإسلامِ؛ بعِزِّ عَزيزٍ، أو ذُلِّ ذَليلٍ "، [ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ]التوبة:32. ذلك؛ فكرهُهم، ومَكْرُهم المتَواصِل ـ مهمَا اشتَدَّ واجتمَعَت له الأسبابُ ـ لن يَقْوَى أن يمنعَ مَشيئةَ اللهِ في أن يُتِمَّ نُورَه.

* * * * *

## هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى

16- [ هُوَ ]؛ اللهُ، [ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ ]؛ محمداً صلى الله عليه وسلم، [ بِالْهُدَى ]؛ بالدِّينِ الذي فيه هِدَايَةَ الناسِ إلى الحقِّ المبين، وصِرَاطِ اللهِ المستَقِيم، وبما فيه نجَاتهم وسعادَتهم في الدُّنيا، والآخِرَةِ، [ وَدِينِ الْحَقِّ ]؛ دِينُ الإسلامِ؛ دِينُ جميعِ الأنبياءِ والرسُلِ، مِن لَدُن آدَم عليه السلام إلى عهدِ نبينا محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، [ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ]التوبة:33. هذا الدِّين مَنصورٌ وظاهرٌ بِك أو بغيرِك .. نَصرتَه أم خذَلْتَه، وتقَاعَستَ عن نُصرتِه .. فهو مَاضٍ إلى غايتِه التي قَدَّرَها اللهُ له .. وقَد

تكفَّل اللهُ تعالى بحفظِه، وظهورِه، وعلوِّه على جميعِ الأديانِ الباطلةِ .. ومَن تكفَّل اللهُ به فلَا ضَيعَة ولا خوفَ عليه .. وللظُّهورِ والعُلُو مَعنيَان: ظَهُورُ معنوي، وفِكرِي، ومَنْهَجي، وعقائدِي .. وظُهورُ حجَّةٍ .. وهذا النَّوعُ من الظُّهورِ لَا، ولَم، ولَن يُفارقَ الإسلامَ دَقيقَةً واحِدةً .. فهو الدِّينُ الأكثَر انتشَاراً بين النَّاسِ .. والأكثَر قُبُولاً، وروَاجَاً، وموافقَةً للعَقْلِ، وللفطرَةِ، ولحركةِ الحيَاةِ .. لَا يَقوَى دِينٌ على مواجَهتِه، ودَفْعِ حجتِه .. ولا وَجْهَ للقيَاسِ بينَه وبينَ ما سواه مِن الأديَانِ البَاطِلةِ الكُفريَّةِ الشركيَّةِ، التي يَنفرُ مِنها العَقلُ فرَارَ السَّليمِ مِن الأجرَبِ السَّقيمِ .. وهَذا أكثَر مَا يُغيظُ الكافِرين مِن دِينِ اللهِ الإسلامِ لِذا فهم يَعمَلُون جاهِدِين على أن يُطفِئوا نُورَه، ويَأبَى اللهُ إلَّا أن يُتمَّ نورَه ولو كَرِهَ الكافِرُون المشركُون. ونوعٌ آخَر للظُّهورِ، والعُلُو، وهو الظُّهور المادِّي، وظُهور سُلطانِ الإسلام، وقوَّتِه، وشوكَتِه، على سائر الأديانِ الباطِلَةِ الشِّركيَّة .. وهذا النَّوعُ من الظُّهورِ بينَ مَدٍّ وجَذْرٍ، بحسبِ قوَّةِ وجهْدِ وجِهَادِ حمَلَتِه مِن المؤمنِين المسلمِين .. ويَبلغُ هذا النوعُ مِن الظُّهُورِ ذُروَتَه، في عهدِ نزولِ عيسى المسيح عليه السلام، فيُعلي اللهُ به شوكَةَ الإسلامِ على سائرِ الأديَانِ، والملِل، بعِزّ عَزيزٍ أو بِذُلّ ذَليلٍ، كما في الحديث:" لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بلَغَ اللَّيلُ والنَّهارُ، ولا يَترُكُ اللهُ بَيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أَدخَلَه اللهُ هذا الدِّينَ، بعِزّ عَزيزٍ أو بِذُلّ ذَليلٍ؛ عِزًّا يُعِزُّ اللهُ به الإسلامَ، وذُلًّا يُذِلُّ اللهُ به الكُفرَ".

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ

17- [ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ]التوبة:34. يَأكلُون الرَّشْوَةَ في الحُكْمِ، ويحلُّونَ الحرَامَ، ويحرِّمُون الحلالَ،

ويَشهدُونَ على الحقّ بأنَّه باطِلٌ، وعلى البَاطِلِ بأنَّهُ حَقٌّ .. ابتغاءَ مَرضَاةِ الحُكَّامِ، وابتغَاءَ مَا عِندَهم مِن المنَحِ والعَطَاءِ، والفُتَاتِ الذي يَرمونَه للمتزَلِّفِين .. فلَا تكونُوا مِثلَهُم!

* * * * *

## وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً

18- [ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً ]؛ اجتمَعُوا جميعكُم على قِتالِهم، ولا تَختلِفُوا ولا تَفرَّقُوا، [ كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ]التوبة:36.كما يجتمعُون جميعَهُم على قتالِكم .. فإذا فرَّقتْهُم العَدَاوات فِيما بينهم، وحَّدَهم وجمعَ صفوفَهم القِتالُ ضِدَّكُم .. فبعضُهم على الإسْلامِ والمسلمين أولياءُ بَعْض!

* * * * *

## إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً

19- [ إِلاَّ تَنفِرُواْ ]؛ إن ركنْتُم إلى الدُّنيَا، ولَمْ تَنفِرُوا للجهَادِ في سَبيلِ اللهِ، عندما يتَعَيَّنَ النَّفيرُ، ولم تعدُّوا له عُدَّتَه، [ يُعَذِّبْكُمْ ]؛ اللهُ،[ عَذَاباً أَلِيماً ]؛ في الدُّنيَا، يُسلِّطُ عليكم الأعدَاءَ، والوهْنَ، والذُّلَّ، والتِّيه، وفي الآخِرَةِ عذَابٌ أليم، [ وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ]؛ يجاهِدُون في سبيلِ اللهِ، لَا يكونُون مثلَكُم في تَركِ الجهَادِ في سَبيلِ اللهِ، [ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً ]التوبة:39. لأنَّ جهَادَكُم مَردُّه وخَيرُه لأنفُسِكُم .. وتنكُّبكُم عن الجهَادِ والنَّفيرِ في سبيلِ اللهِ لا يَضرُّ اللهَ شَيئاً، فاللهُ تَعالى غنيٌّ عنكم، وعن جهَادِكُم، وعن الخلْقِ أجمَعين .. وإنما تَضرُّون أنفُسكُم لَا غَير .. وتُعطُون لعدوِّكُم فُرصَةً سانحَةً يَستبيحُ بها دِيَارَكم، وحُرماتكم!

* * * * *

## وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً

20- [ وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً ]التوبة:46. مِن العَلامَاتِ الدَّالَّةِ على صِدْقِ خرُوجِهِم للجهَادِ، وأنَّهم يُريدُون الجهَادَ حَقَّاً ـ سَواءٌ كان الخارجُ فرداً أم جماعَةً أم دَولةً ـ الإعدَادُ للخرُوجِ إلى الجهَادِ، والأَخْذُ بأسبَابِ القُوَّةِ قَدْرَ المتَاحِ والمستَطَاع .. فإذا انتَفَى الإعدَادُ، قدر المستَطَاع؛ كان ذلك دَلِيلاً قَاطِعاً على عَدَمِ صِدقِهم ورغبتِهم في الجهَادِ، مَهمَا زَعمُوا بلسَانِهم خِلافَ ذلك .. وكانُوا حِينَئذٍ أقرب للنِّفَاقِ مِنهم إلى الإيمَانِ!

* * * * *

## وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي

21- [ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ]التوبة:49. هذه آيةٌ نزَلَت في رجلٍ خَشِيَ على نَفسِهِ الإثمَ والحرَج، وأن يُفتَتَن بنساءِ بَني الأصفَر، لو خرَجَ مع النبي صلى الله عليه وسلم للجهادِ في تَبُوك .. فهرَبَ مِن فتنةٍ غير محقَّقَةٍ، وموهُومَةٍ، إلى فتنةٍ محقَّقةٍ ـ اثم وحرَج ـ أشَدّ وأعظم؛ وهي التَّخلُّف عن الجهادِ معَ النبي صلى الله عليه وسلم .. وهذه آيةٌ تُحمَل على كل مَن يفعَل نحوَ فعَلَ هذا الرجُل؛ فيدفَعُ فِتنةً موهومَةً أو صغيرةً بفتنةٍ أكبر وأعظَم .. كما تُحمَل على كلِّ مَن يتخلَّف عن واجبٍ شرْعِيٍّ خَشيةَ الفِتنَةِ، وخَشيَةَ الإثمِ والحرَجِ .. وبخاصَّة أنَّنا نَعيشُ زمَاناً مَا مِن خَيرٍ إلَّا وَيَشُوبُه شَيءٌ مِن حَرَامٍ، فإذَا تَركْتَ الخيرَ الكَثيرِ مِن أجْلِ هذا القَليلِ مِن الحرَامِ، وخَشيةَ الفِتنَةِ، فإنَّك لَا تَفْعَلُ خَيراً قَط!

* * * * *

## إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ

22- [ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ ]؛ أيَّاً كانَت هذه الحسَنَة؛ كانَت نَصراً، وفَتْحَاً، أم خَيراً وسَعَة، [ تَسُؤْهُمْ ]؛ تُسيءُ المنَافقِين، ويَضيقُ لها صَدرُهم، وتكفَهِرُّ وجُوههم، [ وَإِن

تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ ]؛ شِدَّة أيَّاً كانَت هذه المصيبةُ والشِّدَّةُ، سَواءٌ كانت في النَّفسِ، أم في المالِ، أم في الأمْنِ، [ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ ]؛ قَد أخَذْنا حِيطَتنا وحَذَرَنا مِن قَبلِ أن يُصَابُوا بهذه الشدَّةِ، والمصيبَةِ؛ فلَم نكُن معَهم، ولم نُشارِكْهُم، ولم نُصَبْ بمَا أُصِيبُوا، [ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ]التوبة:50. فرَحَ بَطَرٍ، وكِبرٍ، وشمَاتَةٍ لإدبارِهِم عن الحقِّ، ولأَخذِهم الحيطَة والحذَرِ إذْ لم يكُونُوا معَ المؤمنِين .. وفَرِحُون لمَا أصَابَ المؤمنِين مِن شِدَّةٍ ومصَابٍ .. وهذه علامَةٌ صَادِقةٌ لا تتخلَّف؛ بها يُعرَفُ المؤمنُ مِن المنَافِق، ويَعرِفُ المؤمنُ صِدْقَ إيمانِه مِن عدَمِه؛ فيَنظر لنفسِه أينَ هو ممَّا يُصيب المؤمنين من حَسنةٍ ونَصْرٍ، ومَا يُصيبُهم مِن شِدَّةٍ وبَلاءٍ .. أين هو ممَّا يُصِيبُهم مِن سَرَّاءٍ، وضَرَّاء .. فإن كان يَفرحُ لحسَنَتِهم، وسَرَّائِهم، ويُسَاء لسيئتِهم، وضَرَّائِهم؛ فهو مُؤمنٌ؛ وإن كانَ العَكْسُ، فعَليه أن يتَّهمَ إيمَانَه، ويُراجعَ إيمانَه إينَ هو مِن الإيمانِ الحقِّ الذي يحبُّه اللهُ تعالى ويَرضَاهُ مِن عِبَادِه.

* * * * *

## قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا

23- [ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ]التوبة:51. عَلَامَ الخوَفُ، والتردُّدُ، والاحجَامُ عن مواطِنِ الإقدَامِ، والجهادِ .. إذا كان كلُّ شيءٍ مكتُوباً في اللَّوحِ المحفُوظِ، ولَن يُصيبَنا شَرٌّ إلا ما كتبَه اللهُ، وقدَّرَه، وشَاءَه .. ومَا كتبَه وقدَّرَه كائنٌ لا محَالَة؛ أقْدَمْتَ أم أحجَمْت، وسيُصيبُك ولو كُنتَ في بروجٍ مُشيَّدة .. ومَا لم يكتبْه ويُقدِّرْه مهمَا أقدَمت .. ولو اجتمَعَت الأنسُ والجنُّ على أن يُصيبُوك به، لما استَطاعُوا، ولمَا أصَابَك .. فحسِّن الظنَّ باللهِ، وعلِّقْ قلبَك به، وتوكَّل عليه لا على غَيرِه، والتمِسْ منه النَّصرَ لَا مِن غَيرِه.

* * * * *

## قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ

24- [ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ]التوبة:52. كيفَمَا انتهَت معركَةُ المؤمنِين معَ أعدائِهم .. ومهمَا كادَهم الأعدَاءُ، وأعَدُّوا العِدَّةَ لقتالِ المؤمنِين .. فنتائجُ المعركَةِ بالنسبةِ للمؤمنِين لا تخرجُ عن هَذَين الوصْفَين، والخِلَّتَين، الحسَنَتَين: إمَّا نَصرٌ على الأعداءِ، وهو حَسَنٌ وخَيرٌ، وإمَّا شَهادَةٌ في سبيلِ اللهِ، وهو حَسَنٌ وخَيرٌ، وفوزٌ بالجِنَانِ، ونَعيمِها .. وبالتَّالي لا مجَالَ لشَمَاتَةِ الأعدَاءِ بمصَابِ وقَتْلَى المؤمنِين .. فقَتْلَى المؤمنِين في الجنَّةِ، وقَتْلَى الكافِرين في النَّارِ .. ويَا لَه مِن فارِقٍ ضَخمٍ بين الميتَتَين، وبين المآلَين!

* * * * *

## لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ

25- [ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ ]التوبة:53. أي كافِرين .. ولأنَّ الكُفرَ يُحبِطُ العمَلَ .. فَلا يُقبَل معَ الكُفْرِ والشِّرْكِ نفقةٌ، ولا عَمَل.

* * * * *

## فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ

26- [ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ]التوبة:55. النِّعمَةُ عندما تَصرفُ صاحِبَها عن الشُّكرِ، وعن العبادَةِ، وتُشغلُه عن توحيدِ المنعِمِ المتفضِّلِ .. ويَردُّها إلى نفْسِه، وعَزَمَاتِه، وجهدِهِ مِن دُونِ اللهِ .. تكونُ نقمَةً، واستِدْراجاً، وعذَاباً لصَاحِبها، عَذاباً حينَ يجمعُها، وعذَاباً حِينَ

يحاولُ عبَثاً الحفَاظَ عليها، وعذاباً حينَ تَتفَلَّت منه، فيُفَارِقُها، وتُفَارِقُه، إلى غَيرِه .. وعذَاباً، وحسْرَةً، وندَامَةً، يومَ يُسْأَلُ عنها يومَ القِيامَةِ، كيفَ جمَعَها، وبمَ أنفَقَهَا .. ومن كان كذلك لَا يَنبَغي أن يُنْظَرَ إليه وإلى ما جمعَه من أموالٍ نَظرَةَ إعجَابٍ، واستحسَانٍ، وغبْطَة!

* * * * *

## إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ

27- [ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ..]التوبة:60. والمؤلّفةُ قلوبهم فريقان: فريقٌ تطمعُ في دخولِه الإسلام، وفريقٌ تخشى عليه الخروجَ من الإسلام، فكلا الفريقين يجوز أن تؤلّفَ قلوبَهما على الإسلام بالصدقات، والصدقات تشملُ بذلَ كلَّ معروفٍ يساعدُ على تأليفِ قلوبهم على الإسلام؛ كالتّصدُّق بالمالِ، والإهداءِ، والبرِّ، والمعاملةِ الحسنةِ، وإطعامِ الطَّعام، وأن تسعى في قضاءِ حوائجِهم، وأن تلقاهُم بوجهٍ طَلقٍ، وغير ذلك مما يدخل في معنى الصَّدقات وبذلِ المعروف.

28- [ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ ]التوبة:60. هذه مواضعُ مصَاريف فريضَةِ الزكاةِ حَصْراً؛ لا يجوزُ صرفُ شيءٍ من أموالِ الزكاةِ خارجِ هذه المواضع والأصنَافِ .. أمَّا النَّافِلةُ في الصَّدَقَات ـ وهي كلُّ صَدَقَةٍ غير فريضَةِ الزَّكاة ـ يجوزُ صَرفُها على هذه الأصنَافِ، وعلى غَيرِها.

* * * * *

## وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ

29- [ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ]التوبة:61. كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم لشدَّةِ تواضُعِه، وعَظِيمِ أخلاقِه وأدَبِه، شَدِيدَ الاستماعِ، والإصْغاءِ لمحدِّثِه، يُقبلُ على محدِّثِه بكليَّتِه؛ يَفهَم مِنه، ويُفْهِمُه، ويُفِيدُه .. وليساعِدُه في حاجَتِه إن كان مِن ذَوي الحاجَةِ، أو يَقْبَلُ عِذرَه إن كان له عذرٌ .. حتى قال المنافقُون عنه مقولَتهم الشَّنِيعة:[ هُوَ أُذُنٌ ]؛ أي شَدِيدُ الإصغاءِ؛ يَسمعُ لأيِّ أحَدٍ، ويُصدِّقُ ويَقْبَلُ كلَّ ما يُقالُ له .. فأساؤوا تَفسيرَ تواضُعِه، وحُسن استماعِه وإصغائِه .. فأنزلَ اللهُ ردَّاً عليهم، وتكذيباً لمقولتِهم:[ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ]؛ فالنبيُّ صلى الله عليه وسلم إذْ يَسمعُ فَلا يَسمعُ إلا حقَّاً وخَيراً، ولا يُصدِّق إلَّا حقَّاً وخَيراً .. ولا يَقبلُ إلا حقَّاً وخَيراً .. فهو يُصَدِّق باللهِ أنه لا إله إلا هو .. ويُصدِّقُ المؤمنين، الذين يَنشدُون الحقَّ، ويَسألون استرشَاداً، ولا يقولون إلا صِدْقاً .. ولا يُصدِّقُ الكافِرين، والمنَافقِين المكذِّبين الذين يُريدُون من أحادِيثهم المرَاءَ، والكذِبَ، والتَّكذِيبَ .. وفي الآيةِ توجيهٌ للمسلمين وبخاصَّة منهم الدُّعاة إلى اللهِ ـ اقتداءً بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم ـ أن يكتَسبُوا مهَارَةَ حُسنِ الاستماعِ، والإصغَاءِ، والإقبالِ بسَمْعِهم على محدِّثِهم، مهمَا كان محدِّثُهم جاهِلاً .. يَفهمُون مِنه ليَفْهَمَ مِنهم .. وحُسنُ الاستماعِ والإقبالِ ليسَ لقبولِ كل ما يُقال لهم .. لَا .. وإنَّما لكي يَقبَلُوا الحقَّ مِمَّا يَسمعُون، ويُحسِنوا إفَادَة المتكلِّمِ، فِيما يَسألُ عنه، أو يَشكُو مِنه .. ولكي يَقبَلُ المتكلمُ مِنهم ما يملُون عليه من تَوجيهٍ ونصَائح .. إذْ لو قابلُوه بالتَّجاهُلِ، والتطْنِيشِ، والإدْبارِ، وعدَمِ الاهتمَامِ، والإنشغالِ عنه بما يُشعره بأنَّه غيرُ مرغُوبٍ به ولا بحديثِه ـ كما ينصحُ بذلك كثيرٌ ممن يتصدَّرُ الحديثَ عن علمِ النَّفسِ، وراحةِ وحبِّ النَّفسِ! ـ لنَفَرَ مِنهم .. ولمَا قَبِلَ منهم قَولاً، ولا نُصحاً ولا تَوجِيهاً .. وبَقِيَت

حاجَتُه ومشكلتُه حبيسَةَ نَفْسِه، وبيئتِه .. ونحنُ أمرنا بأن نبشّرَ، ولا ننفّرَ .. وأن نكونَ دُعاةَ خَيرٍ للنَّاسِ.

* * * * *

## وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

30- [ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ]التوبة:61. مِن صُورِ الأذَى التَّعرُّضُ لشَخصِ النبّي صلى الله عليه وسلم تصريحاً أو تَلميحاً، بما يُسيء، أو بأدنَى كلمَةٍ تُفيدُ الانتقاصَ مِن قَدْرِهِ ومكانَتِهِ .. أو التَّعرُّضُ لمكانَتِه كنبيٍّ مُرسَل، ومكانَةِ سُنَّتِه المطهَّرَةِ، وأهميَّتِها في التَّشريعِ الإسلامِي، بأدْنَى انتقاصٍ أو تَشكِيكٍ .. أو التعرُّضُ لأهلِ بيته ونسائِه أمهات المؤمنين بأدْنَى انتقَاصٍ أو إسَاءةٍ، أو سُوءِ ظنٍّ .. أو التعرضُ لأصحابِه الكِرامِ بالطَّعنِ والانتقَاصِ .. كلُّ هذه الصُّور ممَّا يُؤذِي رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وهي تَدخلُ في معنَى الأذَى المنهي عنه، والذي يجبُ الاحترازُ مِنه أشَد الاحترَازِ .. وأصحابُها، يومَ القِيامَةِ، [ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ].

* * * * *

## وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ

31- [ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ]التوبة:62. عندما تُخَير بين طاعَةِ ورِضَا المخلُوقِ، أيَّاً كان هذا المخلُوق، كان حَاكماً، أو أميراً، أو والِداً، أو والِدَةً، أو زوجاً، أو زوجةً، أو شيخاً، أو غيرَ ذلك .. وبينَ طاعَةِ ورِضَا اللهِ ورسُولِه صلى الله عليه وسلم، يجبُ عليك أن تُقَدِّمَ طاعةَ ورِضَا اللهِ ورسولِه صلى الله عليه وسلم على ما سواهما .. فاللهُ تعالى أحقُّ وأوْلَى بأن يُرْضَى .. ومَن أرضَى اللهَ بسخَطِ الناسِ، رَضيَ اللهُ عنه، وأَرضَى عنه النَّاسَ، ومَن أسخَطَ اللهَ برضَى النَّاسِ، سِخطَ اللهُ عليه، وأسخَطَ عليه النَّاسَ.

* * * * *

## لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

32- [ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ]التوبة:65-66. هذه آياتٌ نزلَت في نفرٍ قالُوا كَلاماً على وجْهِ التَّهَكُّمِ، والاستِخْفافِ بحقِّ أصحابِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فأنزلَ اللهُ تعالى قولَه:[ قُلْ أَبِاللهِ ]؛ الذي أثنَى خَيراً على أصحَابِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، [وَآيَاتِهِ ]؛ التي تُثْنِي خَيراً على أصحابِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، [ وَرَسُولِهِ ]؛ الذي أثْنَى خَيراً على أصحابِه، [كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ]؛ تَتَهكَّمُون، وتَسْتَخِفُّون، وتَتَنَدَّرُون؛ فالطَّعنُ بالصَّحَابةِ طَعنٌ بمَن زَكَّاهُم وأثْنَى عليهم خَيراً، [لاَ تَعْتَذِرُواْ ]؛ عَمَّا بَدَرَ منكم مِن كلامٍ جَارِحٍ بحقِّ الصَّحابةِ رضي اللهُ عنهم .. فأيّاً كانَ عذرُكُم؛ فعذْرُكُم مَردُودٌ غير مَقبُول، [قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ]؛ يُفيد مَعنيين: قَد طَرأَ عليكم الكُفرُ والنِّفاقُ، بسببِ استهزائِكُم وتَهكُّمِكُم بأصحابِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، بعدَ أنْ كُنتُم مُؤمنين. والثَّاني قد أظهرتُم كُفركَم ونفَاقَكم، بعد أنْ كُنتم تُظهِرُون الإيمانَ، والأوَّلُ أرجَحُ، واللهُ تعالى أعلم.

* * * * *

## نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ

33- [ نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ ]التوبة:67. كَيْفَما التفَتَّ، وأينَمَا تَوَجَّهْتَ، تَجِد الخَرَابَ، والفَسَادَ، والنِّزاعَاتِ، والمجَاعَاتِ، والأَوْبِئَةَ، والأمْراضَ .. وهذا مَردُّه لسَبَبٍ واحِدٍ ـ اعتَرفُوا بذلك أم لم يَعْتَرِفُوا ـ هو البُعْد عنِ اللهِ، [ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ]الحشر:19.

34- [ نَسُواْ اللّهَ ]؛ نَسُوا حقَّ اللهِ عليهِم؛ وهو أن يَعبدُوه ولَا يُشْرِكُوا به شَيئاً، [ فَنَسِيَهُمْ ]التوبة:67. فتركَهم لأنفُسِهم يتخبَّطُون، ويَجْهَلُون، ويُفسِدُون .. ويَسيرُون على غيرِ هُدَى ونُورٍ .. فعاقَبَهم مِن جِنْسِ فِعْلِهم.

## الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ

35- [ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ ]؛ هُم الذين يُظهِرُون الإيمانَ، ويُبطِنُون الكُفرَ .. والجريءُ مِنهم في نفَاقِه مَن يُظهِر الإيمانَ، والكُفرَ معاً، فإذا رُوجِعَ فِيما يُظهِرُه مِن كُفرٍ، أنكرَ وجحَدَ، وعادَ ليُظهرَ إيمانَه مِن جَديدٍ، وأنَّه مؤمِن لَا يَقبلُ المزاودَةَ عليه، وعلى إيمانِه، [ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ]؛ فهم مُتشَابِهُون ومتماثِلُون في الدِّينِ، والنِّفاقِ، والعَلامَاتِ؛ كالأشياءِ التي تُستخرَجُ مِن شيءٍ واحِدٍ، أوَّلهم يُشبهُ آخِرَهم .. مِن علاماتِهم في حالِ كانُوا لا يَستَطيعُون أن يُظهِرَوا الكُفرَ البوَاح، أو أن يُعلِنُوا عن كُفرِهم البواح، تَراهم [ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ ]؛ بالمعَاصي، والفُسوق، والفَسَادِ، والمنكرَات، فحيثُما يوجَدُ مُنكرٌ رَفَعُوا أيديَهم وصوَّتُوا له، ودَافعُوا عنه، وعن حُريَّتِه، [ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ]؛ يَنهونَ عن الإيمانِ، والطَّاعاتِ، والفَضيلَةِ، والاستِقَامَةِ .. وحيثُما توجَدُ طاعةٌ للهِ ولرسُولِه صلى الله عليه وسلم، وتُوجَد الفَضيلَةُ، رفَعُوا أيديَهم، وصوَّتُوا ضِدَّها، وهَزؤوا مِنها، واستَخفُّوا بها، وبأصحابِها، [ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ]؛ عن فِعل الخيرِ، فحيثُما يُوجد خَيرٌ يُحجِمُوا، ويمتنِعُوا، ويَبتعِدُوا عنه، وحيثُما يُوجَد شَرٌّ، وفسَادٌ، يَبشُّوا، ويُقدِمُوا، ويَستَبشِرُوا، [ نَسُواْ اللّهَ ]؛ تَركُوا ما يجبُ للهِ عليهم مِن طاعَةٍ، وعِبادَةٍ، وتَوحِيدٍ .. وأخرَجُوا مِن حياتِهم، وتَفكِيرِهم كلَّ مَعنى يُلزمُهم بطاعَةِ، وعِبادَةِ اللهِ تعالى .. فعَاقبهم اللهُ مِن جِنسِ فِعْلِهم؛ [ فَنَسِيَهُمْ ]؛ اللهُ، وتَركَهم لأنفُسِهم الأمَّارَةِ بالسُّوءِ، لا يَشملُهم برحمتِه، وهِدَايتِه، لينَالُوا جزاءَهم

الأَوفَى يَومَ القِيامَةِ، [ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ]التوبة:67. هم الكافِرُون، فالفسقُ يُطلَق في القرآنِ الكريم، ويُرَادُ مِنه أحيَاناً الكُفرُ، مِنها في هذا الموضِع من الآيةِ الكَرِيمةِ.

* * * * *

## وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ

36- [ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ ]؛ كما أن المنَافِقِين والمنَافِقَات يتكَتَّلُون فِيما بينَهم على الأمرِ بالمنكَرِ، والنَّهي عن المعرُوف .. كذلك المؤمنُون، والمؤمِنات؛ على اختِلافِ لغَاتِهم، وألوانِهم، وأمصَارِهِم، [ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ]؛ بعضُهم أعوانُ وأنصارُ بَعضٍ، مِن دُون الكافِرِين والمنافِقِين .. كلٌّ في موقعِهِ، والثَّغر الذي يحرسُه .. وممَّا يتَعَاونُون عليه، ويتَناصَرُون له، ويجتمِعُون ويتَكَتَّلون لأجلِه، أنَّهم [ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ]؛ وهو كل ما أمرَ به الإسلامُ مِن طاعَاتٍ، وأعمَالٍ، أعلاها التَّوحِيد، [ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ]؛ وهو كل مَا نَهى عنه الإسلامُ مِن شَرٍّ، ومُنكَرٍ، وأعلَى المنكَرِ وأغلَظُه الشِّركُ، [ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ]؛ إقامَةُ الصَّلاة، وإيتَاءُ الزَّكاةِ من المعروفِ الذي أمرَ به الدِّينُ، خُصَّتَا بالذِّكرِ من مجموعِ مَا يَدخلُ في معنَى المعرُوفِ لبيانِ أهميتهما في الإسلامِ، وأنَّهما أعظمُ ركنَين في الإسلامِ بعدَ ركنِ التَّوحِيدِ، [ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ ]؛ طاعَةَ امتِثَالٍ واستِسْلامٍ، وتَسليمٍ مِن غَيرِ تَعقِيبٍ، ولا اعتراضٍ، ولا معارَضَةٍ، ولا حَرَجٍ في النَّفسِ، [ أُوْلَئِكَ ]؛ الذين تقدَّمَت صِفَاتُهم مِن المؤمنِين والمؤمِنَات، [ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ ]؛ ومَن رحمته لهم أنَّه تعالى يَغفرُ لهم، ويَعفُو عَنهم، ويُدخلُهم جنَّتَه، [ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ]؛ قادِرٌ على كلِّ شَيءٍ، وقَاهِرٌ لكلِّ شَيء، لا يمتَنِعُ عليه شَيء، [ حَكِيمٌ ]التوبة:71. لَا يَصدرُ عَنه شيءٌ إلا لحكمَةٍ بالِغَةٍ، علَمَها مَن علِمَها، وجَهِلَها مَن جَهلها.

* * * * *

## وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

37- [ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ]التوبة:72. أعظمُ وأكبرُ نعمةٍ يمنُّ اللهُ تعالى بها على عبادِه المؤمنين يومَ القيامَةِ نِعمةَ الرِّضا؛ فيرضَى عنهم، فلا يَسخطُ عليهم أَبَدَاً .. أَمَانٌ دائمٌ أَبَدَاً .. هي نعمةٌ أكبرُ وأعظمُ من الجنَّةِ ذاتها، ومَا فِيها مِن خَيراتٍ، ونَعِيمٍ مُقيمٍ .. كما في الحديث:" فَيَقُولونَ ـ أي أَهْلُ الجنَّةِ ـ: رَبَّنا أعطيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحَداً مِنَ العالَمِينَ. فيقولُ: فإنَّ لَكُمْ عِندي أفضلَ مِنْهُ! ـ أي أفضل من الجنَّةِ ونَعيمِها! ـ فَيَقُولون: رَبَّنا وما أفضلُ مِن ذَلكَ؟ فيقولُ: رِضَائِي عَنْكُم؛ فلا أَسْخَطُ عليكُمْ أَبَدَاً ".

* * * * *

## يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ

38- [ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ]التوبة:73. جهادُ المنافقين في كثير من الأحيان يكون أَشَدّ وأهمّ من جِهادِ الكافِرين، وذلك من أوجه:

منها: من جهةِ غموضِ باطلِ وخطرِ المنافقين، بخلاف الآخرين!

ومنها: مِن جهةِ أن باطلَ المنافقين أسرعُ رواجاً، وأقربُ للتصديقِ، من قبلِ عوام المسلمين، من باطلِ الكافرين!

ومنها: مثَلُ باطلِ المنافِقين، كحريقٍ في داخلِ البيت، بخلافِ الآخرين؛ حريقهم خارج البيت .. فهو ـ من هذا الوجه ـ أشدُّ خطَراً!

ومنها: أن مجاهِدَ المنافقين، أكثر عُرضةً لسِهام النّقدِ والطَّعنِ، والتَّشهيرِ، مِن قِبل العَوام المغفَّلين، من مجاهِدِ الكافرين .. لذلك كثيرٌ هم الذين يجاهدون الكافرين، ويتهيَّبون من مجاهدةِ المنافقِين .. وقليلٌ هم الذين يجاهدون المنافِقين، ويُغلِظون عليهم!

* * * * *

## وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ

39- [ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ ]التوبة:74. لكي يَكْفُرَ المرءُ، ويُحْكَم عليه بالكُفْرِ، لا يحتاجُ إلى جَريدةٍ مَليئةٍ بالكُفْرِ .. بل يَكْفِي لكي يُحكَمَ عليه الكُفْرِ، أن تَصْدُرَ مِنه كلمَةٌ واحِدَةٌ، تَمُّ عن الطَّعْنِ، والاسْتِخْفافِ، باللهِ، وآيَاتِه، ورسُولِه صلى الله عليه وسلم.

40- [ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ ]التوبة:74. كلمةُ الكُفر التي كفُرُوا بسببها بعدَ إسلامِهم .. هي سَبُّ الدِّينِ، والطَّعْنُ به .. وفيه أن المرءَ قد يكفرُ، ويَخرجُ من الإسلامِ بكلمةٍ، وبما يقولُه بلسانِه، سواءٌ كان مُعتقداً مُستحلاً لما يقُول أم غير مُعتقدٍ .. فالسبُّ، والطَّعنُ بالدِّينِ كفرٌ لذاتِه، لَا يشترَطُ له انعقادُ الاستِحلالِ في القَلْبِ .. وهذا يَستدعي مِن المرءِ أن يُراقِبَ نفْسَه، ويُشدِّدَ المراقبَة على لسانِه، وبخاصَّة عند الغَضَب .. ويجتهدُ أن لا يقولَ إلَّا خَيراً .. قال صلى الله عليه وسلم:" وهل يَكُبُّ الناسَ على مَناخِرِهم في جهنَّم إلا مَا نطَقتْ به ألسنَتُهم، فمن كان يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيَقُلْ خيرًا، أو يَسكتْ عن شرٍّ، قولُوا خَيراً تَغنَموا، واسكتُوا عن شرٍّ تَسلَموا ."

* * * * *

## وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ

41- [ وَمِنْهُم ]؛ مِن المنافِقِين، وممَّن في قلوبِهم مرضُ حُبِّ الدنيا، والشَّهوات، [ مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ ]؛ فأشهَدَ اللهَ على عهُودِه ووعودِه القاطِعَةِ الجازِمةِ، [ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ ]؛ لئِن وسَّعَ علينا في الرِّزقِ، ورزَقَنا المالَ، [ لَنَصَّدَّقَنَّ ]؛ من هذا المالِ على مَن يَستحقُّه مِن الرَّحِم، والفقراءِ، والمسَاكِين، [ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ]، ولنسلكَن فِيما رزَقَنا اللهُ من المالِ طريقَ ومنهجَ الصَّالِحِين، [ فَلَمَّا آتَاهُم ]؛ اللهُ، [ مِّن فَضْلِهِ ]؛ فرزقَهم المالَ، ووسَّع عليهم بعد فَقرٍ، وضِيقٍ، وحاجَةٍ، فُتِنُوا، و[ بَخِلُواْ بِهِ ]؛ أمسَكُوا حقَّ اللهِ مِن المالِ، وشحَّت به أنفسُهم، فلم يتصَدَّقُوا مِنه ما قَد وعَدُوا به، ومَا قَد قطَعُوه على أنفسِهم من العُهُودِ، [ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ]، فنقضُوا العَهدَ، وأعرضُوا عن الوفاءِ به، وبما قَطَعُوه على أنفُسِهم، وأصبَحَ عهدُهم خلفَ ظهُورِهم ـ ومِن الماضِي المنسِي ـ لا يَلتفتُون إليه، [ فَأَعْقَبَهُمْ ]؛ فأخلَفَهم، وأورَثَهم، [ نِفَاقاً ]؛ اعتقَادِيَّاً، [ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ]؛ إلى يومِ القِيامَةِ .. نِفَاقاً لا توبَةَ مِنه، جزَاءً [ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ ]؛ من أنَّهم سيتَصدَّقُون إن أغنَاهم اللهُ، ووسَّعَ عليهم في الرِّزقِ، [ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ]التوبة:75-77. فلم يَصْدُقُوا في عهودِهم التي عاهدُوا اللهَ بها .. وهذه الآياتِ الكريمةِ وإن كان لها أشخاصُها التي نزَلَت بسببِهم .. إلَّا أن أشخَاصَها يتكَرَّرون عبر الأزمنةِ والعُصُور، وإلى يومِ القيامَةِ .. كم مِن فقيرٍ مَعدُوم، تجوزُ عليه الصَّدقَةُ .. قد عاهدَ اللهَ لئن أغناهُ ورزقَهُ المالَ ليصدقنَّ، وليكونَنَّ من الصَّالِحِين .. فلمَّا رزَقَه اللهُ، وأغناهُ من فضلِه، افتُتِنَ، وشحَّ، واستعظَمَ إخراج حَقِّ اللهِ مِن مالِه، فنقَضَ عهدَهُ معَ اللهِ .. وجعَلَ بينَه وبينَ الفقراءِ ـ إخوانه بالأمسِ ـ سوراً عظِيماً .. وقال المال مالي؟!

* * * * *

## قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ

42- [ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ]التوبة:81. هذا الوَعِيدُ الشَّديدُ لا يَقْتَصِرُ على مَن يتخلف عنِ الجِهَادِ بذَرِيعةِ الحَرِّ .. بل هو يَطالُ كُلَّ مُتَخَلِّفٍ عن طاعةٍ، بِذريعَةِ حَرَارَةِ الطَّقْسِ؛ وبخاصَّة النِّساء اللَّاتي يَتَخَلَّفْنَ عن الحِجَابِ، وارتِدَاءِ الجِلْبَابِ، بمواصَفاته الشَّرْعِيَّة، بذَرِيعَةِ حَرَارَةِ الطَّقْسِ .. وأن الجَوَّ حَارٌّ .. ولهؤلاءِ جميعاً يُقال:[ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ]؛ لو كانُوا يَعلَمُون.

* * * * *

## فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً

43- [ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ]التوبة:82. مَهمَا ضَحِكَ الكفَّارُ والمنافِقُون في دُنيَاهُم .. فهو قَليلٌ جِدّاً لمَا يَنتظرُهم يومَ القِيَامَةِ، ويَكُونُ سَبَباً في بُكَائِهم الكَثِير؛ الذي لَا يَعقبُه ضَحكٌ أَبَدَاً .. ومِن الطُّغاةِ الظَّالمين الذينَ ضَحِكُوا في الحياةِ الدُّنيا، يُبكِيهم اللهُ في الدُّنيَا، بخاتمةٍ تَسُوؤهم، تُنسِيهم أيَّامَ ضَحِكِهم وفَرَحِهم، قَبلَ أن يُبكِيهم البُكاءَ الأكبَرَ يومَ القِيَامة!

* * * * *

## وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ

44- [ وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ]التوبة:85. عندما يَعيشُ المنافقُ حياتَه وفقَ أهوائِه وشَهواتِه .. بعيداً عن منهجِ اللهِ .. ومُعَارضاً لمنهجِ الله .. ويكونُ ذَا مالٍ وولَدٍ .. قد يَفتَتِنَ به المؤمنُ لما لدِيه مِن مالٍ وولَد .. فيتودَّد إليه، ويُعجَبُ به .. ويتمَّنى لو أنَّ له ما للمنَافِقِ مِن مَالٍ، وأن يَعيشَ حياتَه .. إلَّا أنَّ القُرآنَ الكريم يمنعُ المؤمنِين من الإعجابِ ـ مجرَّدَ إعجَابٍ ـ بهذا

المنافِقِ أو الكافرِ لما لَديه مِن مالٍ كَثيرٍ، وأبناء .. ويُبينُ لهم أن مَا آتاهُ الله من المالِ والولَد هو مِن قَبيلِ الاستدرَاجِ .. وليزيدَه عذَاباً في الدُّنيا بما ملَّكَه إيَّاه، فيَجعَلُه يَعيشُ الهمَّ، والخوفَ، والقَلَقَ لكلِّ مُصَابٍ يُصابُ به في مَالِه، وولَدِه، ولكلِّ خاطِرِ سُوءٍ يَقتربُ مِنه، ومِن مالِه .. ثم هو يزدادُ همَّاً، وحزناً، وقَلَقاً عندما يَدنُوا أجَلُه، ويُدركُه الموتُ ـ رغماً عن أنفِه ـ تاركاً كلَّ هذا الإرثِ وراءَه لأكلَتِه مِن الوَرَثةِ .. يُدركُه الموتُ وهو على الكُفرِ، ليُضَاعَف له العَذَاب، وليُسأَل، ويحَاسَب الحسَابَ الأكبَر يومَ القِيامَة .. فأيُّ هنَاءَةٍ، وأيُّ سَعادَةٍ لإنسانٍ هكَذَا هي حيَاتُه .. وهَذا هو مآلُه؟!

* * * * *

## وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ

45- [ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ]التوبة:88. ليسَ خَيراً واحِداً .. أو أَكْثَرَ .. بَل لهم الخَيرَاتُ، كُلَّ الخيرَاتِ .. خَيرَاتِ الدُّنْيَا والآخِرَة .. وهذا يَشملُ كلَّ مَن آمَنَ بالرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم، وجَاهَدَ بمالِهِ ونَفْسِه، مَن آمَنَ به في زَمَانِه، ومَن آمَنَ بِه، وجَاءَ مِن بعْدِه .. لأنَّ الجَّزاءَ على الصِّفَةِ والفِعْلِ، وليسَ على مجرَّدِ الزَّمَن.

* * * * *

## مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ

46- [ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ]التوبة:91. أي مِن حَرَجٍ، وطَرِيقٍ لمؤَاخَذَتِهم .. وفيهِ أنَّ المُحْسِنِين ـ عند الكَبَوَاتِ والعَثَرَاتِ، ومَوْرِدِ المُتَشَابِهات ـ يُتوَسَّعُ لهم في التَّأويلِ والأعْذَارِ، وإقَالَةِ العَثَرَاتِ، مَا أمْكَنَ لِذلكَ سَبِيلاً.

47- [ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ ]التوبة:91. لَا يَنتَفي الحرَجُ عن القاعِدِين عن الجِهادِ بأنفُسِهم؛ الذين حالَت بينهم وبينَ مشَاهِد ومواقع الجهَادِ، والمشاركَةِ فيه، ظرُوفٌ قاهِرةٌ مانِعَةٌ إلا بشَرْطٍ؛ أن يُضمرُوا خَيراً للمجاهدِين، وأن يَدْعُوا، ويَنْصَحُوا لهم، ويَذبُّوا عنهم بالكلمَةِ، وبما هو مُتاحٌ لهم .. وأن يعتزلُوا الإرجافَ، والتَّثبيطَ عن الجهادِ .. وأن يُخذِّلُوا عنِ المجاهِدِين مَا استَطاعُوا .. بهذا الشَّرطِ، وهذه المواصَفاتِ يُعذَرُون، وإلَّا فالملامَةُ تَطالُهم.

* * * * *

## لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ

48- [ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ]التوبة:94. مَا مِن كَيْدٍ يَكيدُونَه على الإسْلامِ والمسلمِين، ولَا مَكْرٍ يَمكرُونَه .. ولا شَرٍّ يُضْمِرُونَه .. إلَّا ولَنَا فِيه مِن اللهِ تَعَالى نَبأ، وعِلْمٌ، وخَبرٌ .. قَد أطلَعَنَا اللهُ تعالى في كتَابِه العَزيز على جميعِ أحوالِهم، وأخبَارِهم، ومَا يُضْمِرُون .. ولو حَاوَلوا أن يُظهِرُوا خِلافَ مَا يَكِيدُون، ويمكرُون، [ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ ]؛ لَن نُصَدِّقَكُم.

* * * * *

## يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ

49- [ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ]التوبة:96. المؤمنُ يُقيمُ أحكامَه على الظاهِرِ؛ فيحكُم أحياناً على منافقٍ بالإيمانِ، ويَرضَى مِنه ما يُظهر له .. فالمؤمنُ مِن جهةٍ مَعذُورٌ في خطَئِه، واجتهادِه الخاطِئ؛ لأنه مُلزم شَرعاً بأن يحكمَ على الظاهِرِ، لا على السَّرائِرِ، ولأنه غَير مُطَالَب بالتَّحرِّي، والشَّقِّ عما

في القلُوبِ، فَلا يَعلمُ ما في القَلُوب إلَّا علَّامُ الغيُوب .. ومِن جهةٍ أخرَى فإن حكمَ المؤمِن الخاطِئ لا يُغيِّرُ من حقيقَةِ الأشياءِ شَيئاً، فلا يجعلُ مِن الكافِرِ، ولا المنافقِ عند اللهِ مؤمناً مَرضيَّاً .. ولَا مِن المرَائي عند اللهِ مخلِصاً .. ولإن يَرضَى الناسُ عن منافقٍ أو مُرائٍ فإن اللهَ تعالى لَا يَرضَى عنه؛ لأنه سُبحانه يَعلم مِنه مَالا يعلمه النَّاسُ .. ثم ما قِيمةُ أن يَرضَى الناسُ عن أحَدٍ قد سخطَ اللهُ عليه، ومَا يضرُّه إن رضي اللهُ عنه، وسخطَ عليه الناسُ .. فمن أرْضَى اللهَ بسخَطِ الناسِ؛ رَضِي اللهُ عنه، وأرضَى عنه الناسُ، ومَن أسخطَ اللهَ بِرِضَى الناسِ، سخطَ اللهُ عليه، وأسخطَ عليه النَّاسَ؟!

* * * * *

## وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ

50- [ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ]؛ هم أصحابُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، [ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ]؛ اتَّبعوا الصحابَةَ الذين اتَّبعُوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فلم يحيدُوا عن سُنَّتِهم، وهَدْيهم، وفَهْمِهم لكتَابِ اللهِ، ولسنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم .. ولم يُقدِّمُوا فهمَ وتأويلاتِ الخلَفِ والمتأخِّرين ـ في حال التعارض ـ على فهمِهم، [ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ]؛ رضيَ عن التزامِهم، وفهمِهم، وسَلامَةِ اعتقادِهم، [ وَرَضُواْ عَنْهُ ]؛ رباً، ومعبوداً، ومَألوهاً .. ورَضُوا عن ثوابِه الجزِيلِ الذي وعدَهم إيَّاه .. وهم مُقابل تحقيقِ المتابعةِ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولما كان عليه الصَّحابة رضي الله عنهم من فَهمٍ للدِّين، والتزامٍ به .. ومُقابل رِضَاهُم عن اللهِ عزَّ وجل ربَّاً ومَعبوداً .. كافأهُم اللهُ:[ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ]التوبة:100. والآية فيها أن من يَطعنُ بالصحابةِ رضيَ اللهُ عنهم، وبالتَّابعين لهم بإحسانٍ ـ وهم كلُّ

مَن اتبعهم بإحسانٍ إلى يومِ القِيامةِ ـ فهو يطعنُ بدينِ اللهِ، ويُكذِّبُ بكتابِ الله وآياتِه .. ويردُّ على اللهِ كلامَه .. وهذا لا شَكَّ في كُفْرِه، ومروقِه من الدِّين!

* * * * *

## لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ

51- [ لاَ تَعْلَمُهُمْ ]؛ لَا تعلمُ المنافِقِين؛ لأنهم يُظهِرُون الإسلامَ، ويُضمِرُون في قلُوبِهم الكُفرَ، ولَا سُلطانَ لك على قلُوبِهم، وما يُضمِرُون، [ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ]؛ لكن اللهَ تعالى يَعلمُهم، ويَعلمُ نفاقَهم، ومَا يُضمِرُون في قلُوبِهم، فلَا يخفَى عليه شيءٌ مِن حالِهم، [ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ]؛ مرَّةً بفضحِهم، وإظهَارِ نفَاقِهم، فنجعلُ للمؤمنين عليهم سُلطاناً، ومرَّةً عند الموتِ؛ فيُعَذَّبُون في قبُورِهم، [ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ]التوبة:101. وهو العذَابُ الأكبرُ يومَ القِيامَةِ.

* * * * *

## وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ

52- [ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ ]؛ أقَرُّوا، [ بِذُنُوبِهِمْ ]؛ بتَقْصِيرِهم وخَطَأهم .. لم يُكَابِرُوا، ولم ينْكِرُوا .. أو يجَادِلُوا عن خَطأهِم وذُنُوبِهم، [ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً ]؛ وهذا حَالُ كَثيرٍ مِن النَّاسِ .. يُحْسِنُون ويُخطِئون .. وهؤلاء أفضلُ بكثيرٍ ممَّن لا يَأتِي إلا بالسَّيئاتِ، أو يَغْلِبُ عليه السَّيئاتِ .. ينبغي أن يُشَجَّعُوا .. وأن يُثْنَى على جانِبِ الخيرِ والصَّلاحِ فِيهم خَيراً .. لا أنْ يُثَبَّطُوا، وتُذْكَرُ سيئاتهم عِند كُلِّ حسَنَةٍ يَقُومُون بِها .. عسَى أن تَقِلَّ وتَضِيقَ مسَاحَةُ السِّيئاتِ لَدَيْهِم .. وهؤلاء:[ عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ]؛ فيتَجَاوزُ عن الجَانِبِ الذي أخطَأوا وأَسَاؤوا فِيه، [ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ]التوبة:102.

* * * * *

## وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ

53- أنت في هذه الدنيا مجرّد أجيرٍ مستخدَم، ومُستخلَف ـ لا حريّة ولا حق لك في نفسِك ولا مالِك أن تفعل فيهما ما تشاء ـ والله تعالى ناظرٌ إليك ماذا ستفعل فيما استخدمَك فيه، وفيما استأمنَك واستخلفك عليه:[ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ]التوبة:105.

* * * * *

## وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً

54- [ وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ ]التوبة:107. ونَحْوَ مَسْجِدِ ضِرَارٍ، كُلُّ مَدْرَسَةٍ أو طَاعَةٍ تُنَشَّأُ وتُمارَسُ على نيَّةِ وقَصْدِ الإضْرَارِ، والتَّفْرِيقِ بين المؤمنين، فلها ولأهْلِها حُكْم مَسْجِد ضِرَارٍ .. وبِخَاصَّة أولئك الذين يَطلبُون العِلْمَ والمشْيَخَةَ على نِيَّةِ وقَصْدِ التَّشْويشِ على النَّاسِ أمْرَ دِينِهم، والإضْرَارِ بِهم، والتَّفْرِيقِ بينَ المؤمنين .. فهؤلاء مِن حِزْبٍ وجمَاعَةِ " مَسْجِد ضِرَارٍ !"

* * * * *

## أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ

55- [ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ]التوبة:109. كما أنَّ البُنيانَ لا يُمكنُ أن يتماسَكَ، ولا أن تقومَ له قائمةٌ ـ وهو سُرعان ما يَتهاوَى ويَنهَار ـ إذا رُفِعَت قوائمُه وطوابِقُه مِن غيرِ أُسسٍ متينةٍ صحيحةٍ ضَارِبَةٍ في أعماقِ الأرْضِ .. كذلك الأعمالُ لا تُقبَلُ، ولا تَتماسَكُ، ولا يمكنُ الانتفاعُ منها إلا إذا أُقِيمَت على دَعائم وأُسسٍ مَتِينَةٍ من الإيمانِ

والتَّوحِيدِ .. والتَّقْوَى والعملِ الصَّالح .. مخافَةً مِن اللهِ، وطَلَباً لِرِضْوانِهِ ومحبَّتِه .. فالتَّوحيدُ هو الأَسَاسُ الذي يقومُ عليه البُنيانُ .. والتَّقْوَى، والعملُ الصَّالحُ هي الدَّعائمُ التي تَزيدُ الأَسَاسَ متانَةً وقوَّةً .. أمَّا مَن يأتي يومَ القِيامَةِ بالأعمَالِ الكَثِيرةِ مِن غيرِ أُسُسٍ مَتينَةٍ مِن التَّوحِيدِ، والتَّقوَى، والعَمَلِ الصَّالح .. فهَذا مآلُه ومَثَلُه، مَثَلُ:[ مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ].

* * * * *

## إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ

56- [ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ]؛ كل المؤمنين؛ ذُكوراً وإناثاً .. لا يتخلَّفُ عن هذا البيعِ من المؤمنين أحَدٌ .. فالبيعُ قَد تمَّ، والشَّارِي هو اللهُ تعالى .. اشترَى ما يملِكُه ومَا هو مِن مُلكِه؛ زيادَةً في الفضْلِ، والتَّرغيبِ والتَّشويقِ لمن قَد بَاعَ .. ومَن يجحَدُ هذا البَيعَ، وهذا الشراء .. ويُريدُ أن يَنقُضَ الصفقَةَ، ويخرجَ مِنها .. أو يريدُ أن يعقدَ صفقةَ البيعِ مرةً ثانيَةً معَ غيرِ اللهِ بعد أن باعَ للهِ .. يخرجُ مباشرةً مِن صِفةِ ومُسَمَّى [ الْمُؤْمِنِينَ ]، إلى صفةِ ومُسمَّى الكافِرين .. ما هو المبَاعُ، ومَا هو المُشْتَرَى؟ [ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم ]؛ وهذا مِن لوازِمِه أن تكونَ حياتُكَ ـ يا عبد الله ـ كلها للهِ .. وأن يكونَ مالُكَ كُلّه للهِ .. فلا يَراكَ اللهُ إلا حيثُ يحبُّ ويَرضَى .. فتكون حيثُ يُريدُ اللهِ مِنكَ أن تكونَ .. ولا تَضَع مالَكَ إلا حيثُ يُحبُّ ويَرضى .. فأنتَ ومالُكَ مملوكان للهِ تعالى، ولا يجوزُ للمملوكِ أن يضعَ نفْسَهَ ومالَه، أو أن يتصرَّفَ في شيءٍ مِن نَفْسِه ومالِه إلا حيثُ وفِيما يحبُّ ويَرضَى مالِكُه وخالِقُه .. هذا هو البيعُ .. وهذهِ هي السلعَةُ: النَّفْسُ، والمالُ .. فما هو الثمن؟ [ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ]التوبة:111. ما أعظمَهُ، وأجلَّه، وأرفعه مِن ثمنٍ، وأجْرٍ .. أنْعِم وأكرِم بهِ مِن ثمنٍ عَظِيم .. إنه عطاءُ رب العالمين.

* * * * *

## مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ

57- [ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى ]؛ مَن ماتَ على الشركِ لا يجوزُ الاستغفارُ والتَّرحمُ عليه؛ لأنَّ اللهَ تعالى قَد نَهى عَن ذلك .. ولأنَّ الاستغفارَ له لا يَنفعُه شيئاً؛ فقد كتَبَ اللهُ تَعالى على نفْسِه أن لا يَغفِرَ لمشركٍ ماتَ على الشركِ والكُفرِ .. ومعَ هذا النَّهي الصَّريح مِن ربِّ العالمِين، كثيرٌ من الناسِ تأخذُهم العاطِفَةُ، وعصبيَّةُ التَّحزُّبِ والانتماءِ؛ فيتَرحَّمون على مَن ماتَ على الكُفرِ، والشِّركِ، والمحادَدَةِ، والبَعض يُبالغ فيُدخلهم الجنَّةَ، ويجعلُهم من الشُّهدَاءِ!، [ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ]التوبة:113. مِن بعدِ علمِهم أنهم ماتُوا على الكُفرِ والشِّركِ .. فكلُّ مَن نعلمُ منه أنه مَاتَ على الكُفرِ والشركِ، مِن غير توبةٍ، نجزمُ له بأنَّه من أصحابِ الجحيمِ، ومِن المعذَّبين في النَّارِ، وهذا ليسَ من التَّألِّي على اللهِ.

* * * * *

## فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ

58- [ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ]التوبة:114. قَد يُعذَر المؤمنُ عندما يُظهِر نوعَ مُوالاةٍ لمن يتَشابَه عليه أمرُه؛ فلا هو إلى الكُفْرِ قَولاً واحِداً، ولا هو إلى الإيمانِ قولاً واحِداً .. يُظهِر من الأعمالِ مَا يُقرِّبُه إلى الكُفرِ حِيناً، وحِيناً آخَر يُظهِر من الأعمالِ ما يُقرِّبه إلى الإيمانِ .. فيتَشَابه أمرُه على المؤمنِ .. لكن إن تَبيَّن له بالدليلِ القَاطع والحاسِم أنه عدُوٌّ للهِ، ولرسولِه، وللمؤمنين .. فحِينئذٍ يجبُ عليه أن يتَبرأ مِنه، ومِن كُفْرِه، ولو كان مِن ذَوي القُرْبَى .. ولَا يُقبَل مِن المؤمنِ أن يُظهر أيَّ تراخٍ أو تَردٍ في مفاصَلتِه، والبراءةِ مِنه.

59- [ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ]التوبة:114. فيه أنَّ البرَاءَةَ التَّامَّة تكُونُ معَ البينَةِ التَّامَّةِ .. فالشَّكُّ، والظَّنُّ يُقابلهمَا شَكٌّ، وظَنٌّ .. واليَقِين يُقابِلُه يَقِين.

* * * * *

## لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ

60- [ لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ]التوبة:118. كُلُّ شَيءٍ ممْكِنٌ أن تَلتَجِئَ منه إلى غَيرِه .. تَفرُّ مِنْه إلى سَوَاه، إلَّا اللهُ، فإنَّك تَلتجِئُ مِنْه إليه .. تَفرُّ منه إليه .. ومَهمَا حَاوَلْتَ فلَن تِجدَ مَلْجَأً تَأوي إليه منه إلَّا إليه .. فتَلتَجِئُ مِن مَعْصِيتِه بطَاعَتِه، ومِن غَضَبِه بِرِضَاه، ومِن عقُوبَتِه بعَفْوِه، ورَحْمَتِه.

* * * * *

## ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ

61- [ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ ]؛ تَابَ عليهم أوَّلاً ثم ألهمَهُم وأعانَهم على التَّوبَةِ .. فلو تَابُوا أوَّلاً قبلَ أن يتوبَ اللهُ عليهم لرُدَّت تَوبَتُهم، ولوجَدُوا بابَ التَّوبَةِ مُؤصَداً، [ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ]التوبة:118. إنَّ اللهَ شَديدُ وكَثيرُ التَّوبِ، يَتُوبُ على عِبادِه، ويَقبَلُ مِنهم التوبَةَ، ويُوفقُهم للتوبَةِ، ويُعينُهم على التَّوبَةِ .. وعليه إن وَجَدْتَ نفسَكَ ـ يَا عَبدَ اللهِ ـ مَشْدُوداً ومُنقَاداً للتوبَةِ، فاعلَمْ أنَّ اللهَ تعالى قَد تَابَ عَليك، ويُريدُك أن تَتوبَ .. اللهمَّ تُبْ علينا لِنَتُوب.

* * * * *

## وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ

62- [ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ]التوبة:119. الصِّدقُ عنصرٌ مُرجِّحٌ لتحديدِ المعيَّة؛ فإن وُجِدَ فريقَان، انظر أقربَهُمَا للصِّدقِ، وتَصدِيقِ الصِّدْقِ، والوَفاءِ بالعُهودِ، فالزَمْهُ ..

وكُنْ مَعَه .. فملازَمتُه مَنجاةٌ لك في الدُّنيا والآخِرَةِ .. وهذا يَشْملُ الأصحابَ والأصْدِقاءَ؛ فإنَّ الصَّديقَ لا بُدَّ مِن أن يُراعِي عُنصرَ الصِّدْقِ فِيمَن يتخذه صَديقاً .. أمَّا مَن يُعرَف بالكذبِ، وتكذِيبِ الصِّدْقِ، وتَصْدِيقِ الكَذِبِ؛ فيَعتزِلُه، ولا يَتخذه صَديقاً.

* * * * *

## ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ

63- [ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ]التوبة:120. عِندَمَا يجتمعُ فِيكَ الإخلاصُ، وصِدْقُ النيَّةِ، معَ حُسْنِ المتابَعَةِ للكِتَابِ، والسُّنَّةِ .. تُصبحُ جميعُ أعمَالِك، وحرَكَاتِك .. وجميعُ أحوَالِك وتَقلُّباتِك .. وجميعُ مَا يُصِيبُك مِن خَيرٍ أو شَرٍّ .. عِبادَةً .. ويُكتَبُ لك بها أجْرٌ وعَملٌ صَالِحٌ.

* * * * *

## وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً

64- [ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ]؛ أي إلى الجهَادِ، [ فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ]؛ طائفةٌ تغزُو وتُجاهِد، وطائفةٌ تمكثُ وتقْعدُ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ [ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ ]؛ ليتعَلَّموا الجديدَ من المسائلِ والعِلمِ الذي يَتنزَّلُ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم، [ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ ]التوبة:122. وليُعَلِّموا الطائفةَ المجاهدَة ما تَعلَّموه من النبيِّ صلى الله عليه وسلم عندما تَعودُ من الغزوِ والجهادِ .. وفي هذه الآية الكريمة إبطالٌ للقاعِدَةِ المزعُومَةِ الشائعةِ، والتي يتنَاقَلُها بعضُ المتحَمِّسَةِ " لَا يفتي قاعدٌ

لمجاهِدٍ "؛ فهذه قاعدةٌ باطلةٌ، لا أَصْلَ لَها، مَردُودٌ عليها بنصُوصِ الكتَابِ والسُّنَّةِ، وفعلِ الصَّحابةِ، والأئمةِ الأربعةِ، وغيرِهم مِن كبَارِ أهلِ العِلم.

* * * * *

## وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً

65- [ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ]التوبة:123. أرَى في الرِّفقِ مَنهَجَ حَيَاةٍ، وبخَاصَّة عند التَّعامُل معَ أخطَاءِ العَوَام، ومَن كان خَطُؤه عن شَهوَةٍ وضَعْفٍ، أما عِند التّعامُلِ والتَّخاطُبِ معَ الزَّنَادِقَةِ والمنَافِقِين، ومعَ دُعَاةِ وأربَابِ الأهوَاء، مِن أهلِ الإفرَاطِ والتَّفْرِيطِ، أهلِ الغُلُوّ والجَفَاء .. فهؤلاء ليسَ لهم إلَّا الشِّدَّة والغِلظَة في الخِطَابِ، والمعَامَلَة!

* * * * *

## وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ

66- [ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ ]؛ مِن القُرآن الكريم، [ فَمِنْهُم ]؛ مِن المنافقِين، [ مَّن يَقُولُ ]؛ يقُولُ بَعضُهم لبَعضٍ؛ على وَجهِ التَّهكُّم، والسُّخريَة، [ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ ]؛ السورةُ التي نزَلَت، [ إِيمَاناً ]؛ وأنَّى أن تزيدَهم إيماناً، وهم يَستقبلُون نزُولَ السُّور القُرآنيَّة بالاستخفَافِ، والتَّهكُّم، والسُّخريَّة .. فالعِلمُ لَا يَستفيدُ مِنه إلا مَن يتلَقَّاه بقوَّةٍ، ويُقبلُ عليه بجدٍّ، وإخلاصٍ، وهذه معَانٍ يفتَقِدها المنافِقُون، وكلُّ مَن يَقترب مِن صِفَاتِهم، وطريقَتِهم في تَلَقِّي العِلم، [ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ ]؛ بمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وبما أُنزلَ إليه مِن رَبِّه، [ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً ]؛ زادَتهم تَصديقَاً، وعِلماً، وعمَلاً .. فهم قَبل نزُولِ السورَةِ لم يَكُن يَعلمُون، ولا يَعمَلُون بها، فلما نزَلَت، وأخذُوها بقوَّةٍ، وجِد، ازدَادُوا بها إيمانَاً، وعِلماً، وعمَلاً بمقتضَاها، ومَا تَتضمَّنته مِن أحكامٍ .. ومِنه يُستفادُ أن الإيمانَ ـ كما هو

اعتقَادُ السَّلفِ الصَّالحِ ـ يَزيدُ ويَنقصُ، يَزيدُ بالعِلمِ، والعَمَلِ بالطَّاعَات، ويَنقصُ، ويَضعفُ بالجهلِ، والمعَاصِي، وهَذا أمرٌ يَلمسهُ كلُّ مؤمنٍ مِن نفْسِه، [ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ]التوبة:124. يَفرحُون بما أنزلَ اللهِ مِن سُور، ومَا تَتضمَّنه مِن أحكامٍ، وعلُومٍ ـ يرقى بها إيمانُهم ـ لم يَكن يَعرفُونها مِن قَبل .. والعِلمُ ليسَ له حَدٌّ يَنتهي عندَه أو يتوقَّف عندَه الطَّلب .. والمرءُ مهمَا اغترفَ مِن العِلمِ يَنشدُ المزِيدَ، والجديدَ عليه .. ويَقُولُ ربِّ زِدني عِلماً .. وهو كلما اكتَسبَ جَديداً مِن العِلمِ ـ لم يَكُن يعلمُه مِن قبلِ ـ وعملَ به .. ازدَادَ إيمانُه، ويَقينُه.

* * * * *

## وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ

67- [ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ]؛ مَرضُ النِّفاقِ، والشَّك، [ فَزَادَتْهُمْ ]؛ سُورةُ القُرآنِ الحديثَة النزُول، التي قابلُوها بالجحودِ، والإعراضِ، والاستهزاءِ، [ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ ]؛ كُفراً إلى كُفرِهم، وضَلالاً إلى ضلالِهم، وعذَاباً إلى عذابِهم، ونجاسَةً إلى نجاستِهم .. إلى أن يَتغلَّظ عليهم الكُفرُ، ويتراكم، فلا يَستطيعُون الفَكَاكَ منه، [ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ ]التوبة:125. فيموتُون وهم كافِرون .. فيه أن الكفرَ أنواعٌ ودرَجاتٌ؛ مِنه الأصغَر، ومِنه الأكبَر .. والكُفرُ الأكبَر؛ مِنه الكفرُ المجرَّدُ، ومِنه الكفرُ المغَلَّظ، والمركَّب .. وكلما زِيدَ على الكفرِ المغلَّظِ كفرٌ آخَر، وأنواعٌ أُخرَى من الكُفرِ، وتَراكم الكُفرُ بَعضُه فوقَ بعضٍ، تَغلَّظَ الكفرُ أكثَر، وتحوَّل صاحبُه مِن كافرٍ عاديٍّ مِن ذَوي الكفرِ المجرَّدِ، إلى طاغُوتٍ كبير، مِن ذَوي الكُفرِ المغَلَّظ!

* * * * *

## وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ

68- [ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ ] مِن القُرآنِ الكَرِيم، [ نَّظَرَ ]؛ المنافِقُون، [ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ]؛ نظرَ تغامُزٍ، واستفهامٍ، واستفسَارٍ، [ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ]؛ مِن المؤمنِين .. وسبَبُ استفسَارِهم أنهم يُريدون أن يَسخرُوا مِن القرآنِ الكَرِيم، وأن يُعربُوا عمَّا في قلوبِهم مِن نفَاقٍ، وغشٍّ، وكُرهٍ للإسلامِ والمسلمِين .. فيخَافُوا أن يسمعَهم أو يراهُم أحَدٌ من المؤمنِين، فينكشف نفَاقُهم، ويَغفَلُون أنَّ اللهَ يَراهُم، ويَسمَعُهم، [ ثُمَّ انصَرَفُواْ ]؛ مُعرضِين، ومُدبِرين قَبل أن يَسمعُوا ما أنزَلَ اللهُ مِن الحقِّ، استخفَافاً به، [ صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُم ]؛ عن الهُدَى، وعمَّا ينفعهم في آخِرتِهم .. فعاقَبهم اللهُ من جنسِ فعلِهم، وذَنبِهم؛ فكما أنَّهم انصَرَفُوا عن الاستماعِ، صرفَ اللهُ قلوبَهم عن الانتفاعِ بما أنزَلَ، وذلك، [ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون ]التوبة:127. الخِطابَ الشَّرعِي، ولَا يَلتزِمُون بِه .. وهذا النموذَجُ مِن المنافقِين ـ بصفاتِهم الآنفَةِ الذِّكرِ، وطريقَة تعامُلِهم معَ الحقِّ ـ يتكررُ عبر الأزمنَةِ والعُصُور .. فلا يَقتصرُ على زَمَنٍ دُونَ زَمَنٍ!

* * * * *

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ

69- [ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ]التوبة:128.

هذه بعضُ صفاتِ سيدنا رسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم .. أنْعِم وأكْرِم بها مِن صِفَاتٍ .. ما أنبَلها وأجمَلها وأعظمها مِن صِفات .. فإنَّه صلى الله عليه وسلم يَشتدُّ عليه الألمُ والحزَنُ إذا ما أصابَ المسلمين مَشقَّةٌ أو تَعبٌ .. حريصٌ عليهم أن لا يُصيبُهم أي مكروهٍ في دينِهم، وفي أنفسِهم، ومعاشِهم .. يَسهرُ على راحتِهم، وأمنِهم، وسَعادَتِهم .. ويحيطُهم بالرحمةِ، واللطفِ، والرِّفقِ، والخَيرِ ما أمكنَه لذلك سَبيلاً .. وهو صلى الله عليه وسلم من هَذا الوجْه أشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً .. وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك مَثَلٌ أعْلَى، وقُدوَةٌ

حسنةٌ للقادَةِ والأمراءِ مِن بعدِه، كيفَ يجبُ عليهم أن يألموا لألمِ الناسِ .. وأن يَعيشُوا حياتَهم وواقِعَهم .. وأن يَقلقُوا لأيِّ أذَى أو ضررٍ ينزلُ بهم، ويعمَلوا جاهدِين على دَفعِه عنْهم .. فالقيادَةُ مسؤوليةٌ وأمانَةٌ .. وليسَت مغنَمَاً، وسَبباً للتَّعالي، والتَّسلُّطِ بالجَّبرُوتِ على رقابِ، وأرزاقِ العِباد!

* * * * *

## مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ

70- [ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ]يونس:3. أَيَّاً كانَ هَذا الشَّفِيعُ، سَواءٌ كانَ مِن الأنبياءِ والرُّسُلِ، أم من الملائِكَةِ المقرَّبين، أم من العُلَمَاءِ والشُّهدَاءِ .. لا أحَدَ يَستطيعُ أن يَشفعَ يومَ القِيامَةِ مِن تِلقاءِ نَفْسِه إلَّا بَعدَ أن يأذَنَ اللهُ له في أن يَشْفَعَ .. وفِيمَن يَشفَع .. والكَم أو القَدْر الذي يَشفَعُ لهم .. فيحدُّ اللهُ له حَدَّاً ممَّن يُؤذَن له أن يَشفعَ لهم لا يتجاوَزه .. كما لَا يَستطيعُ أحَدٌ أن يَطلبَ الشَّفاعَةَ مِن أحَدٍ، إلَّا بإذنٍ مِن الله .. فالشَّفَاعَةُ كُلُّها للهِ، وبيدِ اللهِ، يمنحُهَا لمن يَشاءُ، وبالقَدْرِ الذي يَشَاء، ويمنعُهَا عمَّن يَشَاء.

* * * * *

## إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا

71- [ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ]؛ لَا يَرجُون اليومَ الآخِرِ؛ لسُوءِ أعمالِهم، وطويَّتِهم، وتمسُّكِهِم بالدُّنْيَا، [ وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ]؛ رَضُوا بمتاعِ وزينَةِ وزُخْرُفِ الحياةِ الدُّنيا، فلمْ يَعُد يتطلَّعُون إلى حياةٍ سِواهَا .. وهذا لجهْلِهم بالحياةِ الآخِرَةِ وما أعدَّ اللهُ تعالى فيها لعبادِه المؤمنين مِن نَعيمٍ عظيمٍ مُقيمٍ يَفُوق التَّخيُّلَ والتصور .. لَا وجْهَ للقياسِ بينهُ وبينَ متَاعِ الدنيا الزائِلِ .. فآثَرُوا الذي هو أدْنَى على الذي هو أعْلَى![ وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا ]؛ اطمَأنَّت نفوسُهم إليها، وركَنُوا إليها ركُونَ المطمئِنّ؛ بحيث لم يَعُدْ عندهُم هِمَّةٌ ولا إرادَةٌ ولا رغبَةٌ للحركَةِ والانتقالِ عنها إلى مَا سِواها؟![ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ]يونس:7. غافِلُون عن الآياتِ الكونيَّةِ، والآياتِ النَّفْسِيَّةِ، والآياتِ السَّمْعِيَّةِ القُرآنيَّةِ .. التي تُبيِّن لهم خَطأ ما هُم فيه .. وخَطأ اختيارِهم، واطْمِئنانِهم للدنيا دُونَ الآخِرة!

* * * * *

## وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ

72- [ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ]؛ الكافِرَ الجحودَ، [ الضُّرُّ ]؛ في نفسِه، أو مالِه، [ دَعَانَا ]؛ نَسي ما كان يَعبدُ مِن دُونِ اللهِ؛ لعلمِه وشعُورِه أنَّها لا تنفعُ، ولا تَضرُّ، ولا تملكُ مِن الأمرِ شيئاً .. وتوجَّه إلى مَن بيدِه الأمر كلِّه، تَوجَّه إلى اللهِ تعالى بالدعاءِ ليكشفَ عنه الضرَّ، [ لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً ]؛ يَدعو اللهَ في جميعِ أحوالِه، وتَقلباتِه؛ وهو قَاعدٌ، أو قائمٌ يمشِي، أو مَستلقياً على جَنبِه، وعلى أي وجهٍ كان .. تراه يُلحُّ في الدُّعاءِ، والسؤالِ، واللجوءِ .. وقوله:[ لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً ]؛ فيه دلالَة على شدَّةِ اللجُوءِ، وشِدَّةِ القَلَقِ، والخوفِ، والاضطرابِ، وعدَمِ التماسُك، [ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ ]يونس:12. فلما كشفَ اللهُ عنه ما نزلَ به من ضُرٍّ وبَلاء .. وعادَت إليه عافيتُه .. نسيَ ما كان مِنه من دُعَاءٍ، ولجوءٍ إلى اللهِ .. وكأنَّه لم يُصَب بضرٍّ مِن قَبل .. وعادَ من جَديد إلى الفَرح، والبَطَرِ، وإلى ممارسَةِ الشركِ، وعبادَةِ غيرِ اللهِ .. في الشدَّةِ تراه يُقبل على اللهِ، وفي الرَّخاءِ يُقبلُ على الشُّركاءِ، والأندَادِ .. وما أكثر هؤلاءِ الذين يَصنَعُون صَنيعَ الكافِرِ هذا؟!

* * * * *

## وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ

73- [ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ ]يونس:13. فلمَّا ظلمُوا، وتمادوا في الظُّلمِ، جاءهم الهلاكُ، والدَّمَار .. فالأُمَم تَدُومُ، وتقومُ بالعَدلِ، وتَزولُ بالظُّلمِ .. فالهلاكُ يكمن، ويَسكنُ خلف قَنطرةٍ، اسمها قنطرةُ الظُّلمِ، فمن تَعدَّى قنطَرَةَ الظُّلمِ، وقعَ في الهلاكِ لا محَالَة .. والظلمُ أنواعٌ؛ مِنه ظلمُ العِبادِ بعضُهم بعضاً، وظلمُ النَّفسِ؛ بركوبِها المعَاصِي .. وأشدُّ أنواعِ الظلمِ، وأعلاه، الإشراكُ باللهِ العظِيم .. كما قال تعالى:[ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ]لقمان:13.

* * * * *

## وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ

74- [ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ ]؛ وهذا قمةُ السَّفَاهةِ، والحُمقِ؛ إذْ كيفَ يتوجَّهون بالعبادَةِ لمن لا يَنفعُ ولا يَضُر .. وإذَا ما رُوجِعُوا، وسُئلُوا لماذا يَعبدُون مَالا يَضرُّهم، ولَا ينفعُهم؛ فالعِبادَةِ تُصرَف لمن بيدِه النَّفع والضُّر؟! أجابوا:[ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ]؛ فلم ينكروا أن آلهتَهم التي يَعبدُونها من دونِ اللهِ لَا تنفعُ، ولا تَضر .. بل أقَرُّوا .. وكانُوا يتذرَّعُون لشركِهم بأن هذه الآلهة واسِطَتَهم إلى اللهِ، وأن لهم سُلطة تمكِّنُهم مِن الشَّفاعَةِ لهم يومَ القِيامةِ، وهم لأجلِ ذلك يَعبدُونها، ويتوجَّهُون إليها بالدُّعاء! [ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ ]؛ وجُودَه، [ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ ]؛ فهذا الذي تخبرون عنه لا يُوجدُ شيءٌ مِنه في السمواتِ ولا في الأرضِ، فكيفَ تثبتون شيئاً، اللهُ تعالى لا يعلمَ بوجُوده، ولم يَأذن به، فهل يكون في الوجودِ الذي خلقهُ اللهُ تعالى شيء لا يَعلمه اللهُ، وأنتم تَعلمونَه؟! وهل أنتم أعلَم مِن الله بما هو كائنٌ ومَا لم يكُن؟![ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ]يونس:18. فاللهُ تعالى منزَّهٌ عن الشركِ، والشُّركاءِ .. وعمَّا يقولُ هؤلاء المشركُون عن شفعائِهم الذين لا وجُود لهم أصْلاً!

* * * * *

## قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً

75- [ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا ]؛ مَا إن يكشِفَ اللهُ عنهم الشِّدَّةَ، وينقَلبُوا مِن بعدِ العُسْرِ والشِّدَّةِ إلى رخَاءٍ وسَعَةٍ .. بَدَلاً مِن أن يُسرعُوا في الشُّكرِ لله، والدُّخُولِ في عبادَتِه، أن رَفَعَ عنهم الضَّرَّاءَ والشِّدَّةَ .. يُسرعُون إلى ما كانُوا عليه قبلَ الضَّرَّاءِ مِن كُفْرٍ، ومجُونٍ، واستهزاءٍ باللهِ، وآياتِه، وطَعْنٍ في الدِّينِ ..

[ قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْراً ]يونس:21. أسرَعُ مِنهم في إبطَالِ مَكْرِهم، واستهزَائِهم، وطَعْنِهم .. وإعَادَتِهم ثَانيَةً إلى ما كانُوا عليه مِن الضَّرَّاءِ، والشِّدَّةِ، والعُسْرِ .. عِندَما تكونُ المعركَةُ بين الكافِرين والمؤمنين؛ قد تكونُ للكافِرين جَوْلاتٌ، وجَوْلات؛ يَنتَصِرُونَ حِيناً، ويُهزَمُون حِينَا .. أمَّا إذا كانَت معركَتُهم معَ اللهِ تعالى مُبَاشَرَةً .. فاللهُ تعالى لا يُحارَب .. وهو الأسْرَعُ مَكراً، وانتِقَاماً .. والمنتَصِرُ فيها واحِدٌ؛ وهو اللهُ تعالى.

* * * * *

## يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم

76- [ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم ]يونس:23. لا يَفْرَحْ بَاغٍ عَادٍ بِظَفْرٍ، فعواقِبُ بَغْيِه سَتَنْقَلِبُ عليه في الدُّنْيَا، غيرَ الذي يُدَّخَر لهُ من العَذابِ في الآخِرَةِ!

77- [ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم ]يونس:23. مَا تَرتكبُونَه مِن شِرْكٍ، وظُلمٍ، وفسَادٍ .. إنما هو بَغيٌ وعدوان مِن عِندِ أنفُسِكُم على الحقِّ المنزَّلِ .. مَا أنزلَ اللهُ به مِن سُلطَانٍ .. وآثَارُه تَرتَدُّ عليكُم؛ في الدُّنيَا مَزِيداً مِن الشَّقَاءِ، والخرَابِ، وضَنَكِ العَيشِ، وفي الآخِرةِ عذَاباً أليماً .. فأنتم مَن سيَدفَعُ ضَريبَةَ بَغيكم .. فأنتم البَاغِي والمَبْغِيُّ عليه .. ولا تَلومُنَّ إلا أنفُسكم!

* * * * *

## إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ

78- [ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ]يونس:24. هكذا هي الحيَاةُ الدُّنيا؛ بُزُوغٌ وأفُولٌ .. انتفَاخٌ،

وانتفَاشٌ، وضُمور .. قُوَّةٌ، وضَعْفٌ، وذُبُولٌ .. خُضرَةٌ، وهَشيمٌ تَذْرُوه الرِّياحُ .. أرحَامٌ تَدْفَع، وقُبُورٌ تَبْلَع .. حياةٌ وموتٌ، لا دوامَ، ولَا بقاءَ لحيٍّ فيها .. تُعطي عطَاءَها البَدِيع الجميل، وتُخرجُ أسرَارَ وخيرَات باطِنِها، وتَتَزَيَّن وتتجمَّلُ للرَّائين .. فيظنُّ الإنسانُ الجحودُ الجهولُ أن هذا الجمالَ، والعطَاء، والخيرَ مَردُّه إلى الأسبَابِ التي هي مِن عِندِ نَفْسِه، أو من عندِ الطبيعَةِ .. مِن دُونِ اللهِ، مِن دُونِ أن يردَّ الفضْلَ فيمَا هو فيه مِن نِعَمٍ وخَيرٍ إلى اللهِ .. فيؤمُن بالسَّبب المخلُوق، ويجحَدُ المسبِّبَ الخالِقَ، واجِد الوجُود .. ويَنظرُ إلى جمالِ الصُّورَةِ، ويجحَدُ جمَالَ المصَوِّر .. ثم هو معَ هذا الاعتقادِ الفاسِدِ، والتَّصوِّر الخاطِئ، الذي يحملُه على العُجبِ، والتِّيهِ، والكِبرِ والتَّعالي، يَظنُّ أنَّه قادرٌ على السيطرةِ والتَّحكُّم بهذا الخيرِ والجمالِ، وهذا العطَاء الذي تُعطيه وتُظهرُه الأرضُ .. وأنَّه قادرٌ على استغلالِه، وتَصريفِه وتَوظيفِه في الاتجاهِ الذي يُريد، من دُونِ اللهِ .. فيَقعُ مَرَّةً ثانيَةً في الغَفْلةِ، والكفْرِ، والجُحُودِ، والفُسُوقِ .. ويرسبُ في اختِبَارِ الاستِدْرَاجِ .. فيكونُ سَبباً لزوَالِ النِّعَم، ولنزولِ النِّقَم، وسَبباً في زَوالِ واستئصالِ، وأفُول ما على الأرضِ مِن زُخرفٍ، وزينَةٍ، وخَيرٍ .. فيَهلَك كلُّ مَن عليها، كأنَّها لم تكُن موجُودةً، ولم تَعِشْ، وتَنعَمْ مِن قَبْل .. وهاهي الأُمَم الكثيرةُ مِن قَبلِنا ـ وكثيرٌ مِنها كانت أقوَى وأكثر قوَّة وجمعاً من الأمَمِ المعَاصِرَة ـ أين هي ومَا عمَّرته، ومَابنَته، وأينَ هي الزِّينَةُ والزَّخَارِفُ التي كانوا يتَنعَّمُون بها، ويتَمَاجَدُون، ويَفتَخِرُون بها .. لا أثَرَ، ولا حِسَّ، ولا وجُودَ لها .. وكما أفلَت تلك الأمَم، وأفلَت معها حضَارَاتُها، وزَخَارفُها، بسبَبٍ مِن عندِ أنفُسِهم .. فإن الأمَمَ المعاصِرَة ستأفُلُ، ويَزول مجدُها، ونَعيمُها، ومُلْكُها، بما ظَلمَت، وكَفرت بأنْعُمِ رَبِّها .. فالأمَمُ المعَاصِرَةُ لن تكونَ نشَاذَاً عن الأمَمِ السَّابقَةِ .. فالاستِبدَالُ كما يُصيبُ الأفرَادَ، والجمَاعَات، يُصيبُ الأُمَمَ،

والدُّولَ، والحضَارَات .. وهذه سُنَّةٌ مِن سُنَنِ اللهِ تعالى في خَلْقِه لا تَتخَلَّفُ، ولا تَتبدَّل .. تَستَدعِي الاعتِبَارَ، والتَّفَكُّرَ!

* * * * *

## وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ

79- [ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ]يونس:25. وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الجنَّةِ؛ التي تتصفُ بالسَّلامِ، والأمَان، السَّالمةِ من النَّواقِصِ، والمنغِّصاتِ، والمكدِّراتِ .. الجنة التي فِيها من النَّعيمِ الدائمِ الذي لا ينقطعُ مَا لَا عينٌ رَأَت، ولَا أذُنٌ سمعَت، ولا خَطرَ على قَلبِ بشرٍ .. ويَدعُو إلى الأعمَالِ، والأخلَاقِ، والفضَائلِ، التي تؤدِّي إلى النَّجاةِ، ودخُولِ جنَّةِ السَّلامِ .. فأَجِيبُوا دَاعِيَ الله!

* * * * *

## لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى

80- [ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ]؛ في عبَادَتِهم، وأعمالِهم؛ فحقَّقُوا الإحسانَ في أعمالِهم، وطاعاتِهم للهِ ولرسولِه صلى الله عليه وسلم؛ فالإحسانُ هو كلُّ ما زاد عن حدِّ الواجبِ، وحَدِّ العَدْلِ .. هو كلُّ تَطوعٍ زائدٍ عن الواجبِ؛ فالصلاةُ مثلاً لها حَدٌّ من الإطمئنانِ، والأذكارِ يتحققُ به الواجِبُ .. فما زادَ عن هذا الحدِّ فهو إحسَانٌ .. والذي يُؤتي الزكاةَ الواجبة بمقدارِها المحدَّد، فقد حقَّقَ الواجبَ، وما زَادَ في الزكاةِ عن المقدارِ الواجبِ، فقد أتَى بالإحسانِ .. والانتصافُ، والقِصَاصُ عَدلٌ، والعفو إحسانٌ .. وقِس على ذلك بقيَّة الأعمالِ والطَّاعاتِ .. فالإحسانُ أعلَى درجاتِ الأعمالِ، وأكملها، والعلماءُ والعبَّادُ الصَّالحون يتنافسُون في الإحسانِ، ومراتبِه .. لَا يتنافَسون في الأعمالِ وحَسْب، وإنما يتنافَسُون في إتقانِ الأعمالِ؛ أيُّهم يأتي بالإتقانِ أكثَر .. هؤلاء الذين يحقِّقُون درجةَ

الإحسانِ في عباداتِهم وأعمالِهم، لهم [ الْحُسْنَى ]؛ الجنَّةُ؛ التي بلغَت الذُّروَة في الإحسانِ والإتقانِ، [ وَزِيَادَةٌ ]يونس:26. هذه الزيادَةُ أجملُ وأعظمُ مِن الحسنى ذَاتِها، ومَا فيها مِن نَعيمٍ دائمٍ .. لَا يُوجدُ في الجنَّةِ نعيمٌ أعظمُ وأجَلُّ، وأجملُ من هذهِ الزِّيادةِ التي يُكرمُ اللهُ بها عبادَه المؤمنين؛ حيثُ يأذَنُ اللهُ للمؤمنين أن ينظروا إلى وجهِه الكريم سُبحانه .. اللهُ أكبَر ما أعظَمَها مِن زِيَادَة .. كما في الحديثِ، نظَرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى القمرِ ليلَةَ البَدْرِ، فقال:" إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ هذا القَمَرَ، لا تُضَامُّونَ في رُؤْيَتِهِ "متفق عليه. وقولُه " لا تُضَامُّونَ "؛ أي لا يمنعكُم مانعٌ من رؤيتِه، سُبحانَه.

* * * * *

## وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ

81- [ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ]؛ جميعُ الخلْقِ،يُنشَرُون من قبورِهم، ويُحشَرون ليومِ الحسَابِ، [ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ ]؛ ثم يُنادَى من بينِ الجمعِ الغفيرِ مِن الخلائقِ كلُّ مشركٍ باسمِه، وعينِه .. أن قِفْ، واثبُتْ مكانَك، لا تتحرَّك، لَا تَذهَب يمينةً ولا يُسْرَةً، لَا تتقدَّم، ولا تَتأخَّر .. لا تحسبُ نفسَكَ أنَّك بين هذا الجمعِ الغَفيرِ من الخلائقِ، ستتَخفَّى، وأنَّنا لا نَلحظُك، ولا نرَاك، ولا نَقدرُ عليك، [ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ]؛ أنتم ومن كنتم تَعبدُون مِن دونِ اللهِ من الطواغِيت، والأوثانِ .. قِفُوا، واثبتُوا .. فأَمَامكُم حِسابٌ عَسِير .. وتحقيقٌ كبيرٌ، ودَقِيقٌ، فِيما كان مِنكم مِن شِركٍ، وعملٍ غير صالحٍ، في حياتِكم الدُّنيَا، [ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ]؛ وحتى لا يختلِطُوا بغيرِهم .. فبَايَن وفرَّقَ اللهُ بينَهم وبينَ غيرِهم؛ المشركُون العابِدُون في جهةٍ، وتجمعٍ مُستقِل .. وسادَتُهم مِن الطَّواغِيت، والأصنامِ، التي كانوا يَعبدُونها من دونِ اللهِ في تجمعٍ، وجهةٍ مختلِفَة .. وغيرُهم في جهةٍ أخرَى، وتجمعٍ مختلَفٍ، فمَن فارقَ المشركِين، وشِركَهم ومجَالِسَهم في الدُّنيَا، يُفارقُهم،

ويُفارقُ منازِلَهم يومَ القِيامَةِ، فيُكافئه اللهُ مِن جِنسِ عمَلِه، [ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ]يونس:28. فلمَّا حصَلَ التبَايُنُ والتَّفريقُ، والتَحقَ كلُّ فريقٍ بمجموعَتِه .. بدَأ التَّحَاورُ والتَّلاومُ بينَ المشركِين ومَن كانوا يَعبدونَهم من دونِ اللهِ .. فالمشركُون يقولُون لشركائِهم أنتم السبَب فيمَا نحنُ فيه .. وفيما انتهينَا إليه من الخزْي والعَذابِ، إذْ كنتم تأمرونَنا أن نشركَ باللهِ، ونَعبدكم مِن دُونِ اللهِ .. فيردُّ عليهم الشركاءُ بالإنكارِ، والتَّكذيبِ، والبرَاءَ .. فيَلعَنُ بعضُهم بعضاً، ويُكذِّبُ بعضُهم بعضاً .. ولا يَردُّ ذلك عنهم شَيئاً من العذَابِ!

* * * * *

## فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلَالُ

82- [ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلَالُ ]يونس:32. ليس بَعْدَ التَّوحِيدِ إلا الشِّرْك .. وليسَ بعدَ الإيمانِ إلَّا الكُفْر .. وليسَ بَعدَ السُّنَّةِ إلَّا البِدْعَة!

83- [ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلَالُ ]يونس:32. مَسَارَان مُتَدَابِرَان، مُنفَصِلَان، ومُتَنَافِرَان لَا يَلتَقِيَان، ولَا يَتآلَفَان، وهُما في صِرَاعٍ وتَدَافُعٍ مُستَمرَّين، مَسَارُ الحقِّ، ومَسارُ البَاطِلِ .. فالحَقُّ، حَقٌّ لَا يَقبلُ القِسْمَةَ ولا المشَارَكَةَ بينَهُ وبينَ الضَّلالِ، فليسَ بعدَ الحقِّ، نِصْف حَقٍّ، أو ثُلثه، أو رُبعه، أو أكثَر مِن ذلك أو أَدْنَى .. مُفَاصَلَة تَامَّةٌ للبَاطِلِ والضَّلالِ .. فإمَّا حَقٌّ كامِلٌ لا يَشُوبُه باطِلٌ، وليسَ بعدَه إلَّا الضَّلالُ، وإمَّا ضَلالٌ كامِلٌ لا يشُوبُه حَقٌّ، وليسَ بَعدَه إلَّا الحَق.

* * * * *

## قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ

84- [ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم ]؛ طواغِيتِكُم التي تَعبدُونها مِن دونِ الله؛ أيَّاً كانت صِفةُ هؤلاء الطَّواغِيت؛ سواء كانُوا مِن حجَرٍ، أو مِن شجرٍ، أو مِن بَشَرٍ، [ مَّن يَهْدِي ]؛ مَن يَقدرُ على أن يَهدي ضالاً تَائهاً عن الحقّ؛ هِدَايَةَ دَلالةٍ أو هِدايَة تَوفِيقٍ، [ إِلَى الْحَقِّ ]؛ الذي فيهِ سعَادتُه ومَنجاتُه في الدُّنيا والآخِرَة ..؟ الجوابُ قطعَاً لا يُوجدُ مِن الطَّواغيت مَن يَقدرُ على شيءٍ مِن ذلك .. فمن اجتمعَ فيه جَهلُ الشيءِ وفَقْدِه، أنَّى يُعطيه للآخَرِين؟! [ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ]؛ ولكن اللهَ تعالى وحده هو القَادِرُ على أن يَهدِيَ هِدايةَ تَوفيقٍ وتَسديدٍ مَن يَشاءُ إلى الحقّ، ويُجيبُ المضطرَّ إذَا دَعَاه، [ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى ]؛ فأيُّهما أولَى بالعبادَةِ، والطَّاعةِ، والمتَابَعةِ مَن كان يملكُ الحقَّ، ويملكُ المنهجَ، والتَّصورَ، والدِّينَ الحقّ، ويَقدرُ على أن يَهديَ إلى الحقّ، أمَّن كان عاجِزاً، جاهلاً لا يملكُ الحقَّ، ولَا يَقدرُ على أن يَهدي أحَدَاً، ولا نفْسَه إلى الحقّ، إلَّا أن يهديَه اللهُ، [ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ]يونس:35. أليسَ لكم عقولٌ تَعرفُون بها مَن الذي يجبُ أن يُعبدَ، ويُطَاعَ، ويتَّبع دِينُه .. مَن الذي يجبُ أن تُؤمنُوا به، ومَن الذي يجبُ أن تكفرُوا به، وتَتبرَّأوا مِنه، ومِن عبَادَتِه؟!

* * * * *

## وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ

85- [ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ]يونس:41. إن رَدُّوا الحقَّ، وكَذَّبُوا به .. وأظهَرُوا عناداً وكِبراً في تَعامُلِهم معَ دَعوةِ الأنبياءِ والرُّسُل .. تَأتي مرحَلَةُ المفَاصَلة، والمبَايَنَة، مرحلةُ البَراء .. وليسَ مرحَلَة المشاركَةِ، وتَقْسِيم الحصَص، والأدوَارِ .. كما يَفعل ذلك كثيرٌ من مُرجفِي هذا العَصْرِ؛ الذين يُشاركُون الباطِلَ في باطلِه لأدْنَى فُتَاتٍ يُرمَى لهم!

* * * * *

## إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً

86- [ إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً ]؛ لأنَّ اللهَ تعالى قد حرَّمَ الظُّلمَ على نفْسِه، ونهَى عن الظُّلمِ، وجعَلَه بين عبادِه محرَّماً .. ثم أنَّ الظلمَ يتَنافى معَ مقتضياتِ أسمَاءِ اللهِ الحُسْنَى وصفاتِه العُليَا التي تَأبَى الظُّلمَ .. فهو سُبحانَه إمَّا أن يأخذَ عِبادَه بالعَدْلِ، وإمَّا أن يأخذَهم بالعَفْوِ، والإحْسَانِ، [ وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ]يونس:44. وذلك عندما تَنكَّبُوا شَرْعَه .. وتحاكَموا إلى شَرعِ غيرِه، والذي إليهِ يُرَدُّ كلُّ ظُلْمٍ.

* * * * *

## وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ

87- [ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ]؛ لهولِ يوم الحشْرِ يَظنُّون أنَّ آلافَ السِّنين التي عاشُوهَا في حياتِهم الدنيا، وفي عالَمِ البرزَخ، مُجرَّد ساعةٍ مِن النَّهارِ .. فيُدركُون حقارَة ووضاعَةَ ما كانُوا فيه في الحياةِ الدُّنيا ـ التي كانوا يتَهافَتُون عليها، وعلى متَاعِها ـ منذُ اللحظاتِ الأولى مِن الحَشْرِ، ومِن خُروجِهم من القبُورِ، [ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ]؛ يتعارَفُ الأقاربُ، ويتعارفُ المعارِفُ، والأصدقاءُ والأخِلَّاء، وما كان مِنهم في الحياةِ الدُّنيا مِن عمَلٍ، ومواقفٍ، يتَذاكرونَها فِيما بينهم .. ثم لهولِ الموقفِ سرعانَ ما يَنتهِي هذا التَّعارُف، والتَّحاور، ويتَفرَّقُون .. كلُّ نَفْسٍ مشغُولةٌ مَهمومَةٌ، تَستشوفُ ما يَنتظرُها، ومَا ستؤولُ إليه، [ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ ]؛ هنالك يُدركُ المكذّبون بيوم البعْثِ، والمكذّبُون بالإيمانِ فداحَةَ الخسَارَةِ التي وقَعُوا فِيها، ولحقَت بِهم، والتي لا تُجبَرُ أبَداً، [ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ]يونس:45. وأنهم لم يكونُوا موفَّقِين باختيارِهم للكفْرِ على الإيمانِ!

88- مِن أَسَاليبِ القُرآنِ العظيمَة البَديعَةِ ـ زيادَةً في إقامَةِ الحجةِ على الناسِ ـ أنه يَنقلُ مِن الماضِي إلى الحاضِرِ، ومن المستقبَلِ إلى الحاضِرِ، الصُّورَ، والمشَاهِدَ، والحقَائِقَ، والمعَاني كما هي، وكما كانَت، وكما سَتكُون .. كأنَّك تَرَاها بعينِ رَأسِك .. وفي ذلك عِظَةٌ وعِبرةٌ للمتَّعظِين، والمعتَبِرين .. وزيادَةً في الحجةِ على الجاحِدِين الكافِرِين .. وحتَّى لا يَقُولُوا يومَ القِيَامَة: لم يَصِلْنَا بَلَاغٌ، ولَا عِلمٌ عما سَنَؤُولُ إليه، ولَمْ يُرسَل إلينَا رسُولٌ مِن اللهِ، يخبرُنا عمَّا كانَ، وعمَّا سيكُون!

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ

89- [ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ]؛ كلُّ النَّاسِ، [ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ ]؛ لمن أرادَ أن يتعظَ، ويَعتبرَ، ويتذَكَّر .. وهي القُرآن الكريم؛ [ مِّن رَّبِّكُمْ ]؛ الذي خلقَكُم .. وليسَ من غيرِه .. فالقرآنُ كلامُه .. فلا تنسبوا القرآنَ الكريم إلى أحدٍ غير الله .. وموعِظةٌ جاءَت إليكم من ربِّكم الذي خلقكم حريٌّ بكم أن تحسنُوا الإصغَاءَ إليها، [ وَشِفَاء لِمَا فِي الصُّدُورِ ]؛ لما في القُلوبِ مِن أمراضٍ معنويَّةٍ، ونفْسيَّةٍ؛ كالجهلِ، والشَّكِّ، والقَلَقِ، والوسْوسَةِ، والنِّفاقِ، والحَسَدِ، والكآبَةِ، وضيقِ الصَّدْرِ، وغيرِها من الأمراضِ القلبيَّةِ والنفسيَّةِ .. فجميعُها تجدُون شفاءَها في القُرآنِ الكريم، ومَن لم يجدْ في القرآنِ شفاءً لما يَعتلجُ في صَدرِه من أمراضٍ ووسَاوس، فلن يجده في مَصدَرٍ آخَر، [ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ]يونس:57. للمؤمنين خاصَّة؛ لأنَّ مَن لا يُؤمن بالقُرآنِ الكريم .. لن يزيدَه كفرُه إلا ضَلالاً، وتِيهاً، وضيَاعاً .. ومثله مثَل المريضِ الذي يَصلُه الدواءُ، فيردّه، ويرفضُ تناولَه؛ فأنَّى يَستفيدُ منه!

* * * * *

## قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ

90- [ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ]يونس:59. ممَّا دَلَّ عليه النَّقلُ والعقلُ أن الكونَ كلَّه ومَا فِيه مِن مخلوقاتٍ وأرزاقٍ .. مخلوقٌ مَرْبُوبٌ للهِ تعالى وحدَه .. فاللهُ تعالى هو الخَالِقُ، وهو الذي خَلَقَ .. وهو الرَّازقُ، وهو الذي رَزَقَ .. ومَن كان له الخلْقُ، والمُلْكُ، له الحقُّ وحدَه في أن يحدِّدَ ما هو حَلالٌ، وما هو حَرامٌ .. وأن يقولَ لعبادِه: هذا حَلالٌ، فأحِلُّوه .. وهذا حرامٌ فاجتنِبُوه، وحرِّمُوه .. أمَّا مَن لا يَخلقُ، ولا يملِكُ، ولا يَرزِقُ إلا أن يُرزَقَ .. وهو مرْبُوبٌ مخلُوق .. لا يحقُّ له أن يحكمَ على شَيءٍ - مِن تلقاءِ نفْسِه وبغيرِ سلطانٍ مِن اللهِ - لم يخلقْهُ، ولم يملِكْهُ - إلا على وجهِ الاستئمانِ - بأنَّه حلالٌ أو حَرامٌ .. وأن يقولَ للناسِ: هذا حلالٌ فأحِلُّوه .. وهذا حَرامٌ فحرِّمُوه .. ويجعلُ مِن نَفْسِه عليهم رَبَّاً ومُشرِّعَاً!

ولما تجرَّأ فريقٌ من الطغَاةِ - لم يَقتصِرْ وجودُهم على زَمَنٍ دونَ زمَن - على هذا الفِعلِ الشَّنيعِ؛ فزَعمُوا لأنفُسِهم الربوبيَّةَ والألوهيَّةَ .. وأنَّ لهم الحق، في أن يُحلُّوا ويحرِّمُوا ما يَشاؤون .. ومَا على الناسِ إلَّا اتباعُهم وطاعتُهم فِيما يُحلُّون، ويحرمُون .. أنزلَ اللهُ تعالى قولَه فِيهم، تَوبيخاً وتَقريعاً لهم:[ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ]؛ هل استأذَنتُم اللهَ الخالقَ المالِكَ، الذي أنزلَ لكم الرِّزقَ .. فأذِنَ لكم في تحليلِ مَا تُحلُّونَه، وتحريمِ ما تُحرمونَه .. فإن لم يكنْ شيءٌ مِن ذلك .. واللهُ لم يأذَن لكُم .. فكيفَ تتجرَّؤون على تحليلِ وتَحريمِ مَا لا تَخلقُون ولا تملِكُون .. فتقولُون للناسِ، وبغيرِ سُلطانٍ من اللهِ: هذا حَلالٌ، وهذا حَرامٌ .. [ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ]؛ أم أنَّكم تكذبُون، فتردُّون تحليلَكُم وتحريمَكُم للأشياءِ إلى اللهِ تعالى كذِباً وزُوراً ..

لتضلوا الناسِ باسمِ اللهِ، واللهُ تعالى من ذلك بَرَاء .. فيجتمعُ عليكم وِزْرَان: وزرُ تَحليلِ الحرامِ، وتحريمِ الحلالِ .. ووزرُ الكذبِ على اللهِ، ونِسْبَةُ الكَذِبِ إلى الله!

* * * * *

## إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ

91- [ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ]؛ أيُّ شَأنٍ مِن شُؤون الدِّينِ والدُّنْيَا .. والخطابُ موجهٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولأمَّتِه، وللناسِ أجمعين، [ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ ]؛ خُصَّت تِلاوةُ القرآنِ الكريم بالذِّكْرِ مِن عمومِ العَمَلِ، و " الشَّأن "؛ لبيانِ فضلِ وشَرفِ التِّلاوَةِ، [ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ]؛ أيَّاً كان هذا العمَل؛ سَواءٌ كان في مجالِ الخيرِ أم الشَّرِّ، وسَواءٌ كان عامَّاً أم خاصَّاً، ومهمَا كان دَقِيقاً أو خَفِيَّاً، [ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً ]؛ محيطين بِكم وبأعمالِكم، نراكُم، ومَا تفعلُون، لا يخفَى علينَا مِن شَأنِكُم شَيئاً، [ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ]؛ عندما تخوضُون وتباشِرُون العملَ؛ أيَّاً كانَ هذا العملُ؛ سواءٌ كان العملُ في اتجاهِ الخيرِ أم في اتجاهِ الشَّرِّ .. فنحنُ نعلمُه، ونُبصِره، [ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ ]؛ لا يخفَى ولَا يَغيبُ عن اللهِ تعالى شيءٌ مِن خَلْقِه، ولَا مِن أعمالِهم، مهمَا كان هذا الشيءُ دَقيقاً وصَغيراً، وأيَّا كان موقعُه؛ في السَّماءِ أم في الأرضِ، في البرِّ أم في البحرِ، [ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ]؛ حتَّى لو كان هذا الشيءُ بوزنِ الذَّرَّةِ؛ وهي أصغَرُ جزءٍ من الجِّسْم، لَا يمكنُ أن يُرى بالعينِ المجرَّدَةِ .. فاللهُ يعلمُه، ويراه، [ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ ]؛ أي أصغَر مِن الذَّرَّةِ؛ وهو ما اكتشفَه العِلمُ مؤخَّراً أنَّ الذَّرةَ على صغرِ حجمِها، يوجدُ ما هو أصغرُ مِنها؛ حيثُ أن الذَّرةَ ذَاتها تتكوّنُ مِن جُسيماتٍ دقيقةٍ جِدَّاً من البروتونات، والنيوترونات، [ وَلا أَكْبَرَ ]؛ من الذَّرَّةِ، [ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ]يونس:61. إلا وهو مدوَّنٌ ومكتوبٌ في الكتابِ الأكبرِ ـ اللوحُ المحفُوظ ـ قبل أن يخلقَ اللهُ الخلقَ بخمسينَ ألفَ سَنَةٍ

.. قِمَّةٌ في الضَّبْطِ، والتَّحكُّمِ، والعِلمِ، والإحاطَةِ .. رَبُّ هذه بعضُ صِفاتِه سُبحانه ألَا يَستحِقُّ أن يُعبَد، وأن يُفرَدَ بالعبادَةِ؟! بَلَى .....!

* * * * *

## أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ

92- [ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ]يونس:62. الوَلِيُّ لا يكونُ وليّاً إلَّا بأرْبَعٍ: الإخْلاصُ، وحُسْنُ المتَابَعَةِ للسنَّةِ، والجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ، وحِلُّ المأكَلِ، والمشْرَبِ، والمَلْبَسِ .. والذين يَنسبَون الولايةَ للمجانِين، والمهابيلِ، الدَّنسة ثيَابهم، وأبدانهم .. فقد أسَاؤُوا الأدَبَ معَ اللهِ!

* * * * *

## إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً

93- [ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً ]يونس:65. لم يَجْعل اللهُ مِنَ العِزَّة شَيئاً لِغَيرِه، تُلتَمَس مِنْه .. فهو سبحانه عَزيزٌ بِذَاتِه، له العِزَّةُ جَميعاً .. وما سواه عَزِيزٌ بِه لا بِذَاتِه، لا يَمْلِكُ مِن العِزَّةِ شَيئاً إلَّا مَا شَاءَ اللهُ .. ومَن كان يُرِيدُ العِزَّةَ، وسَعَى لها سَعْيَها، فليَطْلُبْها بِطَاعَةِ مَن لَهُ العِزَّةُ جَميعاً.

* * * * *

## إِنَّ اللّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ

94- [ إِنَّ اللّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ]يونس:81. مَن بنَى عملاً صالحاً على فسَادٍ .. وأدخلَ حراماً على حَلالٍ، أو أدخلَ حَلالاً على حرَامٍ .. أو عملَ عمَلاً صالحاً، أرادَ به باطلاً، وفسَاداً .. فاللهُ تعالى يُبطِلُه، ويَمحَقُه، ولا يَقبلُه .. اللهُ تَعالى طيِّبٌ، لا يَقبلُ، ولا يُبارِكُ إلَّا طيِّباً.

* * * * *

## قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ

95- من نّعمِ الله تعالى، وفضلِه، وكمالِ حُجَّته، أن مَنَّ على عبادِه بقرآنَين: قرآنٌ مسطورٌ منزَّلٌ نقرؤه ونتدبّر آياتِه. وقرآنٌ صامتٌ منشورةٌ آياتُه في السماواتِ والأرض، نلحظُها ونتأمّلُها على مدار الوقت، [ قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ] يونس:101. أحدُهما يُصدّق الآخر، ويؤكدُ ويدلُّ عليه، إن شَكَكتَ بأحدهما، ناداك الآخر أن انظر في آياتي نظرَ تدبّرٍ وتعقّل، سيَذهبُ عنك ما شكَكتَ فيه، ويرتدَّ إليك يقينُك، [ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ]فصلت:53. أي أن القرآنَ المسطورَ المنزَّل حقٌّ لا ريب فيه.

96- [ قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ]يونس:101. يَا مَن أكثرْتَ مِنَ النَّظَرِ في الأرْضِ، وفي شِعَابِها، ودُرُوبِها، ومَشَاغِلِها .. لَا تَغفَلْ عنِ النَّظرِ إلى السَّماءِ، ومَاذَا في السَّماءِ، ومَاذَا تَنَزَّلَ، ويَتَنَزَّلُ مِن السَّمَاءِ ...؟!

97- هناك كتابٌ مفتوحٌ منشورٌ للجميع، من لا يُحسِن القراءةَ والنظرَ فيه لا يُحسن القراءة والنظر في غيرِه من الكتُب؛ ألا وهو كتابُ السماواتِ والأرض، وما فيهما من آياتٍ باهرات، تدلّ على عظمةِ الخالقِ سبحانه، وأنّه لا إله إلا الله، قال تعالى:[ قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ]؛ نظرَ اعتبَارٍ، وتدَبُّرٍ، وتأَمُّلٍ، [ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ]يونس:101.

* * * * *

## وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ ..

98- [ وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ ]؛ إِلَّا اللهُ، فاللهُ تعالى وحده هو الذي يكشفُ الضُّرَّ عَنك .. ولو اجتمعَ الإنسُ والجنُّ على أن يكشفُوا عنكَ ضُرَّاً مِن دُونِ اللهِ تعالى، لَا يَستطيعُون .. وبالتَّالي لا يجوزُ لكَ يا عبدَ اللهِ أن تَلتمِسَ كشْفَ الضُّرِّ مِن غائبٍ، أو ميّتٍ، أو قَبرٍ، فهذا مِن الشِّركِ، والمشْركُ هو الذي يَفعلُ ذلك،[ وَإِن يُرِدْكَ ]؛ اللهُ [ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ]يونس:107. فلو اجتمعَ الإنسُ والجنُّ، وكانَ بعضُهم لبعضٍ ظِهْرِيَّاً على أن يمنَعُوا عنكَ خَيراً كَتبَه اللهُ وأرادَهُ لكَ .. لَا يَقدِرُونَ أن يمنَعُوه عنْكَ .. فالضَّارُّ والنَّافعُ هو اللهُ تَعَالى وحْدَه .. وبالتَّالي فإنَّ التماسَ النَّفْعِ من غَائبٍ، أو ميّتٍ، أو قَبرِ من الشِّركِ، والمشركُ هو مَن يَفعلُ ذلك!

فإن قِيل: فما بالُ الأسبابِ التي يتعَاطَاها النَّاس، ويَنتفعُون بها، كالتماسِ الدَّواءِ، والسَّعي في طلَبِ الخيرِ والرِّزقِ، ودَفعِ الشَّرِّ، وغَيرِها مِن الأُمور ..؟

أقول: السَّعيُ وتَعاطِي الأسباب المتَاحَةِ في دَفْعِ الضُّرِّ، وجَلبِ النَّفعِ .. هذه مَسألَةٌ أُخرَى .. وهي مَشرُوعة .. وأحياناً تكونُ واجِبَةً .. على أن يبقَى الاعتقَادُ أنَّ هذه الأسباب والوسائل لَا تَنفعُ، ولا تَضرُّ بذَاتِها .. وإنما اللهُ تعالى هو الذي أودَعَ فيها خاصِيَّةَ الخيرِ أو الضُّرِّ .. إن شاءَ لهذهِ الأسبَابِ والوسَائلِ أن تَعمَلَ عملَها، وتُعطي عطَاءَها، أعطَت وعَمِلَت بإذن رَبِّهَا .. وإن لم يَشَأْ أن تَعملَ عملَها، ولَا تُعطي عطَاءَها، فَلا تُعْطِي عطَاءَها، ولَا تَعمَلُ عملَها المرْجُو .. كَمْ مِن دَوَاءٍ لم يُعطِ عَطاءَه المرجُو .. بَل وأحيَاناً يَزيدُ الدَّاءَ استفْحَالاً، ويكونُ سَبباً في وفاةِ صَاحِبِه .. ليبْقَى القَلْبُ متوكِّلاً على اللهِ، ومُتعلِّقاً بخالِقِه وخالقِ الأسبابِ .. وخَالقِ الدَّاءِ والدَّواء.

* * * * *

## وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ

99- [ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ ]يونس:107. الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مُباركاً فيه .. أن لا أحَدَ يقدرُ أن يردَّ فضْلَ اللهِ عليك، لو أرادَك بفضلٍ أو خَيرٍ .. لو اجتمعَت الإنسُ والجِنُّ، ومعهم الملائكةُ أجمعين على أن يمنعُوا عنكَ خَيراً يُريدُك اللهُ به .. لا يَقدِرُون .. إنَّها لنعمةٌ عظيمةٌ نَسألُ اللهَ تعالى أن يُعرِّفَنَا قَدْرَهَا، وأن يُعينَنا على شُكْرِهَا .. تَصوَّر يا عبدَ اللهِ لو أنَّ مشيئةَ اللهِ تعالى معلَّقةٌ بمشيئةِ أحَدٍ مِن خَلْقِه، لَا يُنجَزُ من مَشيئةِ اللهِ شيءٌ إلَّا بعدَ أن يَشاءَ الآخَرُ .. كم ستكونُ الحسرَةُ، وتكونُ المأساةُ عظيمةٌ على هذا الكونِ كله ومَن فيه .. تأمَّل الراحَةَ النَّفْسيَّة، والاطمئنانَ الذي يَرتدُّ عليك .. وأنتَ تدعُو وتَسأل اللهَ ـ مهما أعظَمتَ في المسْألةِ فليسَ على اللهِ شيءٌ عظيم ـ وأنت تَعْلمُ يقيناً أن لَا أحَدَ يَستطيعُ أن يُحيلَ بين مسألتِك وبينَ اللهِ .. ليسَ بينَك وبينَ اللهِ وسطَاء ولا شُفَعَاء .. ولا بوَّابين تحتاجُ إلى استئذانِهم قبلَ دخُولِك على اللهِ .. للهِ الحمدُ والمنَّةُ والفَضْلُ.

* * * * *

## كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ

100- [ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ]هود:1. ما مِن مُتشَابَهٍ في القرآن الكريم، إلا وبجوارِه مُحْكَمٌ من القرآن الكريم يُفسِّرُه، وينقلُه من المُتشَابَه إلى المحْكَمِ، ويَصرِف عنه صِفَةَ التَّشَابُه .. فيكون القُرآن الكريم بهذا الاعتبارِ كُلَّه مُحْكَمٌ لا تَشابُه فيه.

المتَشَابَهُ في القرآنِ الكريم أمرٌ نسبي، يختلفُ من شخصٍ لشخص، ومن عالِمٍ لآخَر؛ فما تشَابَه وأشكَلَ معناهُ الرّاجحُ عليك، قد يكون عند غيرِك واضحاً مُحْكَماً .. ثم لو رددْتَ ما تَشابه عليك إلى أهلِ العِلم؛ الذين يعلمون تأويلَ الكِتاب، والمتشابَهَ مِنه، لذَهبَ عنك التَّشابُه والإشكالُ، وأصبحَ المتشابه عليك مُحْكَماً.

* * * * *

## لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً

101- [ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ]هود:7. البَلاءُ نوعان: بَلاءٌ كَوْنِيٌّ، وبَلاءٌ شَرعيٌّ؛ البلاءُ الكوْني هو البَلاءُ القَاهِرُ الذي ليسَ للإنسانِ فيه اختيارٌ في قُبُولِه أو رَدِّه، وهو فوقَ قدرَتِه على ردِّه، ومعالجتِه، كالبَلاءِ الذي يَنزلُ في الجسَدِ، وكالجُوعِ، ونَقْصٍ في الأموالِ، والأنفُسِ، والأمراضِ، والخَوفِ، والأوجَاعِ، والضَّعْفِ، والعَجْزِ بعدَ قوَّةٍ، وكالبَلاءِ الناجِمِ عن الكوَارِثِ الطبيعيَّةِ، ونحوها، مِثالُه في كتابِ الله:[ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ]البقرة:155. وبَلاءٌ شَرعيٌّ؛ للإنسانِ دَورٌ واختيَارٌ في قبولِه أو رَدِّه؛ يترتَّب البلاءُ على نوعِ اختيارَاتِه، كالبَلاءِ النَّاجِم عن اختيارِه للجهادِ في سبيلِ اللهِ .. وكالذي يُبتلَى في دينِه وإيمانِه؛ إن اختارَ الإيمانَ على الكُفرِ، تَعرَّضَ للتعذيبِ، والسجْنِ، والتَّهجِيرِ بسببِ اختيَارِه .. كذلك الذي يختَارُ الحقَّ على الباطِلِ .. والحلالَ على الحرَامِ .. ومَا قَد يترتَّبُ على اختياراتِه

ومواقفِه مِن بَلاءٍ، وشِدَّةٍ .. فهو يَعلمُ مُسبَقاً أنه سيُبتَلَى، بحسبِ نوعِ اختيارِه، والجهةِ التي يَنحازُ إليها، ويَصطفُّ معَها .. كما حصَلَ للسَّحَرَةِ مع فرعون لما آثَرُوا واختارُوا الإيمانَ على الكُفْرِ، وآثَروا عبادَةَ اللهِ تعالى على عِبادَةِ فرعون الطَّاغُوت .. وآثَرُوا الاصطفافَ معَ مُوسى وهارُون، والمؤمنين .. كانوا يَعلمون مسبقاً أنَّ اختيارَهم هذا سيعرِّضَهم للبلاءِ والتَّعذيبِ، كما قالَ تعالى عن اختيارِهم الإيماني، والحوارِ الذي حصَلَ بينهم وبين الطاغيةِ فرعون:[ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى . قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ]طه:71-72. ولِكِلَا النَّوعَين مِن البلاءِ يحتاجُ صَاحبهمَا إلى الصَّبرِ .. وله أجْرٌ على صَبْرِه واحتِسَابِه .. لكن أعظم النَّوعَين بَلاءً، وأعلاهمَا درَجَةً، وفضْلاً، وأجْراً البلاءُ الشَّرْعي، والصَّبرُ عليه؛ لأنه تمَّ باختيَارِ صَاحِبِه، بخلافِ النَّوعِ الآخَرِ مِن البَلاءِ فإنَّه لَا خِيارَ لهُ فِيه.

* * * * *

## وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ

102- [ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ ]؛ لَئِنْ منَنَّا وتَفضَّلنا عليه، وجعلنَاهُ يَتذوَّق ويتنعَّم بالخيرِ بعدَ شَرٍّ، والسَّعةِ بعد ضِيقٍ، والغِنى بعد فَقرٍ، واليُسر بعد عُسْرٍ، والأمْنِ بعد خوفٍ، والعِزةُ بعد ذُلٍّ، [ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ]؛ سرعان ما ينسى زمَنَ الشِّدَّةِ، والضيقِ، والخوفِ .. والحال الذي كان عليه مِن قَبل .. وينسى فضلَ اللهِ عليه؛ فيكفُرُه، ولا يَشكُرُه .. ويَردُّ الفضلَ فِيمَا آلت إليه أمورُه مِن الخيرِ والسَّعَةِ إلى نفسِه وعزمَاتِه من دُونِ اللهِ، [ إِنَّهُ لَفَرِحٌ ]؛ فرَحَ بَطَرٍ، وتَعَالٍ، وخُيَلاء، ويُعبِّر عن فرَحِه بما

حرَّم اللهُ .. واللهُ تعالى لا يحبُّ هذا النَّوعِ مِن الفَرِحين، [ فَخُورٌ ]هود:10. على غَيرِه؛ لتحَسُّنِ أحوالِه، وبما آلَت إليه أمورُه مِن الخيرِ والسَّعةِ، والنِّعَم!

* * * * *

## إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ

103- [ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ ]؛ في الشَّدائدِ، والمحَنِ؛ فلَم يَتَسَخَّطُوا، ولم يَعترضُوا على حُكمِ اللهِ وقضَائِه، [ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ]؛ بما منَّ اللهُ عليهم من سَعةٍ وخَيرٍ وفَضْلٍ، شَاكِرين اللهَ على نِعمَه .. فهم في الشدَّةِ يَصبرُون ويحتَسبُون، وفي الفَرَجِ والسَّعةِ يَشكرُون .. فهؤلاءِ هُم المؤمنُون، وهم مُستثنُون عمَّن تقدَّم ذِكرهُم، وذِكْرُ صِفاتِهم في الآيةِ السَّابقَةِ، [ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ]؛ من اللهِ لذنُوبِهم، [ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ]هود:11. يومَ القِيامَةِ؛ فيُدخِلُهم اللهُ الجنَّةِ .. والجنَّةُ أجرٌ عَظِيم!

* * * * *

## فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ

104- [ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ]هود:12. أحيَاناً يَدخلُ المسلمُ مجتمعَات، ويُخالطُ تجمُّعَات غير مُسلمةٍ، ولَا مُلتزِمَةٍ .. فيَشعر بالحرَجِ مِن أن يُظهِرَ بعضَ الشَّعَائِرِ، والشَّرائعِ، والأحكامِ الإسلاميَّةِ ممَّا يَتعيَّن عليه أن يُظهرَها، ويُبلِّغَها للآخَرين؛ خَشيةَ أن يَسخرُوا منه، أو أن يَعترضُوا عليه باعتراضَاتٍ تُحرجُه .. فيمتنعُ عن إظهَارِها، والإشهارِ بها .. لَا؛ لَا تَفعل ذلك؛ فهذا شعُورُ ضَعْفٍ يتَنافَى معَ عِزَّة المسلم، ومعَ قوَّةِ الحقِّ المنزَّلِ الذي يَعتنقُه، ومعَ الأمانَةِ التي أُمِرَ أن يُبلِّغها للآخَرين مِن غيرِ خَوفٍ، ولا إرجَافٍ، ولا ارتِعَاشٍ مِن العواقِب .. فعلَى الدُّعَاةِ إلى اللهِ البَلاغ؛ والبَلاغ الكامِل مِن غيرِ نُقْصَان لشيءٍ ممَّا أنزَلَهُ اللهُ .. وعلى اللهِ الحِسَاب.

* * * * *

## مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا

105- [ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ]؛ من اقتصرَ سَعيُه، وانحصرَت اهتماماتُه في تحصيلِ الدُّنيا ومتَاعِها وحَسْب .. وسَعَى لذلك سَعْيَه، وانحصَرَ في ذلك قصْدَه، [ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ]؛ يُعطون في دُنياهم ما سَعَوا إليه، وقَصَدُوه، حتى لو كانُوا كافرين، فالدُّنيا لا تُحجَب عن أحَدٍ؛ فهي معروضة على الجَميع، على الكافرين والمؤمنين سَواء، [ وَهُمْ فِيهَا ]؛ في دُنْيَاهم، [ لاَ يُبْخَسُونَ ]، لا يُنقَصون ولا يُظلَمون شيئاً مما سَعوا إليه .. فالعطاءُ الدُّنيوي متاحٌ لكلِّ من سَعى له سَعيه، وما كان قَط علامةً على رِضا ومحبَّةِ الخالِق سُبحانه .. [ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ ]؛ انحصرَت مطالِبُهم واهتماماتُهم، ومساعيهم في الدُّنيا، ومتَاعِها، وزينتِها وحسب، [ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ ]؛ لأن الآخِرَةَ لم تكن من جملة اهتماماتِهم، وحساباتِهم، ولم يَسعوا لها سَعيها، فليس لهم حظٌّ سوى النار، [ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا ]؛ في الدُّنيا من عَملٍ صَالح؛ لأنهم لم يكونوا يُريدون من أعمالهم الصَّالحةِ وجهَ اللهِ، ولا الدَّارَ الآخِرَةِ .. فكافأهم اللهُ على أعمالهم في الدُّنيا، من جِنسِ أعمالهم ومَسْعاهم، فإذا جاء يومُ الآخِر، حبطَ وبطلَ ما كانوا يَعملون من عملٍ صَالح؛ لِشِرْكِهِم؛ فالشِّرْكُ يُحبطُ ويبطلُ العملَ، وما كانوا قد عَمِلُوا من عَملٍ صَالح، [ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ]هود:15- 16. كما في الحَديثِ الصَّحيح الذي أخرجَهُ مسلم:" إنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بها في الدُّنْيا ويُجْزَى بها في الآخِرَةِ، وأَمَّا الكافِرُ فيُطْعَمُ بحَسَناتِ ما عَمِلَ بها لِلهِ في الدُّنْيا، حتَّى إذا أفْضَى إلى الآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ له حَسَنَةٌ يُجْزَى بها ".

* * * * *

## وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ

106- [ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ ]هود:17. الحقُّ لا يُعرَفُ بكثرةٍ أو قِلَّةٍ .. وإنما يُعرفُ بالحقِّ المنَزَّلِ، وبموافقَةِ الحقِّ المنَزَّلِ .. والأكثريَّةُ ليسَت دائماً دَليلاً على الحقِّ الذي يجبُ أن يُتَّبَع .. فلو اجتمعَت الأكثريَّةُ على عدَمِ الإيمانِ باللهِ، فاجتمَاعُها باطِلٌ، ومَردُودٌ، وأكثريَّتها لا تُحيلُ الحقَّ باطِلاً، ولَا البَاطِلَ حقَّاً كما تُقرِّرُ الديمقراطِيَّاتُ المعَاصِرَة؛ التي تَدورُ معَ الأكثريَّةِ واختيَارِهَا حيثُما دَارَت؛ ولو كان في اختيارِها وحُكمها فسَادُ وخرَابُ البِلادِ والعِبَادِ!

* * * * *

## أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ

107- [ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ]هود:18. انتَبِهْ أنْ تكونَ مِن الظَّالمين؛ فتَلْعَنُ نَفْسَكَ وأنتَ تَتْلُو القُرآنَ، وأنتَ لَا تَدْرِي!

* * * * *

## الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً

108- [ الَّذِينَ يَصُدُّونَ ]؛ النّاسَ، ويَدفَعُونَهم بكلِّ ما أُوتُوا مِن قُوَّةٍ، وقدرَةٍ على الإغْواءِ، والإغراءِ، ومَا أُوتُوا مِن وسَائِلِ التَّرهِيب، والتَّرغِيب، [ عَن سَبِيلِ اللهِ ]؛ عن صراطِ اللهِ المستقِيم؛ الذي فيه سعَادَةُ النَّاسِ ونجاتِهم في الدُّنيَا، والآخِرَة، [ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً ]؛ ويَبغُون حياةً عوجَاءَ، مائلَةً عن الحقِّ، والإيمانِ، مُتفَلِّتَةً مِن قيودِ الطُّهرِ، والفَضِيلَةِ، والاستِقَامَةِ .. حياةً تَميلُ معَ أهوائِهم ورغَباتِهم حيثما مَالُوا، ورَغِبُوا، مِن غيرِ رَقِيبٍ ولا حَسِيبٍ، [ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ]هود:19. وهم مع هذا التَّفَلُّتِ والعِوَجِ، والضَّلالِ، والفسُوقِ؛ فإنَّهم لَا يُؤمنُون بيومِ الحِسابِ، ولا بجنَّةٍ ولا نَارٍ!

* * * * *

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي

109- [ قَالَ ]؛ نوحٌ عليه السلام، [ يَا قَوْمِ ]؛ ينَسبهم لنفسِه؛ لاستمالتِهم، ولإشعارِهم بدفءِ الخِطابِ، وأنَّه مِنهم لا مِن قومٍ آخَرين، حريصٌ على مصلحتِهم، وإفادَتِهم، وهِدَايتهم، عسَاهم أن يصغُوا إليه، [ أَرَأَيْتُمْ ]؛ أخبرُوني بتجرُّدٍ وإنصافٍ، [ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ]؛ حجَّةٍ، وعلمٍ، وبُرهانٍ يُلزمني وإيَّاكُم بعبادَةِ الله وتوحيدِه، والكفرِ بالأصنامِ والأوثانِ التي تُعبَد من دُونِ الله، [ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ ]؛ النُّبوَّةَ، والحكمةَ .. فالنبُوَّةُ رحمةٌ للنبيِّ المرسَلِ، وللناسِ المرسَل إليهم؛ لأنَّها سببٌ في إخراجِ الناسِ من ظُلماتِ الجَهلِ، والشركِ والكُفرِ، إلى نورِ التَّوحيدِ، والإيمانِ، والعِلمِ، [ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ]؛ نخفِيَت عليكم رغمَ وضُوحِها، وجَلائِها؛ فهي لم تخفَ عليكم لغموضِها، وخفَائِها، وإنما لضعفٍ في عقولِكم، وبصائرِكم، ولما تحمولُونه في نفوسِكُم من حِقدٍ، وبغضاءَ، وكراهيةَ للحقِّ، يصدكم عن الإيمانِ، وعن أن تَروا الأشياءَ على حقيقتِها، [ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ]هود:28. هل نجبركُم على الإيمانِ بالله، وبالحججِ الإيمانيَّةِ التي أرسلني اللهُ بها، والعمَلِ بمقتضَاها، وأنتم لها كارِهُون مُبغِضُون .. فهذا مما لا نقدِرُ عليه، ولَا يُستحسَن .. ولكي يَدخُلَ الإيمانُ إلى قلوبِكم، وتتقبله عقولُكم، لا بدَّ أولاً من أن تتحرَّروا من الكرهِ، والبغضِ، والحقدِ .. والله تعالى لا يَقبلُ من العبدِ عمَلاً يَصدرُ عن كُرهٍ وبغضٍ .. وليس عن محبَّةٍ .. فالمحبَّةُ شرطٌ لقبُولِ الأعمَالِ والطَّاعَات.

* * * * *

وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ

110- [ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ]؛ على الدِّينِ وتبْلِيغِه، [ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ ]هود:29. مَا مِن نَبيٍّ إلا وكان يَبتَدئُ قَومَهُ، بقولِه:[ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً ]؛

لِيُنزّه دَعوتَه عنِ الظُّنونِ، وعن المآربِ الدُّنيويّةِ والماديّة .. وهو أَطْهَرُ، وأدْعَى للقبولِ، والاسْتجابَةِ .. والعُلماءُ ورَثَةُ الأنْبياءِ في هَذا النَّهْجِ؛ ينَبغي أن يترَفَّعوا عمّا تَرفَّع عنهُ الأنبياءُ، وأن لا يجعلُوا الأجْرَ شَرْطَاً للدَّعْوةِ والتَّبليغ!

* * * * *

## وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْراً

111- [ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْراً اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ]هود:31. لَا تُدْخِلْ نفْسَك بينَ اللهِ وبين عِبادِه؛ فتحكُم عليهم، وعلى مآلِهم عندَ اللهِ تعالى، فِيما ليسَ لك بهِ عِلم .. فتَظلم نفْسَك، وتَظلم الآخَرين .. فرُبَّ فَقِيرٍ، أشْعثَ، أغبرَ، مَدفُوعٍ بالأبوابِ، ولو استأذَن لَا يُؤذَن له .. خَامل الذِّكْرِ، لَا يُؤْبَه له .. هو عندَ اللهِ مِن المقبُولين، وأنتَ لَا تَدْرِي .. ورُبَّ مَشهُورٍ، واسِع السِّيطِ والذِّكْرِ، يُشارُ إليه بالبَنَانِ، تُفَتَّحُ له الأبوابُ، ويُوسَّعُ له في المجَالِس .. هو عِندَ اللهِ مِن المبغُوضِين المسْخُوطِين، وأنتَ لَا تَدرِي .. فَدَع مَا في القُلُوبِ لِعَلَّامِ الغيُوب .. فبينَ اللهِ وبينَ عِبَادِه أَسْرَارٌ لَا يَعلَمُها إلَّا اللهُ!

* * * * *

## قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاءَ

112- [ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ]هود:33. تُعرَض الآياتُ السَّمعيَّةُ، والكونيَّةُ، والحُجَجُ العلميَّةُ البَاهِرات، على الكفَّارِ الملحِدين، فَلا يَأبَهون بها، ولَا يَرون فِيها حجَّةً تَردُّ باطِلَهم .. فيَستعجلُون من الآياتِ نزولَ العذَابِ بهم، ويُطالبون الأنبياءَ وأتباعَهم من المؤمنين أن يُنْزِلَ اللهُ بهم العذَابَ، ويَروا العذَابَ يتنزَّل رأي العين؛ ليتثَبَّتُوا أنَّ اللهَ تعالى حقٌّ .. ولكَي يُؤمنُوا بدعوةِ الأنبياءِ والرسلِ أنَّها دَعوةَ

حَقٍّ .. فلَا ينكَفِئون عن باطِلهم وكُفرِهم، وعنَادِهم، إلا بعدَ أن ينزلَ اللهُ بهم العَذابَ .. ومَاذا تَنفعهم آياتُ العَذابِ بعدَ أن يُصبحوا صَرْعَى، وهلْكَى، وضحَايَا من ضحَايَاها .. ثم آياتُ العَذابِ ليسَت متعلّقة بمشيئةِ ورغبةِ مخلُوقٍ، أيَّاً كان هذا المخلُوق، لكي تُطلبَ مِنه .. فالأمرُ كله بيدِ اللهِ، إن شاءَ أَنزلَ عليهم العذابَ، وحِينئذٍ لَا رادَّ لقضَائِه وحُكمِه، ولَا مَفرَّ، ولَا مَنجَى للكافِرين مِن عذابِه وانتقَامِه.

* * * * *

## وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ

113- [ وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ]هود:34. أنتَ ـ أيَّاً كانَت صِفَتُك العلميّة والدَّعويَّة ـ عليك أن تَنصحَ نُصحَ البيَانِ، والدَّلالَة على الحقِّ، والهُدَى .. فَهمَا حرصتَ على هِدايَةِ مَن تُحب له الهِدَاية، وبذَلتَ له النُّصحَ، فلَن تَقدِرَ على هِدايَتِه، ولَا يَنتفعُ مِن نُصْحِك له .. وذلك أن هِدايَة التَّوفِيقِ، والاستجابَةِ هي للهِ تَعالى وحدَه، فاللهُ تعالى يَهدِي مَن يَشاء، ويُضِلُّ، ويُهلك مَن يَشَاء .. ومَن كان يُريدُ اللهُ أن يُهلِكَه بذنُوبِه، ومعَاصِيه، وكِبرِه، وإعرَاضِه .. أنَّى له أن يَنتفعَ مِن نُصْحِ النَّاصِحين له؟!

* * * * *

## إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ

114- [ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا ]؛ في الدُّنيا، فتستهزئُون بِنَا، وبدِينِنا، وما نزلَ بنَا مِن شدَّةٍ وبلاءٍ، وتُظْهِرُون الشَّمَاتَةَ، [ فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ ]؛ يومَ القِيامَةِ، يومَ تُسَاقون إلى جهَنَّم، وترَونَ العذَابَ الأليم، وليسَ لكُم منه مَفَرٌّ ولا مَنجَى، [ كَمَا تَسْخَرُونَ ]هود:38. كما

كُنْتُم تَسخَرون مِنَّا في الحياةِ الدُّنْيَا .. فنقَابلُكُم مِن جِنْسِ فِعْلِكم؛ استهزاءً باسْتِهزَاءٍ .. وشَتَّان شَتَّان بينَ الاستهزَائَين!

* * * * *

## وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ

115- [ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ]هود:40. ظلَّ نوحٌ عليه السلام يدعُو قومَه إلى الإسلام ألفَ سنَة إلا خمسين عاماً؛ مَا يُعادلُ عمر عشرةَ أجيالٍ متَتَالية .. ومع مضي تلك السِّنين الطويلةِ، وبذل الجهدِ الكبيرِ الذي يَليقُ بنبيٍّ من أولي العَزم، لم يؤمن مع نُوحٍ، ويُتابِعُه إلى ما كان يَدعُو إليه من التَّوحِيد، والدِّينِ الخالِص إلا قَليل؛ قِيلَ بضعة أنفارٍ؛ عشرةٌ أو يَزيدُون .. وقيل كانوا ثمانين نَفراً .. وفي ذلك من العِبَر والدَّلالات العَديدَةِ، التي تُعِين الدَّاعيةَ المسلم في دعوتِه إلى اللهِ، منها: أن الحقَّ لا يُعرَف بعدَدِ أتباعِه، ولا بالكثرَةِ، وإنما يُعرَف بموافقةِ الحقِّ المنزَّلِ مِن اللهِ؛ فما وافَقَ الحق المنزَّل مِن اللهِ؛ هو الحقُّ، وهو الجماعة التي ينَبغي التزامُ غَرْزِها، وتكثيرُ سَوادِها .. ومِنها: قلَّة الأعوان، والأنصَارِ؛ لا يَنبغي أن تُضعِفَ الداعيةَ إلى اللهِ، وتُثنيه عن الدعوةِ إلى اللهِ، أو تحملُه على الشكِّ بصِدقِ وصوَابِ ما يَدعُو إليه، ومِنها: الصبرُ على الدعوةِ إلى اللهِ مهمَا طالَ الطَّريقُ، وطالَ الزَّمنُ، وكانت التَّكاليف .. وتحملُ تَبعات الدَّعوةِ إلى اللهِ؛ بغضِّ النظرِ عن النتيجةِ .. فالداعيةُ إلى اللهِ عليه أن يمضي في دَعوتِه إلى اللهِ، وفقَ مَنهجِ اللهِ إلى نهايَةِ الطريقِ، وحتَّى يأتيَه اليَقين .. ولَا يُسألُ بعد ذلك عن نتائجِ دَعوتِه، كما أنه لن يُسألَ عن هدايَةِ الناسِ هِدايَة تَوفِيق؛ لأن هِداية التَّوفيق بيدِ اللهِ تعالى وحده، ومنها: مَهمَا طَالَ الطَّريقُ، وطالَ الزَّمَن، واشتدَّت التَّكاليفُ، لا يجوزُ للداعيةِ إلى اللهِ أن يَلتفتَ إلى المناهِجِ المنحرفَةِ، والملتويةِ،

والطُّرُقِ القَصيرَةِ، والمغريَةِ، والمريحَةِ، والأقَل كُلفَة، المخالِفة لمنهجِ الله .. بزعمِ تحصِيلِ المصَالِح، والمنَافع!

* * * * *

## وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ

116- [ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ]هود:43. الأبُ الرؤوفُ الحريصُ على إيمانِ ولَدِه، ونجاتِه، في جانبٍ .. والولَدُ الكافِرُ، الذي غرَّتهُ نفْسُه، وغَرَّته الأسبابُ، في جانبٍ آخَر .. وبينهما مَوجٌ يَلطمُ بعضَه بَعضَاً، يَعْلُو علُوَّ الجبالِ، وينخفضُ انخفَاضَ السُّهولِ والوديانِ .. في هذا المشْهَد المهِيب، والمخِيف، يُنادِي الأبُ ابنَه بأعلَى صَوتِه، يُغالِبُ صَوتَ الأمواجِ، [ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ]، فيجيبُه الولَدُ بنداءٍ مُقَابل، مُستخِفَّاً، ومُستهتِراً بنداءِ والِدِه، وحرصِه على نجاتِه .. لَا تَقلَقْ عليَّ، [ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء ]، يَحمِيني مِن المَاءِ، والغَرَقِ، قالَ له الوالِدُ:[ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ ]، لَا الجبالُ، مَهمَا علَت، ولَا غيرُها، فأمْرُ اللهِ غالِبٌ على كُلِّ شيءٍ .. وإذَا قَضَى اللهُ أمْرَاً كان مَفعُولاً .. وهمَا في هذا المشهَدِ، وهذا التَّحاورِ .. يُحيلُ بينهمَا، وبين استمرارِ حوارِهما، علُو الموجِ، لَا الأبُ يَقدرُ أن يرَى ولَدَه، ولَا أن يُسْمِعَهُ، أو يَسمَعَ مِنه شيئاً .. ولا الولدُ يَقدرُ أن يرَى والِدَه، ولَا أن يُسمِعَه، أو يَسمَعَ مِنه شَيئاً، [ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ]، وحَجبَ بينَهمَا [ الْمَوْجُ فَكَانَ ]، الولَدُ [ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ] الهالِكين!

117- [ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ]هود:43. هذا المشهَدُ قد لا يتكرَّرُ بعينِه .. لكن قَد يتكرَّر مَا يُشابِهه ويُماثِلُه مِئات وآلاف المرَّات، في أزمنَةٍ، وأمكنَةٍ مختلفَةٍ .. كم هُم هؤلاء الذين تَغرُّهم الأسبَابُ، قد تكُونُ حصُوناً، وقصُوراً، وخنَادِقَ، وأنفَاقاً،

وجُدُراً مُرتفِعَةً، أو مناصِبَ، ومراكِزَ حكُومِيَّة، وغيرِها من الوسَائلِ الواقِيَةِ .. ويَظنُّون أنها تمنَعَهُم مِن قَدَرِ اللهِ، وحكمِ اللهِ إذا ما نزَلَ بِهم .. فيأتيهم اللهُ من حيثُ لم يحتَسِبُوا، ويخيبُ فألُهم، وظَنُّهم .. وتخيبُ معَهم أسبَابُهم ووسائلُهم التي اعتَصَمُوا بها، وظنُّوا أنَّها مانِعَتهم من أمرِ اللهِ؟!

* * * * *

## فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ

118- [ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ]هود:49. لمن يَستبطِئُ النَّصرَ، والفَتْحَ .. ثم بدَت عليه علاماتُ الاستسْلامِ، والركونِ إلى الظَّالمين .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لِمَن تتكالَبُ عليه العِدَى .. وتتناوشُه سِهامُ الظالمين والمنافقين مِن كلِّ حدَبٍ وصَوْبٍ .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لمن يَستوحِشُ من الغُربةِ وقلَّةِ الأعْوَانِ والأنصَارِ .. ويَرَى من الناسِ نفُوراً من الحقِّ .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لمن يستوحشُ طولَ الطَّريقِ .. وتَضعفُ نفْسُه عن المواصَلَةِ وإتمامِ المسيرِ، ومقاومَةِ التَّحدياتِ .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لَمَن أصابتهُ رَهبَةٌ وخَشيةٌ من قوَّةِ الطغاةِ الظالمين وجُندِهم .. وظَنَّ أن لا قائمَةَ للحقِّ وأهلِه .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لَمَن دَاهمتهُ المحنُ والهمُومُ .. وتراكمت عليه البَلايا والخُطُوب .. وظَنَّ أن لا مَنْجَى ولا مخرجَ مِنها .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لمَن آلمه ظلمُ الظَّالمين .. ثمَّ لم يجِدْ سَبيلاً ولا مُعيناً للانتصافِ ممَّن ظلمَه .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

* * * * *

## وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ

119- [ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ]هود:53. القُوَّةُ التي يَزيدُها اللهُ تعالى بِسَبَبِ الاسْتِغْفَارِ، شَامِلَةٌ لجميعِ أنْواعِ القُوَّةِ المادِيَّةِ، والمعْنَوِيَّةِ، قُوَّةُ الإيمانِ .. وقُوَّةُ الصِّحَّةِ والجَسَدِ .. وقُوَّةُ العِلْمِ .. وقُوَّةُ المالِ .. والقُوَّةُ العَسْكَرِيَّةِ التي تُعين على مُواجَهة الأعْدَاءِ.

* * * * *

## يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا

120- [ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ]هود:76. اللهُ تَعالى هو الملِك الذي لا يُراجَعُ في شَيءٍ شَاءَه وقدَّرَه، فإذا جاءَ أمرُ اللهِ تَعَالى بالانتِقَامِ من الظَّالمِين، فَلا يَردُّ أمرَه مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرسَل .. ولا شيءٌ في الوجُودِ، فللهِ الأمر كله مِن قَبل، ومِن بَعد.

* * * * *

## وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى

### الملائِكَةُ بين إبراهيم وبين لوط عليهما السلام

121- الملائِكَةُ بين إبراهيم وبين لوط عليهما السلام: لما جاءت الملائكة إبراهيمَ عليه السلام، لم يكن إبراهيم في شدة أو كرب، أو عجلة من أمره، وكان في سعة من الأمن، والأمان، والاطمئنان، والوقت .. لذا أخذ وقتاً ليس بقصير حتى تعرّف على

الملائكة، وحتى عرَّفت الملائكة عن نفسها له بأنهم رُسل الله، والمهمَّة التي جاؤوا لأجلها [ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ ]؛ وهذه مرحلة السلام، والترحيب بالضيوف، قد استغرقت وقتاً .. [ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ]؛ أي عجل كامل النضج، صغير السن، لحمه طري، مشوي على الرِّضْفِ؛ وهي الحجارة المُحمّاة .. وهذه مرحلة من إعداد الطعام، والعجل الحنيذ لا شك أنها استغرقت وقتاً .. وإلى هنا إبراهيم عليه السلام لا يعرف أن ضيوفه الذين أمامه هم ملائكة الله .. فقدم لهم العجل الحنيذ ليأكلوا [ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ ]؛ أي إلى الطعام [ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ]؛ وهذه مرحلة من الحدث أيضاً استغرقت جزءاً من الوقت [ قَالُوا لَا تَخَفْ ]؛ ومع ذلك فالخوف لا يزال قائماً، ولماذا لا يخاف .. إلى أن جاءه الخبر اليقين المطمئن، والمزيل للخوف كلياً [ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ]هود:69-70. فعلم حينئذٍ أنهم ملائكة، وأنهم مرسلون من الله، فهدأت نفسه، وذهب عنه الرَّوع.

بينما لمَّا جاؤوا لوطاً عليه السلام، كان الموقف مختلفاً؛ كان الموقف عصيباً، وشديداً، ومحرجاً لنبي الله لوط، لا يحتمل هذا التريث والتأخير في الإخبار بأنهم ملائكة مرسلون من الله، [ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ . وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ . قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ . قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ]؛ إلى هنا تصوير للمشهد والحَدَث، ولحجم الكرب، والضيق، والشدة، والحرج الذي نزل بنبي الله لوط عليه السلام .. وهو حجم ضخم بلا ريب .. ولما رأت الملائكة ما رأت، وسمعت ما سمعت .. لم تقل للوطٍ عليه السلام لا تخف .. لا عليك .. أو تنتظر منه

الترحيب بهم، وبضيافتهم كما حصل بينهم وبين إبراهم عليه السلام .. لا .. ولا حتى مجرد السلام ورد السلام .. فالمسافة طويلة .. ولوط عليه السلام في كربٍ، وموقف عصيب لا يحتمل التأخير، يحتاج إلى إغاثةٍ عاجلةٍ، وإلى أقل كلمات ـ وأقصر مسافة، وزمن ـ تُدخِل الاطمئنان والأمان إلى قلبه، وتُذهِب عنه الرَّوع، والحرج، وضيق الصدر .. يندفع بها شر قومه .. فقالت الملائكة مباشرة:[ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ]؛ أقل كلمات، بأقل زمن، وأقصر مسافة .. فلما سمع لوط هذه الكلمات .. انتهى الأمر مباشرة، وفي حينه .. أنَّى للأشرار أن يقتربوا منه ومن رُسل الله بسوء .. فذهب عنه الروع والحرج، والضيق كله .. واستبدل كل ذلك بالأمن، والاطمئنان .. ثم بعد ذلك بدأوا يزفّون له مزيداً من البشرى والاطمئنان، والتوجيهات[ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ . فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ]هود:77-81. إلى آخر الآيات الكريمات.

* * * * *

## إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ

122- [ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ]هود:102. يَستعجِلُ السُّفهاءُ مِن الكفَّارِ عَذابَ اللهِ .. ويَسألونَ اللهَ نزولَ عِقابِه وانتقامِه بهم؛ ليَتَثبَّتوا ـ بزعمِهم ـ أنَّه الحقُّ، وأنَّ مَا يَدعُو إليه هو الحَقُّ .. فيَظنُّونَ أخْذَ اللهِ كَأخْذِ النَّاسِ بعضِهم بَعضاً .. ويجهلُون أنَّ اللهَ تعالى إذَا أخَذَ يَأخذُ أخْذَ عَزيزٍ مُقْتَدِرٍ .. وأنَّ أخْذَهُ أليمٌ شَديدٌ .. لا يَقْوَى لأَخْذِه شَيءٌ .. ولا يُماثِلُ أخْذُهُ أخْذَاً .. أخْذُهُ يجعَلُ الدُّولَ، والقُرَى، والدِّيارَ بَلَاقِعَ .. وأثَراً بَعدَ عَينٍ!

* * * * *

## فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ

123- [ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ ]؛ كَافِرٌ شَقِيٌّ؛ يُقذَفُ في نَارِ جَهنَّم، [ وَسَعِيدٌ ]هود:105. ومِنْهُم مؤمنٌ سَعيدٌ؛ يَدخُلُ الجَنَّةَ.

* * * * *

## إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ

124- [ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ]هود:107. فَعَّالٌ؛ صِيغةُ مُبالغَة تُفيدُ الكثرَةَ والعدَدَ، وتُفيدُ الشدَّةَ، والقوةَ النافذ أمرها، التي لَا يُعجِزُها شيءٌ؛ أي أنَّ اللهَ تعالى كثيرُ الفعلِ لما يُريد، والقَادرُ على فعلِ مَا يُريد؛ ففي وقتٍ واحدٍ قَد يريدُ اللهُ تعالى مِلياراتِ الأشياءِ أن تكونَ في الخلْقِ والوجُود .. فتكونُ ـ مهمَا تَعاظَم شأنُها ـ كما أرادَ وشَاءَ .. وفي الوقتِ الذي شَاءَ .. لا تَتقدَّمُ، ولا تتأخَّرُ ثانيةً واحدَةً.

125- [ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ]هود:107. يَفعَلُ اللهُ الأشياءَ الكَثيرَةِ؛ مَهمَا كَثُرَت، وتَنوَّعَت، في زَمَنٍ واحِدٍ، وفي الزَّمَنِ الذي يَشَاء .. ولربما في الدَّقِيقَةِ الواحِدَةِ يَفعَلُ مِئاتِ المليارَاتِ مِن الأعمالِ، يَزِيدُ ويُنْقِصُ إذَا شَاء .. لَا رَادَّ لمَا يَفعَل، ولَا مُعيقَ، ولَا مُعَقِّب .. نُدركُ هذا المعنَى أكثَر عِندما نتأمَّلُ أنَّ جميعَ المخلُوقَاتِ والعوَالِمِ السَّمَاويَّةِ والأرضيَّةِ لَا وجُودَ، ولا حيَاةَ، ولَا حرَكَةَ لها إلَّا بإذنِ اللهِ تَعالى ومَشِيئتِه.

* * * * *

## فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاء

126- [ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاء مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ]هود:109. أيُّما عِبَادَةٍ تُصرَفُ لغَيرِ اللهِ .. أيَّاً كانَ هذا الغَير، وكانَت صُورتُه .. فهي عِبادَةٌ باطِلَة، لَا يجوزُ التوقُّف أو الشَّكُّ في بُطلانِها، وفي ضَلالِ وكُفْرِ مَن يَعبُد تلك الآلهةِ، والأصنَامِ مِن دُونِ اللهِ، أو مَعَ اللهِ .. وهُم إذ

يَعبدُونها لَا يَملكون حجةً على عبَادَتِها، سوى التَّقليد لآبائِهم الذين كانوا يَعبدونَها، فعبَدُوها كما كان يَعبُدُها آبَاؤُهم مِن قَبل .. وهؤلاء وآبَاؤُهم المشرِكين سينَالُهم مِن اللهِ نَصيبهم المقَدَّر مِن العَذابِ الذي يَستحِقُّونَه كامِلاً غَير مَنقُوص.

* * * * *

## فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ

127- [ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ]هود:112. كَما أمرَكَ اللهُ، ورسولُه صلى الله عليه وسلم .. لَا كَما تَرْغَبُ، وتُحِبُّ، وتَهْوَى .. ولا كَما يَأمُرك شَياطِينُ الإنْسِ والجِنِّ!

128- [ فَاسْتَقِمْ ]؛ على طَاعَةِ اللهِ، وطَاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، في جَميعِ أحوالِك؛ في حالَةِ الاستِضْعَافِ، وحَالَةِ القُوَّةِ، قَبلَ التَّمكين، وبَعدَ التَّمكين، وفي حَالَةِ الفَقْرِ، وحَالَةِ الغِنَى، ولكلِّ حَالةٍ أحكَامُها، [ كَمَا أُمِرْتَ ]هود:112. في الكِتَابِ، والسُّنَّةِ .. مِن غَيرِ التفَاتٍ إلى البدَعِ والأهواءِ، والسُّبُلِ الملتويَةِ والمنحَرِفَةِ عن مَنهجِ اللهِ .. فَلا تَسْتَعْجِل الظَّفْرَ والوصُولَ بغيرِ مَا أمِرْتَ به!

129- [ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ]هود:112. هذا هو عَمَلُك، وهذا هو المطلُوبُ مِنك، وهذا هو حَدُّك؛ أن تَستقيمَ على أمْرِ اللهِ، وأمْرِ رسُولِه، كما أمَرَكَ اللهُ، وأمرَكَ رسولُه صلى الله عليه وسلم .. ومَا وراءَ ذلك، ومَا سيترتَّبُ، ويَنتجُ عن ذلك فهو ليسَ عمَلُك، وليسَ مِن شَأنِك، ولَسْتَ مَسْؤولاً عنه .. ولَا يَنبغي أن تَستَشْوِفَه .. إنما هو من عمَلِ اللهِ تعالى .. قالَ أحَدُ الصَّالحِين:" كُن طَالِبَ الاستِقامَةِ لَا طَالِبَ الكرَامَةِ؛ فإنَّ نفْسَكَ مُتحركَةٌ في طَلَبِ الكرَامَةِ، وربُّكَ يَطلُبُ مِنك الاستِقَامَةَ ".

130- [ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ]هود:112. في هذا الأمْرِ الإلهي نَهيٌ عن التَّقليدِ، وأَمْرٌ بالمتَابَعَةِ على بَصيرَةٍ وبينَةٍ، وتحرِّي العِلمَ مِن مَصدَرِه، ومِن مِشْكَاتِه؛ قالَ اللهُ، قالَ

رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم .. والعَالِمُ الربَّاني يَحصِرُ دَورَهُ في كيفيَّة وصْلِ الناسِ بأمْرِ اللهِ، ورسُولِه، وتَعريفِهِم به .. إذْ لا يَليقُ به أن يحمِلَهم على تَقليدِه!

* * * * *

## وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ

131- [ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ ]؛ هو المَيْلُ القَلْبِي، ولو كانَ يَسِيراً .. وتَعلُّقُ القَلْبِ بالظَّالمين؛ وأنَّ النَّصرَ لَن يأتي إلَّا مِن خِلَالِهم، وعَن طَرِيقِهم .. فإنْ فعلتُم ذلك، وتعلَّقَ قَلبُكُم بالكافِرين الظَّالمين، وكان الواجِبُ أن لا يتعلَّق القَلْبُ إلا بخَالِقِه، [ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ]؛ هذا في الآخِرةِ .. أمّا في الدُّنيا؛ [ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاء ]؛ ينْصرُونَكُم .. أو يَستطيعُون نَصْرَكُم مِن دُونِ اللهِ، إلَّا مَا شَاءَ اللهُ، [ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ ]هود:113. على عَدُوِّكُم .. لأنَّ النَّصرَ كُلَّه مِن عِندِ اللهِ تعالى وحْدَه .. وهَذا لا يتَنَافَى مع الإعْدَادِ، والأخْذِ بالأسْبَابِ.

132- [ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ]هود:113. قِيل هو الميلُ القَلِيلُ إلى باطِلِ وظُلمِ الظَّالمِين .. فكيفَ بالذي يَميلُ إلى دَرَجَةِ الانبطَاح؟!

* * * * *

## إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ

133- [ إِنَّ الحَسَنَاتِ ]؛ الصَّلَواتُ الخَمْس، [ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ]هود:114. يَمحينَ السَّيئاتِ وآثارَها، كأنَّها لم تَكُنْ .. ما اجتُنِبَت السَّيئاتُ ذَات العَلاقَةِ بحقُوقِ العِبادِ .. كما في الحديث:" أَرَأَيْتُمْ لو أنَّ نَهْراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ منه كُلَّ يَومٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هلْ يَبْقَى مِن دَرَنِهِ شيءٌ؟ قالوا: لا يَبْقَى مِن دَرَنِهِ شيءٌ، قالَ: فَذلكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا "مسلم. وأثَرُ الصَّلاةِ على السيئاتِ يَقْوَى

ويَضْعُفُ، بِحَسْبِ طريقةِ أدَاءِ الصَّلاةِ، فالصَّلاةُ التي تُؤدَّى في وقتِها، وفي جماعَةٍ، ويَتَحَقَّقُ فيها الخُشُوعُ، أثَرُهَا على السَّيئاتِ، وعلى إزالَتِها، أعظَمُ وأكبرُ مِن الصَّلاةِ التي لا يَتَحَقَّقُ فِيها ما تَقدَّم ذِكْرُه.

وفي الآيةِ دَلالَةٌ على أنَّ مَن عَظُمَت حَسَناته .. يُتَوَسَّعُ له في العُذْرِ والتَّأويلِ .. عند مَوردِ العَثَرَاتِ، وحُصُولِ الكَبوَات!

134- [ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ]هود:114. مَا أُقْلِعَ عنِ السَّيئاتِ ـ وبخاصَّة إنْ كانَت السّيئاتِ مِن جِهَةِ الشُّبُهَات لا الشَّهَواتِ ـ وكانَت الحَسَنَات بعْدَ السَّيِّئات.

* * * * *

## وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ

135- غِيَابُ الإصلاح والمُصلحين، وارتفاعُ صوتِ المُفسِدين على صوتِ المصلحين، سَبَبٌ في نُزولِ العَذَاب: [ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ]هود:117. يَغْلُبُ على أهلِها الإصْلَاحُ .. فَلا يجتمعُ هَلاكٌ بظلمٍ مع إصْلاح.

136- [ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ]هود:117. مَوْتُ الصَّالحين، وخُلُو الأرْضِ مِن المُصْلِحين؛ إيذَانٌ في خَرَابِ الأَرْضِ، وهَلَاكِ أهْلِها .. فالمصْلِحُون الذين يَأمرُون بالمعروفِ، وينَهَوْن عن المنكَرِ .. ويُصلِحُون ما أفْسَدَ ـ وإذا ما فَسَدَ ـ النَّاسُ .. هُم صَمَّامُ الأمَانِ في الأرْضِ!

137- [ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ]هود:117. لم يَقُلْ " وأهلُهَا صَالحُون "؛ فالهلَاكُ يَتنزَّل مع وجُودِ الصَّالحِين إذا كَثُرَ الخبَثُ .. فالصَّالحُ؛ صَالحٌ في نفْسِه، ويَقتصرُ صَلاحُه على نفْسِه، وهَذا لَا يكفي في عمليَّة الإصْلاح، كما أنه لا

يَعصمُ القُرَى من الهَلاكِ، بخلافِ المصْلح؛ فهو صَالحٌ في نَفسِه، ويَعمَلُ على إصلاح غيرِه، ومَا يُفسدُه غيرُه .. كما في الحديثِ عَن زَيْنَبُ بنْتُ جَحْشٍ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وفينَا الصَّالِحُونَ؟ قالَ:" نَعَمْ؛ إذَا كَثُرَ الخَبَثُ "البخاري. أي إذَا كَثُرَت المعَاصِي، والذُّنُوبُ، وجاهرَ بها الفَاسِقُون، مِن دُونِ أن يُنكرَ عليهم أحَدٌ، وانكَفَأ الصَّالحُون على صَلاحِ أنفُسِهم، دُونَ إصْلاحِ غَيرِهم!

* * * * *

## وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ

138- [ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ]هود:118-119.

139- [ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ ]؛ بأمْرٍ كَوْني؛ كُن فيكُون [ أُمَّةً وَاحِدَةً ]؛ على الإيمانِ والإسْلامِ، وعلى أتْقَى قلبِ رَجُلٍ .. فهذا أمرٌ هيّنٌ على اللهِ، فالله تعالى لا يُعْجِزُه شيءٌ .. لكن هذا بخلافِ حِكمَتِه سُبحانه من إيجاد الخلْقِ .. لذلك فأهلُ الباطِل، والدياناتِ الباطِلةِ [ وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ] ومتنَازعين ومُتَفرّقين في الدِّين .. [ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ]؛ إلا المؤمنون المسلمون فيرحمهم الله تعالى من الاختلاف والتنازع والتَّفرقِ في الدِّين .. [ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ]؛ خلقَ أهلَ الباطلِ للفرقَةِ والعَذَابِ .. وخلق أهلَ الإيمان والحنيفية السمحة للرحمةِ والوحدةِ والجماعة والاعتصامِ بحبلِ الله، مَهْمَا اختَلَفَت دِيَارُهم، قلُوبُهم مجتمِعَةً .. فريقٌ إلى السَّعيرِ، وفريقٌ إلى الجنَّةِ، وكل مُيسَّر لما خُلِقَ له، [ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ]؛ من الذين اختَلَفُوا وتفرَّقُوا في مِلَلٍ ومذاهب وأديان باطلةٍ، مُغَايرة لِدينِ اللهِ الحقّ الإسلام.

140- دُعاة الفرقة، والتَّفرق، والخلاف والاختلاف، والتحزبات، يكثر استدلالهم بقوله تعالى:[ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ]هود:118-119. فيضعونها في غير موضعها، ويحملونها على شرعية التفرق، واختلاف التضاد .. وتعدد الأحزاب .. وقالوا: الله تعالى ـ بدلالة هذه الآية ـ خلقنا من أجل الاختلاف والتعدد في المناهج والرؤى والتوجهات .. فالاختلاف والتعدد غاية من غايات الوجود والخلَق .. وسنة من سنن الحياة التي لا بد منها .. وبالتالي لا ينبغي ولا يجوز أن نسعى أو نقف في مواجهة الغاية التي وُجِدنا من أجلها؛ ألا وهي الاختلاف، والتعدد، والتفرق في الدين، والرؤى، والمناهج، وفي أحزاب، وجماعات، وملَل شتَّى ...؟!

وهذا فهم خاطئ وضار بدلالة النقل والعقل، فيه تحميل للآية ما لا تحتمل، كما فيه تلبيس على الحق والخلْق، يُرد عليه من أوجه عدة:

منها: أن هذا الفهم للآية الكريمة لم يقل به عالم معتبر، ولم يُؤثَر عن أحدٍ من علماء السلف، ولا هو في كتاب من كتب التفسير المعتمدة والمعتبرة، والمنشورة بين أيدينا!

ومنها: أن هذا الفهم الخاطئ بخلاف الأدلة المُحكَمَة والكثيرة التي تحض على الوحدة، والاعتصام بحبل الله جميعاً، وعدم التفرق، والاختلاف، والتنازع .. والتي منها قوله تعالى:[ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ]آل عمران:103. وقوله تعالى:[ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ]آل عمران:105. وقوله تعالى:[ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ]الأنفال:46. [ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ]الأنعام:159. [ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ]الروم:31-32. [ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ

مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ]آل عمران:19. [ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ . وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ]الشورى:13-14. [ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ]البقرة:176.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" إن الله يرضى لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال " مسلم.

وقال ﷺ :" عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ". وقال ﷺ:" الجماعة رحمة والفرقة عذاب ". وقال ﷺ:" يد الله مع الجماعة ". وقال ﷺ:" لا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله "متفق عليه. وقال ﷺ:" لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا "البخاري. وقال ﷺ:" لا تختلفوا فتختلف قلوبُكُم ". فتأمل كيف أن مجرد الاختلاف في تسوية الصفوف للصلاة مؤداه لاختلاف القلوب وتنافرها .. ومصداق هذا الحديث الشريف فما اختلفت مع مصلٍّ يصلي بجواري في جماعة على تسوية الصف إلا ووجدت في قلبي عليه شيئاً .. وأظنه قد وجد في قلبه عليَّ ما وجدت في قلبي عليه .. فالاختلاف لا يأتي إلا بشر .. لذا يمن الله تعالى على عباده المؤمنين بأن آلَفَ بين قلوبهم، وجعلهم بنعمته إخواناً متحابين، كما في قوله تعالى:[ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ]آل عمران:103. وقال تعالى:[ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ ]الصف:4. وقال صلى

الله عليه وسلم:" الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً "مسلم. وهذا لا يتأتَّى مع التنازع والاختلاف.

قال ابن عباس ﷺ:" أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة، فنهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله ".

ومنها: ما تقدم أعلاه هو المحكم من دين الله، الذي يجب القول به، والرجوع والاحتكام إليه، ورد ما تشابه من النصوص إليه، وتفسيرها وفهمها على ضوئه وحُكْمِه .. فإن عُلم ذلك، ننظر في تفسير الآية الكريمة التي اختلفوا وخالفوا في فهمها، وماذا قال أهل العلم والتفسير المعتبرين في تفسيرها.

قال تعالى:[ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ]هود:118-119.

[ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ ]؛ بأمر كوني؛ كن فيكون [ أُمَّةً وَاحِدَةً ]؛ على الإيمان والإسلام، وعلى أتقى قلب رجل .. فهذا أمرٌ هيّنٌ على اللهِ، فالله تعالى لا يُعْجِزُه شيءٌ .. لكن هذا بخلاف حكمته سبحانه من إيجاد الخلق .. لذلك فأهل الباطل، والديانات الباطلة [ وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ] ومتنازعين ومتفرقين في الدين .. [ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ]؛ إلا المؤمنون المسلمون فيرحمهم الله تعالى من الاختلاف والتنازع والتفرق في الدين .. [ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ]؛ خلق أهل الباطل للفرقة والعذاب .. وخلق أهل الإيمان والحنيفية السمحة للرحمة والوحدة والجماعة والاعتصام بحبل الله .. فريق إلى السعير، وفريق إلى الجنة، وكل مُيسَّر لما خُلِق له، [ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ]؛ من الذين اختلفوا وتفرقوا في ملل ومذاهب وأديان باطلة، مغايرة لدين الله الحق الإسلام.

هذا المعنى تواترت عليه الأدلة من كتاب الله، كما في قوله تعالى:[ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ]النحل:93. وقوله تعالى:[ وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ]الشورى:8. فاستثنى الله وميز بين المؤمنين الذين يُدخلهم في رحمته، وجنته .. وبين الضالين الظالمين المختلفين المتفرقين المتنازعين في الدين، الذين ليس لهم إلا العذاب الأليم.

عن عطاء:[ وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ]، قال: اليهود والنصارى والمجوس، والحنيفيَّة همُ الذين رحم ربُّك.

وعن الحسن البصري:[ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ]، قال: الناس مختلفون على أديان شتى، إلا من رحم ربك، فمن رحم غير مختلفين.

وعنه: [ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ]، قال: الناس كلهم مختلفون على أديان شتى، إلا من رحم ربك، فمن رحم غير مختلف. [ ولذلك خلقهم ]، فقال: خلق هؤلاء لجنته، وهؤلاء لناره، وخلق هؤلاء لرحمته، وخلق هؤلاء لعذابه.

وعن مجاهد:[ ولا يزالون مختلفين ]، قال: أهل الباطل، [ إلا من رحم ربك ]، قال: أهل الحقّ.

وعن ابن المبارك:[ إلا من رحم ربك ]، قال: أهل الحقّ، ليس فيهم اختلاف.

وعن ابن عباس:[ ولا يزالون مختلفين ]قال: أهل الباطل، [ إلا من رحم ربك ]، قال: أهل الحق.

وعنه:[ ولذلك خلقهم ]، قال: خلقهم فريقين: فريقاً يُرْحَم فلا يختلف، وفريقاً لا يُرْحَم يختلف، وذلك قوله:[ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ]هود:105.

وعن قتادة، قوله:[ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ]، فأهل رحمة الله أهل جماعة، وإن تفرقت دورهم وأبدانهم، وأهل معصيته أهل فرقة، وإن اجتمعت دورهم وأبدانهم.

وعن الأعمش:[ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ]، قال: من جعله على الإسلام.

قال أبو جعفر الطبري في تفسيره بعد أن نقل الآثار الواردة أعلاه: وأولى الأقوال في تأويل ذلك، بالصواب قولُ من قال: معنى ذلك:" ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى، إلا من رحم ربك، فآمن بالله وصدق رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله، وتصديق رسله، وما جاءهم من عند الله". وإنما قلت ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله:[ وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجِنة والناس أجمعين ]، ففي ذلك دليلٌ واضح أن الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس، إنما هو خبرٌ عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار .."ا-هـ

ومنها: قولهم أن الله تعالى خلقنا من أجل الاختلاف .. ومن ثم استدلالهم بالآية الكريمة على شرعية هذا الاختلاف .. هو مغاير ومصادم للآيات الكثيرة التي تبين أن الله تعالى ما خلقنا إلا لعبادته وتوحيده سبحانه، كما في قوله تعالى:[ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ]الذاريات:56. وقوله تعالى:[ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ]التوبة:31. وقوله تعالى:[ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ]البينة:5. وقوله تعالى:[ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ]النحل:36. وغيرها كثير من

الآيات التي تحدد الغاية من الخلق، ومن وجود الإنسان، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب.

ومنها: أنهم استدلوا بالإرادة الكونية على الإرادة الشرعية؛ فقالوا: ما دام قد قدر الله لنا التفرق والاختلاف .. وشاءه لعباده .. وخلقنا من أجل الاختلاف .. هذا يعني أن الله تعالى يريده ويرضاه لنا تديناً .. فكيف نوقف ونرد ونمنع ما خلقنا الله من أجله .. ولا نرضى ما رضي الله لنا؟!

وهذا استدلال خاطئ، قد سبقهم إليه المشركون الأوائل؛ فاستدلوا بالمشيئة الكونية الشاملة للخير والشر، على المشيئة الشرعية الدالة على ما يحبه الله تعالى ويرضاه .. فأحلوا نتيجة لهذا الاستدلال الخاطئ، الشرك والموبقات، كما قال تعالى:[ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ ]الأنعام:148. [ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ]النحل:35. فقالوا ما دام أن الله تعالى هو الذي خلق الشرك وقدره، وخلق الحرام وقدره؛ هذا يعني أن الله تعالى يحب ويرضى الكفر والشرك، والحرام .. فكيف تمنعوننا من شيء الله تعالى قد قدره وشاءه .. وهو نفس قول واستدلال أصحاب التفرق والاختلاف بالآية الكريمة الواردة في سورة هود .. تشابهت أقوالهم، وقلوبهم .. بل وقد ذهب كبيرهم الذي علمهم التحريف والتزوير ـ كما تعقبناه في كتابنا حكم الإسلام في الديمقراطية قبل أكثر من عشرين سنة ـ إلى الاستدلا بتعدد ألوان الجبال والصخور على شرعية الاختلاف والتفرق والتعدد في الرؤى والدين، والسياسة،

والمناهج .. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أمرين: الإفلاس في الاستدلال .. وسوء الطوية نحو دين الله، والعياذ بالله!

* * * * *

## فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ

141- [ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ]هود:123. التوكُّلُ عملٌ قلبيٌّ؛ له ركْنٌ، وشَرطٌ، رِكْنُه؛ تَعلُّقُ القَلبِ باللهِ، واعتمَادُه عليه، والثِّقَةُ بِهِ سُبحانَه، واليَقِينُ بتوفِيقِه، وأنَّ اللهَ تعالى قَادِرٌ على كلِّ شَيءٍ .. وشَرْطُهُ السَّعْيُ، وتعَاطِي الأسبَاب، والأخْذُ بها، مِن غيرِ تَعلُّقِ القَلبِ بها .. وهذا كلامٌ نَظريٌّ سَهلٌ .. الناسُ يتمايزُون ويَفترِقُون في تَطبيقِه، وتَنزيلِه على أنفُسِهم، وعلى الوَاقِعِ .. والتوكُّلُ مِن العِبَادَةِ العَامَّةِ، ومِن أخصِّ مَا يَدخلُ في معنَى العِبادَة .. أُفْرِدَ بالذِّكْرِ لبيانِ فضْلِه وأهميته في تحصيلِ المنافِعِ الدينيَّةِ، والدنيويَّة، وفي الحَدِيثِ:" لو أنَّكم كنتُم تَوَكَّلونَ علَى اللهِ حَقَّ توَكُّلِه لرُزِقتُم كما يُرزَقُ الطَّيرُ؛ تَغْدُو خِمَاصَاً، وتَرُوحُ بِطَاناً ".

* * * * *

## إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً

142- [ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً ]يوسف:2. لا يَبغضُ العرَبَ، والعربيَّةَ مؤمنٌ صحيحُ الإيمانِ .. وفي الحديث:" أحِبَّ العَرَبَ من قَلبِك ". والمرادُ بالعرَبِ؛ العربُ الذين يتشرَّفُون ويؤمنون بالقرآنِ الكريم .. الذين يَنصرُ اللهُ بهم الدِّينَ .. ومهما تخلَّى العربُ عن القرآنِ الكريم، وابتعدُوا عنه، أذَلَّهم اللهُ، وتفرَّقُوا .. وأصبحُوا ذَيلاً، ومن أطرافِ الأمَم ـ بعد أن كانُوا بالقُرآنِ رأساً، وسادَةً على الأممِ ـ وفقَدُوا خصائصَ، ومقوِّمات عزَّتِهم، ومكانتِهم، وقوَّتِهم!

143- [ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً ]يوسف:2. حيثُما وجِدَ الإسلامُ، وُجِدَت معه اللغةُ العربيَّةُ .. وحيثُما وُجِدَ الإقبالُ على القُرآنِ الكريمِ؛ حِفْظاً، وتلاوَةً، ودراسةً، وُجِدَ معه الاهتمَامُ باللُّغَةِ العربيَّةِ .. لا يجتمعُ في قلبِ امرِئٍ حبٌّ للإسلامِ والقُرآنِ الكريمِ .. وبُغضٌ للعربيَّةِ .. فاللغةُ العربيَّةُ ليسَت مجرَّدَ لغَة قومٍ .. وإنما هي لغةٌ عالميَّةٌ .. هي لغةُ القُرآنِ الكرِيم .. ولغَةُ خاتَمِ وسيِّدِ الأنبياءِ والمرسَلين .. ولغَةُ أصحابِه الكِرام رضي الله عنهم أجمَعين .. هي لغَةُ الدِّينِ؛ فمَن رَفَضَها، وعَادَاها فقد رَفَضَ، وعَادَى الدِّين!

144- [ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ]يوسف:2. ذَنْبُ الكافِرِ العَربي ـ أو الذي يُحسِنُ العربيَّة، ويَفْقَهُ لُغَةَ القُرْآنِ الكَريم ـ أضعَافُ ذَنبِ الكافِرِ الأعجَمِي، الذي لا يُحسِنُ العربيَّة، ولَا يَفْقَه لُغَةَ القُرآنِ الكَريم.

* * * * *

## نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ

145- [ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ]يوسف:3. أصْدَقَ القَصَصِ، وأجمَلَها، وأمتَعَها، وأَقْوَاهَا، وأنفَعَها .. وما أحوجنا وأبناؤنا إلى أن نعْكِفَ أوَّلاً على قِراءَةِ

وتَدبُّرِ قَصَصِ القُرآنِ الكَرِيم، نَسْتَلْهِمُ مِنها الحِكَمَ، والعِلمَ، والفَوائدَ، والعِبَر، ونَزْدَادُ بها إيمانَاً ويَقيناً .. كَمْ هو محزِنٌ ومؤلمٌ أن نرَى أطفالَ المسلمين يَعكفُون على قَصَصٍ مَليئةٍ بالكَذِبِ، والخرَافَات، والفُسُوقِ، والمجُون .. وكثيرٌ منها خيَاليٌّ غير واقِعِي .. بينَمَا تَرَاهُم يُعْرِضُون عن قِراءَةِ وتَدَبُّرِ أحسَنِ القَصَصِ؛ قَصَص القُرآنِ الكرِيم .. لا يَعرفُون عنها شَيئاً؟!

* * * * *

## قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً

146- [ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً ]يوسف5. وذلك أن صاحِبَ النعمَةِ محسُودٌ .. ومِن لوازِمِ استمرَارِ النِّعمَةِ، وإنجاحِهَا أن يستعينَ صاحبُها بالكتْمَانِ، وبخاصَّةٍ عن أقرانِه، ومَن يُعرَف بالحسَدِ .. فكم مِن نعمَةٍ ـ بما في ذلك الطَّاعَات والنِّعَم المعنَويَّةِ ـ يُفْسِدُها التَّعريفُ والإشهَارُ بِها!

* * * * *

## قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ

147- [ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ ]؛ أيُّ غُلَامٍ؛ إنَّهُ يُوسُفُ الصِّدِّيق، ابنُ الصِّدِّيق، ابنُ الصِّدِّيق، ابنُ الصِّدِّيق، [ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ]يوسف:19. فأخَذُوه، وأخْفَوا أمرَهُ، وحمَلُوه معَهم كمتَاعٍ مِن جملةِ أمتِعَتِهم .. وعَرَضُوه للبيعِ كما يُبَاع أيُّ متَاعٍ، وبثمنٍ بخْس .. وهُم لَا يَعرفُون أنَّهم يَبيعُونَ نَبيَّاً ..... لَا تَزْهَدَنَّ بأحَدٍ .. ولَا تحتَقِرَنَّ أحَداً .. ولَا تحكُم على أحَدٍ مِن مَظْهَرِه .. فقَد يكُون عندَ اللهِ مِن أولِيَائِه المقرَّبين وأنتَ لَا تَدْرِي!

* * * * *

## وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ

148- [ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ]يوسف:20. مَنْهَجُ الزُّهدِ بالصَّالحِين، والعُلماءِ الربَّانِيين لم يتوقَّفْ عندَ أخوةِ يُوسُف .. فهو مَنهَجٌ قَائمٌ ومُستمرٌّ إلى مَا بَعدِ يُوسُف عليه السلام .. فَكَم هؤلاء الذين يَزهدُون بالقُرآنِ، والإقبالِ عليه .. ويَزهدُون بسنَّةِ النبيِّ المصطَفى صلى اللهُ عليه وسلم .. ويَزهدُون بالعلماءِ الربَّانيين الصّادِقين .. حتَّى بِتْنَا نَرى القَوْمَ يَستبدِلُون مائةَ عَالِمٍ براقِصَةٍ .. ويحرصُون على الرَّاقِصاتِ الفَاسِقَاتِ أكثَرَ ممَّا يحرصُون على العُلماءِ، وعِلمِهم .. وهؤلاء كُلُّهم على نَهْجِ أُخْوَةِ يُوسُف في الزُّهدِ في الخَيرِ وأهْلِه!

* * * * *

## وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ

149- [ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ]؛ أمْرُ اللهِ هو النَّافِذُ في الوجُودِ، لَا رَادَّ، ولَا مُعَقِّبَ لأمْرِه .. وأمْرُ ما سواه لا يَنفذُ منه شيءٌ إلا بإذنِه، ومَشيئتِه؛ فالأمْرُ كُلّه إليه .. ولو اجتمَعَ الأنسُ والجِنُّ على أمْرٍ، وأرادَ اللهُ أمرَاً آخَر فأمْرُ اللهِ تعالى هو الغَالِبُ، وهو النَّافِذُ .. وأمْرُ الإنْسِ والجنِّ هو المغلُوبُ، والمردُود .. ولو غَلَبَ شَياطينُ الإنسِ والجنِّ بعضَ المؤمنين على الوقوعِ في ذَنْبٍ، يَغلبُهم اللهُ تعالى بعَفْوِه، ومَغْفِرتِه، وتَوبَتِه على المؤمنين، ولا يُسْلِمُهم للشَّيَاطِين، [ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ ]؛ وهم الكُفَّارُ، [ لاَ يَعْلَمُونَ ]يوسف:21. هذه الحقِيقَة التي لا شَكَّ ولا رَيبَ فِيها!

* * * * *

## فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ

150- [ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ ]؛ فأدخَلَهُ السِّجْنَ، [ فَصَرَفَ عَنْهُ ]؛ عن يُوسُفَ عليه السَّلام، [ كَيْدَهُنَّ ]يوسف:34. فصَرَفَ كَيْدَ النُّسْوَةِ عنه بالسِّجْنِ؛ فجَعَلَ السِّجْنَ

حَاجِزاً صَادّاً ومانِعاً لكَيدِ النُّسْوَةِ عن يُوسُف عليه السَّلام .. ومِن أَنْ يَصِلْنَ إليه .. فكانَ السِّجْنُ في ظاهِرِه شَرّاً، وفي باطِنِهِ رحمةً، وخَيراً كَثيراً .. يَنْدَفِعُ به شَرّاً أكبر .. وكم مِن شَرٍّ يكونُ بهذَا المعنى؛ يُقَدِّرُه اللهُ لِيَدْفَعَ به شَرّاً أكبر .. ويُحَقِّق به خَيراً راجِحاً .. وصَاحِبُه لا يَعْلَمُ .. أو قَد لا يَعْلَمُ إلَّا بعدَ حِين!

151- الحسَنَاتُ النَّاجِمَةُ عَن سَجنِ يُوسُف عليه السلام عَديدَةٌ، منها:

1- كانَ السِّجْنُ سَبَباً في صَرفِ كَيدِ النُّسْوةِ عن يُوسُف عليه السلام.

2- كان سَبباً في تبرئتِه ـ أمامَ الملَأ ـ ممَّا رمَتْهُ به امرَأةُ العَزيزِ، مِن زُورٍ وبُهتَانٍ، وإظهَارِ الحقِيقَةِ ...!

3- كان سبباً لدخُولِ يُوسُف عليه السلام على الملِكِ، وتَأويلِ رُؤيَاه ...!

4- كان سبباً في أن أصبحَ يُوسُفُ عليه السلام عَزيزَ مصر، وسَيِّدَ مصر الأول .. إليه يُردُّ حُكمُ البِلاد، وإدارَةُ شؤونِها!

5- كان سبباً في إنقاذِ أهلِ مصر، ومَن حولَهَا مِن القُرى، مِن المجَاعَةِ والهَلاكِ ...!

6- كان سبباً لاجتماعِ يُوسف عليه السلام بأبوَيْهِ، وإخْوَتِه، بعدَ فِراقٍ دَامَ عُقُوداً، والإتْيانِ بِهم إلى مصر ...!

7- كان سبباً في إظهارِ وتحقيقِ تَأويلِ رُؤيا يُوسُف عليه السلام:[ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ]يوسف:4.

كُلُّ هذا الخير، وغيره، ما كانَ سيتَحَقَّقُ لولا السِّجْن وتقدير اللهِ له .. فكم مِن ضَارَّةٍ نَافِعَة .. وكم من شَرٍّ يَعْقُبُه خَيرٌ كثير .. ولو اطَّلعتُم على الغَيْبِ؛ لرضِيتُم بالواقِع، وإنْ كَانَ مُرّاً!

* * * * *

## يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ

152- [ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ]يوسف:39. لم يَرِدْ يُوسفُ عليه السلام صحبَتَهما لنَفْسِه، عِلماً أنَّهما كانَا معَه في السِّجْنِ، وإنما رَدَّ صحبَتَهما إلى السِّجنِ؛ أي يا مَن يَسكَانِ ويَتواجَدَان في السِّجْنِ .. وذَلك أنَّ الصُّحبةَ الحقَّةَ لها شُروطُها، وحقُوقُها، والتي مِنها الموافَقَة في الاعتقادِ والدِّينِ .. وهو مَا لم يَتحقَّقْ بَعْدُ في الفتَيَيْنِ اللَّذَين دَخَلا معه السِّجنَ.

153- [ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ]يوسف:39. كان لكلِّ واحدٍ مِن صَاحبي السِّجنِ رُؤيا عجيبَة قَد رآها في السِّجنِ .. قد أهمَّته، وأقلقَتهُ يُريدُ أن يعرفَ تأويلَها وتَفسيرَها .. وكان مَعهُما في السِّجنِ خَير وأصدق مَن يُفسِّر لهما رُؤيتَهما .. فتوجَّها إليه يَسألانِه ويَرجوانِه تَأويلَ رُؤياهمَا .. وكانا في قمَّةِ الانتباهِ والاهتمَامِ لما سيقُولُه يوسُفُ لهما .. لكن النبي يوسُف عليه السلام أحسَنَ استغلال إقبَال السَّجينَين عليه، وحاجتَهما الماسَّةِ إليه، ولما سيقوله .. فمثلُ هذا الاهتِمامِ، والإقبَالِ منهمَا نحوه قد لا يَتكرَّر .. فتلَقين المقْبلِ عليك، يختلفُ عن تَلقِين المدبرِ المنشَغِلِ عنك .. فلم يَتسرَّع في الإجابةِ عمَّا قَد سَألا عنه .. لَا؛ لم يفعلْ ذلك، وإنما أوَّلاً دَعاهُما إلى ما هو أهم ممَّا سَألَا عنه بكثِير، دَعَاهما إلى التَّوحِيدِ، وعبادَةِ الله تعالى وحدَه، ونَبذِ الأندَادِ والشُّركاءِ .. وبعدَ أن انتَهى مِن دَعوتِهما إلى التَّوحيدِ، ونَبذِ الأندادِ والشُّركاءِ .. أجابهما عمَّا قَد سَألَا عنه .. وهذا أسلوبٌ عظيمٌ في الدعوةِ إلى اللهِ، حريٌّ بالدعاةِ إلى الله أن يَستفيدُوا منه، فيُحسِنُوا استِغلالَ إقبَال الناسِ عليهم، وحاجَتهم إليهم في أمورِهم الدُّنيويَّة والاجتماعيَّةِ .. فيُلقنونَهم التَّوحيدَ، وما يحتاجُونه من أمورِ دِينِهم وآخِرتِهم ـ قَدرَ الإمكَانِ ـ قَبل أن يُجيبُوهم لما سَألُوا عنه، وعمَّا أهَمَّهم مِن أمُورِ الدُّنيَا ...!

* * * * *

## إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ

154- [ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ ]؛ ليس الحُكمُ ـ سواءٌ كان كَونيّاً أمْ شَرْعيّاً ـ لأحَدٍ إلَّا للهِ، [ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ]يوسف:40. أَمَرَ أَلاَّ تُطِيعُوا إِلاَّ إِيَّاهُ، في الحُكْمِ والتَّشْرِيع.

* * * * *

## وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ

155- [ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ]يوسف:53. هذه النَّفسُ الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ، صديقةُ الشيطانِ، وحليفةٌ له، يمدُّها بحبالِه ووسَاوسِه؛ لتحملَ صاحِبَها على فعلِ مَزيدٍ مِن الخطَايا والسُّوءِ .. وهي أشدُّ ضراوةً على صاحبِها مِن كَيدِ الشيطانِ .. وأحياناً تعملُ مستقلَّةً بمعزلٍ عن الشيطانِ ـ كما في شهرِ رمضان حينما تُصَفَّدُ الشياطينُ ـ تأزُّ صاحبَها أزّاً على فعلِ الخطَايا والمنكراتِ .. وخطُورةُ هذه النفسِ أنَّها كلما مَدَّها صاحِبُها بما تُريدُ شعَرَت بالمتْعَةِ المؤقَّتَةِ .. وقالت له هلْ مِن مَزيدٍ .. وهي في صِراعٍ وتَدافُعٍ مُستمرَّيْن مع النفْسِ اللَّوامَةِ .. ولمن تكونُ الغَلَبَةُ منهما يكونُ الإنسانُ؛ فإن غلبَت النفسُ اللَّوامَةُ كان إنساناً صالحاً، وإن غلبَت النفسُ الأمَّارةِ بالسُّوءِ، كان طالحاً وشريراً.

* * * * *

## آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ

156- [ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِس بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ]يوسف:69. لم يَقُلْ لأخِيه أنا يُوسف؛ لاحتمالِ أن يُفكرَ ويَذهبَ ذهنُه في كلِّ يوسُف إلَّا يُوسُف أخيه .. وإنَّما قالَ له الكلمَةَ الأكثرَ دِفْأً، والأكثر وشِيجَةً، والأسْرَع في إدخَالِ الطَّمأنينَة إلى قَلبِ ونَفْسِ أخِيه، والأَسْرَع في إيصَالِ المعنَى المُرَاد؛ " أَنَاْ أَخُوكَ "!

* * * * *

## وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ

157- كلُّ شيءٍ له بدايةٌ ونهايةٌ .. عَدا العِلمُ؛ له بدايةٌ لكن ليس له نهاية .. فهو بَحرٌ ذو شاطئٍ واحد، لا يُدرَك شاطئهُ الآخَر .. [ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ]يوسف:76. لذا فالإنسانُ مهما كان عالِماً يَظلُّ طالِباً للعِلمِ، ومهما بَلَغَ درجةً من العِلمِ .. يُقالُ له في النهاية:[ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ]الإسراء:85.

* * * * *

## فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ

158- [ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ]يوسف:77. فيه تَقريرٌ لمبدأ التَّغَافُلِ، والتَّجَاهُلِ، والتَّعَامِي، والتَّغَاضِي، والتَّغَابِي .. وأن ليسَ كل ما يُعْلَم يُسْتَحْسَنُ أن يُقال!

مِن التَّغَافُلِ ما يَكُونُ إلى حِينٍ، ومِنهُ مَا يكُونُ أَبَدَا.

صَدَقَ القائلُ: ليسَ الذَّكِيُّ بسَيِّدٍ في قَوْمِهِ ... لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ المُتَغَابِي

* * * * *

## قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ

159- [ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ ]يوسف:86. اللهُ تَعَالى غَيورٌ؛ لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِن اللهِ، ومِن غَيرَتِهِ على عَبدِهِ أن يَراهُ قَد تَعلَّقَ قَلبُه بغَيرِه .. وتوجَّه بحاجَتِه، ومَسْأَلَتِه إلى غَيرِه .. وهو رَبُّهُ، وخَالِقُه، ومَالِكُه، والقَادِرُ على أن يجيبَه، ويكشفَ له كَرْبَه .. والبَلاءُ أحيَانَاً يَنزِلُ؛ ليُرَى كيفَ سيتعامَلُ العبدُ معَ البَلاءِ؛ هَل سَيَشْكُو اللهَ إلى خَلْقِهِ، وعِبادِه .. أم أنَّه سيَصْبِرُ، ويَشْكُو بَلاءَه ومُصَابَه إلى اللهِ وحْدَه ...؟!

وفي الحديث:" مَن تكفَّلَ لي أن لا يَسألَ النَّاسَ شيئًا أَتكفَّلُ لهُ بالجنَّةِ ". لهُ الجنَّةُ للمعنَى المُشَار إليه أعْلَاه.

* * * * *

## إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ

160- [ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ]يوسف:87. اليَأسُ والقُنُوطُ مِن رحمَةِ اللهِ صِفَةٌ مِن صِفَاتِ الكافِرين؛ لأنَّهم كُفَّارٌ ومُشْرِكُون، فلا يجتمعُ الكُفْرُ والشِّركُ معَ رحمةِ اللهِ .. والرَّجاءِ والأَمَلِ برحمَةِ اللهِ .. لِذا فهم في يَأسٍ وقُنُوطٍ مِنْها .. أمَّا أنتم يا مُؤمنُون، لا يَنبَغِي لكم أن تَتَشَبَّهُوا بِهم، وتَقَعُوا في اليَأسِ والقُنُوطِ مِن رحمةِ اللهِ كَما وقَعُوا؛ لأنَّكم مُؤمنُون، وموحِّدُون، ورحمَةُ اللهِ تُدرِككُم مَهمَا كان مِنْكم مِن عمَلٍ، أو خَطَايَا .. والآيةُ ليسَ فِيها أنَّ اليأسَ كُفْرٌ .. وإنَّما فِيها أنَّ اليَأسَ صِفةٌ لازِمَةٌ ولصِيقَةٌ بالكافِرين .. خَاصَّةٌ بِهم دونَ المؤْمنِين .. لا يجوزُ ولا يَنبَغِي للمؤمنِين أن يقَعُوا فِيها .. أو أن يَتَشَبَّهوا بالكافِرين فِيها.

161- [ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ]يوسف:87. اليأسُ كفرٌ؛ لأنه يُفيد سوءَ الظَّنِّ بالله، وأنَّ ما نزلَ من بلاءٍ عَصيٌّ على الله كشْفه وصرْفه، فيُفقَدُ معه الأملُ بالله القادِر، ويُلتمَسُ الفَرَجُ، والفُرْقان، وكشْفُ الضرّ من عند غيره، وأنَّى ...!

162- [ يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ]يوسف:87. سُبحَانَه مَا أحلَمَهُ، ومَا أصبرَه .. يَعلمُ مَا لا نَعلم .. يخلقُ الشيءَ وضِدَّه؛ ليميزَ الخبيث مِنَ الطَّيبِ، ويُعرَفُ الصَّالحُ مِن الطَّالح .. ويَظهرُ اليسرُ بعدَ العُسْرِ، والفَرَجُ بعد الضِّيقِ، ويتحقَّقُ الاختبارُ .. ويَتحقَّقُ

الاصطِفَاءُ .. فلا يحملنَّك شِدَّةُ البَلاءِ، وطُولُ أمَدِه، على اليأسِ والقنُوطِ مِن رَحمةِ اللهِ .. فلَن تجدَ مَن هو أرحَمُ بِك مِن اللهِ .. فهَا هو النبيُّ يَعقُوب عليه السلام ـ ولنا في سيرةِ جميعِ الأنبيَاءِ والرسُلِ أسوَةٌ حسَنَةٌ ـ بعدَ أن فقدَ النبيَّ يوسُف عليه السلام؛ أحَب أبنَائِه إليه، لعدَّةِ عُقُودٍ، وفقَدَ بصَرَه من الحزنِ عليه .. يُوصِي أبناءَهُ بالبحثِ عن يوسُف، وأخِيه، وعدَمِ اليأسِ، والقُنُوطِ مِن رحمةِ اللهِ.

* * * * *

إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

163- [ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ]يوسف:90. فيه أنَّ الإحْسَانَ لَا يتحقَّقُ إلَّا معَ التَّقْوَى، والصَّبْر .. ومَن اجتمعَ فيه التَّقوَى والصَّبرُ فهو من المحسنِين.

* * * * *

وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً

164- [ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً ]يوسف:100. مَا بين الرُّؤيَا وبينَ تَأويلها أربعُون سَنَةً، وقِيل ثمانُون سَنةً .. فيَا مَن تَسْتَعجِلُ النَّصرَ .. والظَّفْرَ .. وتَأويلَ الرُّؤيَا .. الصَّبْرَ .. الصَّبْر!

* * * * *

يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ

165- [ وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ]يوسف:105. الآيَاتُ في السَّمَاوَاتِ والأَرضِ عَدِيدَةٌ جِدًّا مِنها الزَّلَازِلُ، والبرَاكِينُ، والرِّياحُ، والمطَرُ، والثَّلْجُ، والكُسُوفُ، والخُسُوف، وغَيرُها .. الكَافِرُ يَقِفُ عندَ الأسبَابِ

الماديَّةِ الظَاهِرَةِ لوجُودِها، ويَردُّ وجُودَهَا للطَّبيعَةِ، ويُعرِضُ عَن الحكمَةِ والغَايَةِ مِنْهَا .. بينما المؤمنُ يَقِفُ على الأسبَابِ الماديَّةِ الظَّاهِرةِ لوجُودِ الآياتِ، ويُؤمنُ بأنَّ اللهَ هو الذي خَلَقَهَا وقدَّرَهَا، لحِكْمَةٍ يُريدُها سُبحَانَه.

166- [ وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ]يوسف:105. مَا أكثر الآياتِ الكونيَّة الزَّاجِرات المهلِكات التي نزلَت مِن قبل بالظالمين وبقراهم، وتنزلُ اليومَ .. وستنزلُ غداً .. ومعَ ذلك يُقابلها الكافرُ الملحدُ بالاستخفَافِ، والإعراضِ .. والتَّهكم .. وعدَمِ الاعتِبارِ .. ويردُّ ما يَراه مِن زواجِرِ الآياتِ الكونيَّةِ مِن زلازل، وبراكِين، وعواصِف، ومطَرٍ مدَمِّرٍ .. وفيضاناتٍ .. وحرَائق .. وأدواءٍ .. وغيرها من الآياتِ .. إلى الصدْفَةِ، وحركةِ الطبيعَةِ، وإرادةِ الطبيعَةِ .. بعيداً عن إرادَةِ ومشيئةِ اللهِ .. صدَقَ اللهُ العظيم:[ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ]الأنعام:4.

* * * * *

## وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ

167- [ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ]يوسف:106. آمَنُوا بالرُّبُوبِيَّةِ، وأشْرَكُوا في الأُلُوهِيَّةِ .. آمَنوا بأن اللهَ تعالى هو الخالِقُ، وأشرَكُوا في العِبَادَةِ؛ فعَبَدُوا غيرَه .. صَرَفُوا للهِ النُّسُكَ، والشَّعَائِرَ التَّعبُّدِيَّة، وصَرَفُوا لغيرِه الطَّاعَةَ، والمحبَّةَ، والتَّحاكُمَ .. أولئك هم المشْرِكُون حَقًّا!

168- [ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ]يوسف:106. آمَنُوا باللهِ، وآمَنُوا بالطَّاغُوتِ .. فجَمَعُوا بين عِبادةِ وطاعَةِ اللهِ، وبينَ عِبادَةِ وطاعَةِ الطَّاغُوت!

* * * * *

## قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي

169- [ قُلْ ]؛ يا مُحَمَّد، [ هَذِهِ سَبِيلِي ]؛ طَرِيقِي؛ [ أَدْعُو إِلَى اللهِ ]؛ إلى الإيمانِ باللهِ، وإلى عِبادَتِه، وتَوحِيدِه، ونَبْذِ الأَنْدَادِ والطَّواغِيت، [ عَلَى بَصِيرَةٍ ]؛ على بيِّنةٍ ودَلِيلٍ مِن الكِتَابِ والسُّنَّة، [ أَنَاْ ]؛ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، [ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ]يوسف:108. هذا الوَصْف يَشمَلُ جميعَ مَن آمَن بي، وسَارَ على نَهْجِي، واقْتَفَى سُنَّتِي .. في أيِّ زمانٍ، وأيِّ مَكانٍ .. وإلى أن تَقومَ السّاعَةُ!

* * * * *

## أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ

170- [ أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ]يوسف108. على حُجّة وبيِّنةٍ من كِتَابٍ أو سُنَّة.

* * * * *

## حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا

171- سنّةُ الله في النّصر، أن يأتي بعد أن يَستبطئه المؤمنون؛ اختباراً وتمحيصاً لإيمانهم، وصَبرهم، وبعد أن تَستنفدَ الأسبابُ عَطاءاتها .. [ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا ]يوسف:110. [ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ ]البقرة:214. [ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ]محمد:31.

172- [ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ ]؛ مِن إيمانِ قومِهم؛ لِمَا يرون منهم من الكفرِ، والصدِّ، والكِبرِ، والعَنادِ، [ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ ]؛ لطولِ وشدَّةِ البلاءِ، وتأخيرِ النَّصرِ، ظنَّت الرسلُ ـ مجرد ظنٍّ ـ أن أتباعَهم من المؤمنين ـ الذين يستعجلون نصرَ اللهِ ..

ويتَساءلُون متَى نَصرُ اللهِ ـ قد كذَّبُوهم، وشَكُّوا بصدْقِ موعُودِ الله لرسلِه بالنَّصرِ، [ جَاءهُمْ نَصْرُنَا ]؛ في هذا التوقِيت الشَّدِيد، وهذا الظرف العَصِيب يتنزَّلُ نَصرُ اللهِ .. سنَّةٌ ماضيَةٌ من سُنَنِ التمحيصِ والبَلاءِ والاختبارِ؛ وهي أن نصرَ اللهِ ـ أحياناً ـ يتأخَّر لحكمةٍ يُريدُها اللهِ؛ يُعرَفُ من خلالِها المؤمنُ الصابرُ المجاهدُ مِن غيرِه، [ فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء ]؛ وهم الرسلُ ومَن آمنَ بهم، واتبعَهم، [ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا ]؛ انتقامُنا وعذَابُنَا، [ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ]يوسف:110. وهم الكافرون المعاندُون المكذِّبُون لرسلِ الله.

* * * * *

## إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

173- العِلمُ الذي يتكشَّف للمرءِ بطولِ التَّفكّرِ، والتأمُّلِ، لا يتكشَّف له من خِلالِ قِراءة الكتُب والمجلَّدات، لذا لا بدّ من أن تحملَ نفسكَ ـ يا عبد الله ـ وتدرّبها على قراءَةِ التَّفكّر والتأمّل، كما تحملها على القراءة في الكتب .. وفي القرآن الكريم ورد الحضُّ على التَّفكُّر في مواضع عِدّة، كما في قوله تعالى:[ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ]الرعد:3. وقال تعالى:[ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ]النحل:44. وقال تعالى:[ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ]يونس:24.

* * * * *

## حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ

174- [ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ ] من نِعْمَةٍ إلى نِقْمَةٍ [ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ] الرعد:11. من طَاعةٍ إلى مَعصيةٍ. كذلك الإياب: [ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ ] ؛ من نِقْمَةٍ إلى نِعمَةٍ [ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ] من مَعصيةٍ إلى طاعةٍ.

175- [ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ]الرعد:11. لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ مِن ذُلٍّ إلى عِزَّةٍ، ومِن هَزِيمةٍ إلى نَصْرٍ، حتَّى يُغَيِّرُوا مَا بأنْفُسِهم مِن هَوانٍ، ووَهْنٍ، وقُعُودٍ عَنِ الجِّهادِ في سَبيلِ اللهِ .. إلى جِهَادٍ في سبيلِ الله.

176- [ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ]الرعد:11. يَصْلُحُ الاسْتِدْلالُ بالآيةِ الكَريمةِ على الاتِّجاهَيْن: التَّغييرُ مِن النِّعْمَةِ إلى النِّقْمَةِ، ومِنَ النِّقْمَةِ إلى النِّعْمَةِ .. فالآيةُ تحتَمِلُ المعنَيين .. وهو أشْمَلُ وأعَمُّ وأنْفَعُ مِن تَقييدِهَا في اتجاهٍ واحِدٍ فَقَط، ومِن غيرِ دَليلٍ.

* * * * *

## وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ

177- [ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ ]الرعد:13. " وَيُرْسِلُ "؛ صِيغةُ مُضَارِع؛ تُفيد أن الإرسَالَ مستمرٌّ في الحاضِرِ، والمستقبَلِ؛ يرسلها اللهُ على مَن يَشَاء، ووقتما يَشَاء .. والإرسالُ لم يتوقَّف في زَمَنٍ دُونَ زَمَن .. ألم نرَ ذلك بأعيننا؛ كيف أن الصواعِقَ تُرسَل، فتُصيبُ أشخاصاً بأعيانِهم؛ في صُدُورهم، ورقَابِهم، ورؤوسِهم، فتحرقُهم، وتقتُلُهم .. أليسَ في استمرارِ هذه الظاهرةِ الكونيَّةِ، كما أخبرَ القُرآنُ عنها دَليلاً على أنَّ اللهَ حقٌّ .. وأن القُرآنَ الكريم حقٌّ .. وأن محمداً صلى الله عليه وسلم حَقٌّ ...؟!

* * * * *

## فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ

178- [ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء ]؛ الباطِلُ .. وحُطامُ الدُّنيا .. وكلُّ عمَلٍ أُرِيدَ به الدُّنيا؛ سُرعان ما يَذهبُ، ويَزولُ، ويُنْتَسَى .. فكم مِن مَلِكٍ ذَهَبَ ذِكْرُه، بذهابِ مُلكِه، وكم مِن غنيٍّ كان همُّهُ التَّكاثُرَ وجَمعَ الأموالِ، فذَهبَت بذهابِه، [ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ ]، الحقُّ .. التَّوحِيدُ .. والعلمُ النَّافعُ .. والأعمالُ الصالحةِ التي يُرادُ بها الله، واليوم الآخِر، [ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ]الرعد:17. ضَارباً جُذُورَه في الأرضِ .. لا تُؤثِّرُ فيه تَقلُّباتِ الزَّمانِ والمكانِ .. ينتفعُ به صَاحِبُهُ، والنّاسُ .. وتَبقَى مآثِرُه ومحاسِنُه تُذكَر، يُنتفَع بها ما شَاءَ الله .. فالبقاءُ، والقُبولُ، للنافِعِ، والأنْفَع.

179- [ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ

فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ ]الرعد:17. البَاطِلُ مَهمَا انتَفَشَ، وانتفخَ، وارتفَعَ، فهو إلى زَوالٍ، لَا يَقوَى على الثَّباتِ، وحيثُما وُجِدَ فهو يَضرُّ ولا يَنفَع .. والباطِلُ شُعَبٌ؛ أعلاها الكُفْرُ والشِّركُ، وأدْنَاها إلقاءُ الأذَى في الطَّريقِ .. مِثالُه الزَّبدُ الذي يَعلُو السَّيلَ، والزَّبَدُ الذي يَظهرُ عندَ استِخْراجِ المعادِنِ الثمينَةِ، وهو سرعان ما يَذهبُ عند هبُوبِ الريحِ، وارتِطامِه بالأشيَاء .. أما الحقُّ؛ فهو الأبقَى، والأقوَى، والأكثرُ ثباتَاً، ورسُوخاً في الأرضِ، والأكثرُ نَفعاً للناسِ .. والحقُّ شُعَبٌ؛ أعلاها الإيمانُ والتَّوحيدُ، وأدْنَاهَا إماطَةُ الأذَى عن الطَّريقِ .. مِثالُه ماءُ المطَرِ، والمعادِنُ الثمينَةُ التي يَنتفعُ بها الناسُ، [ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ ]؛ ليَستبينَ للناسِ الحقَّ فيتَّبعُونه، ويَستبينَ لهم الباطلَ فيجتنبُونَه .. وفي الآيَةِ بُشرَى لأهلِ الحقِّ وأتبَاعِه؛ أنَّ الحقَّ بَاقٍ لَا يَزولُ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ.

180- [ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء ]الرعد:17. مِثَالُه التَّفاهَةُ التي تُشغِل الناسَ في هذا الزَّمانِ ـ وفي كلِّ زمَانٍ ـ وكَثُرَ طُلَّابُها، والمغرَمُون بِها .. إذْ سُرعَان ما تَندَثِرُ، وكأنَّها لم تكُن مِن قَبل .. ومَا كان كذَلِك .. وكان مَصيرُهُ جُفَاءً .. لَا تَقِفْ عندَهُ كَثيراً .. ولَا تَدَعْ قافِلَةَ الحقِّ تَفُوتك بسَبَبِه!

* * * * *

## سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ

181- [ سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ]؛ هذا سلامُ الملائكَةِ على المؤمنين، يَدخلُون عليهم مِن كُلِّ بابٍ مِن أبوابِ الجنَّةِ .. يُسَلِّمونَ عليهم، ويُهنئونَهم بالنَّجاةِ والفَوزِ .. فلم يَذْكُروهُم بما كان مِنهم مِن طَاعاتٍ كالصَّلاةِ، والصَّومِ، والجهَادِ، وغَيرِها مِن الطَّاعاتِ؛ فلم يَقولُوا لهم سَلاماً عليكم بما صَليتُم، أو بما صُمتُم، أو بما تَصَدَّقتُم، أو بما جاهَدتُم، أو غير

ذلك من الطَّاعاتِ .. وإنما خَصُّوهم بوَصْفٍ جامعٍ لجميع معَانِي الخَيرِ والطَّاعاتِ .. وصْفٌ يحبُّه اللهُ تعالى ويَرضَاه، [ بِمَا صَبَرْتُمْ ]؛ بِمَا صَبَرْتُمْ على البَلاءِ بكلِّ أنواعِه، وعلى التَّكاليفِ، والطَّاعَاتِ؛ فامتثلْتُم الأمْرَ، وانتهيتُم عمَّا نهى اللهُ عنه، بِرِضَى، وقُبولٍ، وتَسْلِيمٍ، مِن دُونِ أدنَى تَعقيبٍ أو مُعارَضَةٍ أو اعتراضٍ، [ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ]الرعد:24. فنِعْمَ العاقِبَةُ والمآلُ الجنَّة، وليسَ النَّار!

* * * * *

## الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ

182- [ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ]الرعد:28. ذِكْرُ اللهِ يَنقلُ القلُوبَ والنُّفوسَ مِن الضِّيقِ، والكآبَةِ، والكرْبِ، والاضطرابِ، والقَلَقِ، والوحشَةِ، والجزَعِ، والقسَاوَةِ .. إلى عكسِ جميعِ ما تقدَّم ذِكْرُه .. وهو دَواءٌ حاسِمٌ لجميعِ ما تقدَّم ذِكْرُه مِن حالاتٍ وأمراضٍ نفسيَّةٍ .. لكن لَا يَستفيدُ من هذا الدَّواءِ إلا الذين آمَنُوا؛ الذين يُقبلُون على الذِّكرِ وهم به مُستيقِنين.

* * * * *

## وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ

183- [ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ ]إبراهيم:5. ذَكِّرْهُمْ بأيَّامِ النِّعمَةِ، والخيرِ، والسَّعَةِ، لعَلَّهم يَشْكُرُون .. وبأيَّامِ النِّقْمَةِ، والشدَّةِ، والعَذَابِ، لعَلَّهم يتَّعظُون، ويَتُوبُون.

184- [ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا ]؛ بالحجج، والآياتِ البيِّناتِ، [ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ ]؛ أخرجْهم مِن ظلُمات الشِّركِ، [ إِلَى النُّورِ ]؛ إلى نورِ الإيمانِ والتَّوحِيد، [ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ ]إبراهيم:5. ذَكِّرهُم بالنِّعَم الكثيرَةِ التي أنعمَ اللهُ بها عليهم، والتي مِنها أنه تعالى أنجاهُم مِن ظُلمِ عدوِّهم الطَّاغِية فرعون، وفَلَقَ لهم البحرَ، فأنجاهُم، وأغرقَ فرعُون الطاغُوت، وجُندَه .. فإنه أدْعَى لهم لأن يَشكرُوا اللهَ، وأن يُطيعُوه ولا يَعصُوه .. فعادَةُ الناسِ ـ وللأسف ـ بعد انكشَافِ الغمَّة، ورَفع الشدَّةِ والبَلاءِ، وحلُول السَّعَةِ، والرَّخاءِ .. أنهم يَدخلون في مرحلَةِ بطَرِ العيش، ومرحلةِ النسيانِ مَا كان مِنهم، وما كان مِن نِعَمِ اللهِ عليهم أيَّامَ الشدَّةِ، والحاجَةِ .. فيحتَاجُون إلى التَّذكِير!

* * * * *

## لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ

185- [ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ]إبراهيم:7. مِن جِنْسِ النِّعْمَةِ التي تُشْكَر.

186- [ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ]إبراهيم:7. مَا كانَ الشُّكْرُ في شيءٍ إلَّا زَادَه، ومَا نُزِعَ مِن شَيءٍ إلا أنْقَصَه.

187- مما يزيدُ في النّعم الشُّكر، شكرُ العبدِ لربه المنعم المتفضل عليه بالنّعم، وشكرهُ للمخلوقِ المتسبّبِ له في جلبِ النّعم .. وقوله تعالى:[ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ

لأَزِيدَنَّكُمْ ]إبراهيم:7. يشملُ نوعَي الشكر؛ شكر العبد لربه صاحب النِّعَم، والمتفضل بها عليه على الحقيقة .. وشكرُ العبدِ للمخلوقِ؛ الذي تسبّبَ له في جلب النّعم، وشُكره مِن شكرِ الخالِق سبحانه وتعالى، كما في الحديث: "من لا يشكُر الناسَ، لا يشكرُ اللهَ".

188- [ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ]إبراهيم:7. كما أن الشّكر يكون من جنس النِّعمة، كذلك الزّيادة تكون من جنس النّعمة؛ فمن كان عنده فائضُ وقت، فيشكره بالتصدّق به على ذَوي الرّحم، والضّعف والحاجةِ، والنظر في حوائجِهم، زادَه الله برَكةً في وقتِه، وزاد له في عمره. ومن كان عندَه عِلماً، فيشكرُه ببذلِه لمستحقّيه، ولا يحجبُه عن سَائلِه، زاده الله عِلماً، ومن كان قوياً في بدنه فيشكره بنصرةِ المستضعفين، يزيده الله قوةً في بدنِه، ومن كان من ذوي الشّرَف والمكانة، فيشكرُ هذه النعمةِ بالتواضع، والذلّةِ للمؤمنين، والشَّفاعةِ لهم في الخير، يزيدُه اللهُ شَرَفاً وعزّاً، كذلك يُقال في المالِ، وسائر النّعَم.

* * * * *

## أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ

189- [ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ]إبراهيم:10. استفهامٌ يُفيدُ الإنكارَ والتعجُّبَ؛ أَبْعَدَ كلِّ هذه الآياتِ الباهِراتِ الكونيَّةِ والسَّمْعيَّةِ المبثوثَةِ مِلْء السَّمع والبَصرِ، والدالَّةِ يَقِيناً على وحدانيَّةِ اللهِ تعالى، وأنَّه تعالى هو المتفرِّدُ بالخلْقِ، الذي خَلَقَ السماواتِ والأرضِ .. وأنه هو المعبودُ في الوجُود بحقٍّ .. لا تَزالُون يا أيُّها الكفَّار تُجَادِلُونَ وتَشكُّونَ بأنَّ اللهَ حَقٌّ .. أفَلَا تَعْقِلُون؟!

* * * * *

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا

190- [ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ ]؛ ولأتْبَاعِ الرُّسلِ المؤمنين، [ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ]إبراهيم:13. خيارَان لا ثَالِثَ لهمَا إلا القَتْلُ أو السجْنُ .. إمَّا أن نُخرجكم بالقوَّةِ من أرضِنَا ودولتِنَا، فتهاجرُوا، وتَتِيهوا في الأرضِ، وإمَّا أن تكفرُوا؛ فتَعُودُوا فتَدخلُوا في دِينِنَا، وثَقَافَتِنَا، وعادَاتِنَا، وطَرِيقَةِ حياتِنَا .. وهذا الذي قالَه الكافرُون ليسَ حَديثاً عن مَاضِي الذينَ كَفَرُوا وحَسْب .. بل هو حَديثٌ عِن مَاضِيهم، وحَاضِرِهم، ومُسْتَقْبَلِهِم ـ بصيَغٍ وأَسَالِيبَ مُتَعدِّدَةٍ ـ في طَرِيقَةِ تَعامُلِهم معَ المؤمنين؛ أتْبَاع الرُّسُل!

191- [ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ]؛ كلُّ الذين كفَرُوا؛ عبر تاريخِهم كُلِّه؛ القديم والمعاصِر مِنه، [ لِرُسُلِهِمْ ]؛ قالوا لجميع الأنبياءِ والرسلِ؛ مِن لَدُن نُوحٍ عليه السلام إلى عهدِ نبيِّنا محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، ولأتباعِهم المؤمنِين، [ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ]؛ هذا النهجُ في تعاملِ الكافرين معَ المؤمنِين؛ أتباع الأنبياءِ والمرسلِين، قَديمٌ جَديدٌ، فما دَامَت الشوكَةُ والقوةُ للكافِرين، فليسَ عندهم للمؤمنِين إلا هذين الخيارَين: العودَةُ إلى الكفرِ، وعِبادَةُ الطَّاغُوت، بعد الإيمانِ، أو الطَّرد والإخراج من الأرضِ والدِّيارِ، ليتيهوا في الأرضِ، ويَفترشُوا لأنفُسِهم مخيمَات التِّيه والذُّلِّ والعَذَابِ، [ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ]إبراهيم:13. عندما يتمسَّك المسلمُون بدينِهم، ويَعتَصِمون بحبلِ اللهِ جميعاً، ويأخذُون بأسبَابِ القوَّةِ قَدْرَ استطاعَتِهم .. فإن العاقِبةَ والغلَبَةَ ـ مهمَا طالَ الصِّراعُ بين الحقِّ والباطلِ ـ للمؤمنِين.

* * * * *

## فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ

192- [ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ]إبراهيم:13. والإهلاكُ يكونُ إما بسَببٍ كونيٍّ؛ كالريحِ، والمطَرِ، والجَدْبِ، والزَّلازِلِ، والطوفَانِ، والبرَاكِين، والخَسْفِ، وتَسليطِ الأدْوَاءِ والأَوبِئةِ، وغيرها .. أو بسبَبٍ مِن عِندِ الظَّالمِين؛ فيَضربُ اللهُ الظَّالمين بالظالمين .. وما أكثرُ الأدلَّةِ من الواقعِ المُشَاهَد، الدَّالَّةِ على هذين النَّوعَين مِن الإهْلاكِ .. وقَليلٌ هم الذين يَعتبرُون، ويتَّعِظُون!

* * * * *

## وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ

193- [ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ ]؛ لما انتَهى الأمرُ، وصَدَرَ الحكمُ مِن العَلِيِّ القَدِير .. وأُدْخِلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأُدخِل أهلُ النارِ النَّارَ .. التفَتَ أهلُ النَّارِ إلى الشَّيطانِ الذي كانُوا يَعبدُونَه مِن دُونِ اللهِ، يَسألُونَه أن يَنفعَهم، ويُغيثَ مِمَّا هم فِيه مِن كَربٍ، ومِن المصيرِ المخيفِ الذي آلُوا إليه، جزَاءَ عِبَادَتِهم إيَّاه في الحيَاةِ الدُّنيا .. فقالَ لهم الشيطانُ:[ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ]؛ وعدكم بالبَعثِ، والنُّشُورِ، والحسَابِ .. ووعدَكم أنَّ مَن آمَن سيدخلُه الجنَّةَ، ومَن كفَرَ سيُدخلُه النارَ، وكان صَادقاً فِيما قد وعَد، وقَد وفَّى وَعْدَه، [ وَوَعَدتُّكُمْ ]؛ إن كفَرتُم وأشركْتُم أَنِّي ناصرٌ ومُعينٌ لكُم، [ فَأَخْلَفْتُكُمْ ]؛ الوَعْدَ، وكَذبتُ عليكُم؛ لأنَّه لا حولَ لي ولا قوَّة .. وأن مَصيري إلى النارِ مثلكم، لَا أستطيعُ أن أُغيثَ نَفْسِي فضلاً عن أن أُغيثَ غَيرِي .. وأنَّ الأمرَ كُلَّه للهِ، وبيدِ اللهِ تعالى وحدَه، [ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ]؛ مِن بُرهان فِيمَا دَعوتُكم إليه، وحجَّةٍ علميَّةٍ أحملكم عليها، ولَا مِن قُوَّةٍ مَاديَّةٍ أقهركم بها على ما أُرِيد، [ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ ]؛ ومَا

كان لي عليكم مِن سُلطان سوى أنَّي وَسْوَسْت لكم فقَط، وزَينتُ لكم الكفرَ والشركَ، والفسُوقَ، والعُصيانَ، وحسنته لكُم، [ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ]؛ فأطَعتمُوني، واتبعتمُوني، فِيما قَد دَعوتُكم إليه، ووسْوَسْت لكُم بِه، وتَركتم طاعةَ ومُتَابعَة الأنبياءِ والرُّسلِ، [ فَلاَ تَلُومُونِي ]؛ على ما فعلتُه بكم؛ على دَعوتي لكم، وعلى خلفي لما قَد وعَدتُكم به، وعلى ما انتهيتم إليه، [ وَلُومُواْ أَنفُسَكُم ]؛ أنتم الحمقَى والسُّفَهاءُ؛ أن استجبتم لي مِن دُونِ أن يكونَ لي عليكم حجة ولا سُلطان .. وإن كنتم لائمين أحَداً، فلُومُوا أنفسكُم لا غَير، [ مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ ]؛ بمغِيثكم، ونافِعكم في شيءٍ ممَّا أنتم فِيه مِن العَذَابِ، [ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ]؛ ومَا أنتم بمغيثِيَّ، ونافِعي في شيءٍ .. فكِلَانا في النارِ والعذَابِ سَوَاء، وكلٌّ له في نَفسِه شَاغِلٌ عَن غَيرِه، [ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ ]؛ إني بريءٌ مِنكم، ومِن عبادَتِكم وطاعَتِكم لي من دُونِ الله، [ مِن قَبْلُ ]؛ وأنتم في الحياةِ الدُّنيا، [ إِنَّ الظَّالِمِينَ ]؛ الشيطانُ، ومَن عبَدُوه .. وكلُّ كافرٍ مشركٍ ملحِدٍ هو عابِدٌ للشيطانِ، [ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ]إبراهيم:22. عذَابٌ شَديدٌ في نارِ جهنم.

* * * * *

## أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً

194- [ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ]إبراهيم:24-26.

[ أَلَمْ تَرَ ]؛ دَعوةٌ للنظر بتدبّرٍ، وتَفكُّرٍ، [ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً ]؛ للاتعاظِ والاعتبار، [ كَلِمَةً طَيِّبَةً ]؛ طيبةٌ في ذاتِها، وفي معنَاها، وفي دلالاتِها، وآثارِها .. وعطائها،

ونتائجِها .. لا تَطيبُ الحياةُ إلا بها .. هي العاصِمَةُ والمنْجاة .. وهي غايةُ الوجُود، وغايةُ الغَاياتِ، ألا وهي كلمةُ التَّوحيد " لا إله إلا الله "، وهي في طِيبها، وجمالِها، وعطائها، [كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ ]؛ طيبةٌ في عطائِها، وفي ثمارِها، ومَذَاقِها، ورائحتها، وغذائها .. وظِلِّها، وما تُضفِيه على الطبيعة والوجود من جمالٍ أخَّاذ، [ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ]؛ ضاربةُ الجُّذُورِ في الأرض، والأعماق، لا تُؤثّر فيها الرياحُ والعواصِفُ، مهما اشتدَّت .. كذلك كلمة التَّوحيد " لا إله إلا الله "؛ فهي ضاربةُ الجذُورِ في أعماقِ قلبِ المؤمن، تثبّتُ إيمانَه ويَقينَه .. لا تضرُّه معها الفِتَنُ والمحَن مهما اشتدَّت عليه، [ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء ]؛ وكما أن هذه الشجرة فروعها ممتدةٌ في السماءِ على قدرِ امتدادِ جذورها في الأرض .. تمد الوجود بثمارها وعطائها، وجمالها، كما تمد جذورَها الضاربةِ في الأرض بالغذاء، والعطاء .. فهي كما تستمد غذاءها وقوتها من الجذور، كذلك تمد الجذور الضاربة في أعماق الأرض بالقوة والغذاء، والحياةِ، فالتأثير والعطاء متبادلان بين الجذور والفروع، فكل منهما مؤثر، ويتأثر بالآخر، يأخذ ويعطي .. كذلك كلمةُ التوحيد " لا إله إلا الله "؛ لها فروعها الممتدَّةِ والظاهِرةِ على جوارِح الإنسان، تؤثّرُ بها وتحملها على الطاعةِ، وتتأثَّر بها فيزدادُ الإيمانُ إيماناً .. فكلٌّ من الظاهرِ والباطنِ يتأثَّر ويُؤثّر بالآخر .. والعلاقةُ بينهما متبادلةٌ، زيادة ونُقصاناً، وهو ما يوضّحه حديثُ النبي صلى الله عليه وسلم:" ألا وإنَّ في الجسَدِ مُضغة إذا صلُحَت صَلُحَ الجسدُ كلّه، وإذا فسدت فسدَ الجسَدُ كُله؛ ألا وهي القلب " البخاري. فإذا ازدادَت قوَّةُ " لا إله إلا الله " في القلبِ، ازدادَ صلاحُ وامتثالُ الجوارح الظاهرةِ على الجسَدِ للطاعات، وإذا فسَدت أو ضَعُفَت، فسد وضَعُفَ امتثالُ الجوارح الظاهِرةِ .. كذلك ضعفُ امتثال الفروع الظاهِرة على الجسَدِ، يؤدي إلى ضَعفِ الإيمانِ في القَلبِ؛ فالإيمانُ يَزيدُ وينقصُ؛ يزيدُ بالطَّاعاتِ، ويَنقصُ ويَضعفُ بالمعاصي. [ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ]؛ من

خصائص هذه الشجرة الطيبة المباركة أنها ليست موسمية، بل هي دائمةُ العطَاءِ بإذنِ ربها على مدار مواسم السَّنَةِ، وفي كلِّ وقت .. كذلك كلمة التوحيد " لا إله إلا الله "؛ فعطاؤها لا يقتصرُ على زمنٍ دون زمَن، ولا على مكانٍ دونَ مكانِ .. بل عطاؤها لصاحبِها مستمرٌّ على مدارِ الأوقاتِ، وفصولِ السَّنَةِ، وفي كل زمان ومكان .. بها يَميزُ الإيمانُ من الكفرِ والشركِ .. ويَميزُ الخبيثُ من الطَّيبِ .. والحقُّ من الباطلِ .. والمجرم من المصلح .. وتُعرَفُ سُبلُ المجرمين .. فشهادةُ التَّوحيد لصاحِبِها كالكَشَّاف شَديد الإضاءةِ والنُّورِ، يُضيء له في الظُّلمات، يُعَرِّفُه على مواطِن ومخاطِر الأشياءِ، إذْ لولاها لوقعَ في المهالِك والحُفَرِ، وكان كحَاطِبِ ليلٍ، [ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ]؛ يتفكرون بقيمةِ، وفضلِ، وعظَمَةِ كلمةِ التَّوحيد " لا إله إلا الله "، فيكونُ ذلك لهم سببَ هِداية ورَشَاد.

[ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ]؛ هي كلمةُ الشِّركِ، وكُلُّ كلمةٍ تُعَبِّدُ العَبيدَ للعَبِيدِ، وتضَادُّ شهادَةَ التَّوحِيدِ " لا إله إلا الله "، ومَثَلُها في الخُبثِ، والنَّتَانَةِ، والرَّداءَةِ، والقُبْحِ [ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ] خبيثةُ الرَّائحَةِ والطَّعْمِ، والمنظَرِ، والثَّمَرِ، والأثَرِ [ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ ]؛ قُلعَت وطُرِحَت فَوقَ الأرضِ؛ لأنها بلا جُذور ممتدَّة في الأرض، تمكِّنُها من الثَّباتِ، ومقاومةِ حركةِ وقوةِ الرِّياح .. كذلك الشِّركُ؛ فهو طارِئ، ومُكتَسبٌ، يتَّسِمُ بالخِفَّةِ، ليس له امتدادٌ عَميقٌ في القَلْبِ والفِطرَةِ، سَهْلُ الاقتِلاعِ، والاسْتِبْدالِ، [ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ] ثابتٌ في مكانٍ ثابتٍ .. بل تتَقَاذَفُها الرِّياحُ، وتَسفُّها الرِّمَالُ في كلِّ اتجاهٍ .. كذلك الشِّركُ؛ ليس ثَابتاً في صُورةٍ واحدَةٍ، ومحدَّدَةٍ، بل هو مُتعَدِّدُ الصّورِ والأشْكَالِ، قابِلٌ للتَّحْدِيثِ والتَّطويرِ استِمْرارَ كَيدِ شيَاطينِ الإنسِ والجنِّ .. تتَقاذَفُهُ وتتقاسَمُهُ الأهواءُ والرَّغَبَاتُ في اتجَاهَاتٍ عِدَّةٍ، بِحَسْبِ رَغَبَاتِ ومَصالِحِ أصْحَابِه .. فكانَ الرَّجُلُ في الجاهِليَّةِ يَصْنَعُ إلهُ مِن تَمْرٍ، فإذا جَاعَ أكَلَه! وكما قال الصحابي أبو رجاء العطاردي رضي الله عنه:" كُنَّا نَعْبُدُ الحَجَرَ فَإِذَا

وجَدْنَا حَجَراً هُوَ أَخْيَرُ مِنْهُ أَلْقَيْنَاهُ وَأَخَذْنَا الْآخَرَ " .. والمشْرِكُ في الجَّاهِلِيَّةِ المعَاصِرَةِ، لا يختَلِفُ حَالُه كَثيراً عن حَالِ المشْرِكِ في الجاهِلِيَّةِ الأُولى!

* * * * *

## وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ

195- [ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ ]إبراهيم:27. الخَلْقُ خَلْقُهُ، والمُلْكُ مُلْكُه .. ولَهُ أن يفعَلَ مَا يَشَاءُ فِيمَا يَخلقُ، وفِيمَا يملِكُ .. يَخْفِضُ مَن يَشاءُ، ويَرفَعُ مَن يَشَاءُ .. يُعِزُّ مَن يَشاءُ، ويُذِلُّ مَن يَشَاءُ .. يُغْنِي مَن يَشاءُ، ويُفْقِرُ مَن يَشَاء .. يَهدِي مَن يَشاءُ، ويُضِلُّ مَن يَشَاءُ .. لَا رَادَّ، ولَا مَانِعَ، ولَا مُعَقِّبَ لمشِيئتِه .. مَشيئتُه تَعلُو ولَا يُعلَى عليها .. كلُّ المشِيئَات تخضَعُ لمشِيئتِه .. لَا يَمضِي مِنها شيءٌ إلا إذَا شَاءَ اللّهُ .. سُبحانَه وتَعَالى.

* * * * *

## وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ

196- [ وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً ]؛ سَاهِياً .. فالسَّهو مهمَا كانَ ضئيلاً ليسَ من صِفَاتِه، وهو لَا يَليقُ به سُبحانَه .. وهو يَتَنَافَى معَ كمَالِ وجمالِ أسمائِه الحُسْنَى وصِفَاتِه العُلْيَا .. كما يَتَنافَى معَ مَا يَقتَضِيه الكَونُ مِن ضَبْطٍ وانتِظَامٍ، [ عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ]؛ سَواءٌ كان ظلمُهُم مُتَعَلِّقاً بحقِّ اللهِ عليهم، أمْ كانَ ظلمُهُم مُتعلِّقاً بحقُوقِ العِبادِ عليهم .. فاللّهُ تعالى عَالِمٌ بهم، وبأعمالِهم، ومحيطٌ بهم، وقَادرٌ عليهم .. وإن قَضَت حِكْمَتُه سُبحانه أن يمهِلَهُم، ويُملِيَ لهم بالنِّعَم استِدْرَاجاً، ويُؤخِّرَ عِقابَهم، لا تَقْلَقُوا أيُّها المؤمنون، [ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ ]؛ عَصِيبٍ شَدِيدٍ يُنتصَفُ فيه مِنهم .. في هَذا اليوم؛ لِشِدَّةِ هَولِه، وعذَابِه، [ تَشْخَصُ فِيهِ

الأَبْصَارُ ]إبراهيم:42. تَظلُّ أبصَارُهم مُفتَّحَةً مُحدَّقَةً، مَشدُوهَةً، ومَشْدودَةً، لا يَغمَضُ لهم جَفْنٌ مِن هَوْلِ مَا يَرَون، ومَا يَنتَظرهم!

197- [ وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ]إبراهيم:42. لَا تَبتَئِسْ، ولَا تحزَنْ .. ولَا يَحملنَّكَ تَأخيرُ نُزُولِ العَذَابِ بالظَّالمِين على أن تُسيء الظَّنَّ باللهِ؛ فتظنّ سُوءاً بعدَالَةِ اللهِ تَعالى، أو تَظن أن اللهَ تعالى غافِلٌ وسَاهٍ عمَّا يَرتكبُه الظَّالمُون مِن ظُلمٍ، وعُدوانٍ، وجرَائم .. أو أنَّه تَعالى يَخفَى عليه حَالُهم .. أو أنَّه تَعالى يَرضَى لِعبَادِه الظُّلمَ، أو أنَّه يَرضَى من الظالمِين ظُلمَهُم .. أو أنَّ عذَابَه لَن يَطَالهم .. لَا .. لَا تظنن باللهِ بشيءٍ مِن ذلك؛ فظنُّك هذا يُردِيك .. فَمَن لم يأخُذْه اللهُ بظُلمِه في الدُّنيَا؛ يُؤخِّر عذَابَه إلى يومِ القِيامَةِ، وهو أشَدُّ مِن عذَابَاتِ الدُّنيَا مجتمِعَةً!

* * * * *

## لِيَجْزِيَ اللّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ

198- [ لِيَجْزِيَ اللّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ]؛ مِن خَيرٍ أو شَرٍّ؛ فيه أن الإنسانَ مخيرٌ ومَسؤولٌ عن عمَلِه، واختيَارَاتِه؛ فَلا تُجزَى نَفسٌ عن نَفسٍ شَيئاً، ولَا تَضرُّ نفسٌ نفسَاً شَيئاً؛ فكلٌّ يؤخَذُ بعمَلِه ـ لا بعمَلِ غَيرِه ـ وكلٌّ مَسؤولٌ ومحاسَبٌ عَن عمَلِه، إن كانَ خَيراً فخيرٍ، وإن كانَ شَرّاً فشَرٍّ .. وبالتَّالي لا يَنبَغي لأحَدٍ أن يتَعَلَّقَ بأحَدٍ .. ولَا أن يتمَاجَدَ بأحَدٍ .. ولَا أن يتّكلَ أحدٌ على صِلَةٍ أو قَرَابَةٍ أو نَسَبٍ، فليسَ بينَ اللهِ تَعالى وبينَ عِبَادِه نَسَبٌ إلَّا التَّقْوَى والعَمَلُ الصَّالحُ، [ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ]إبراهيم:51. فَلا يُشْغِلُه حِسَابُ عَبدٍ عن حسَابِ غَيرِه مِن العِبَادِ .. ولا يحتَاجُ إلى النَّظَرِ في القَضَايَا؛ ليبتَّ

ويحكمَ فِيها، كما يحتاجُ قُضَاةُ الأرض .. فهو سُبحَانَه عالمٌ بكلِّ شَيءٍ، وقَادِرٌ على كُلِّ شَيءٍ .. لَا يُعِيقُ، ولَا يُؤخِّرُ حِسَابَه لعبَادِهِ شَيء!

* * * * *

## ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ

199- [ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ ]؛ أعرِضْ عن الكافِرين؛ الذين رَفَضُوا الإيمانَ، وأعرَضُوا عن الحجَجِ الربَّانيَّة .. ولم يُصغُوا إليها .. أعرِضْ عنهم ودَعْهم وشغْلَهم الشاغِل، وهمَّهُم الأكبر؛ الأكْل، وكيفية تحصيلِه، والتمتُّع بملذَّاتِ الحياةِ الدنيا .. وكأنَّهم لم يُخلَقُوا لغايةٍ إلَّا للأكلِ، والمتَاع، [ وَيُلْهِهِمُ ] عَن مصِيرِهم المحتُوم الذي يتربَّصُ بِهم .. وعن الغَايَةِ التي خُلِقُوا لأجْلِها، [ الأَمَلُ ]؛ بمزيدٍ من الحياةِ والمتَاع .. والتكَاثُرِ .. فترَى أحدَهم قَد تجاوزَ الستِّينَ والسبعينَ، وهو لا يَزالُ يَضعُ لحياتِه الخطَطَ الخمْسيَّة، والعشْريَّة، ومَا بَعْدها .. وكأنه سيَعيشُ أبَداً .. وقَد لَا يكونُ بينه وبينَ الموتِ أيَّامَاً، وربما سَاعَات، [ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ]الحجر:3. سوءَ ما كانُوا فيه منشَغِلين .. وسُوءَ المنقَلَبِ الذي سينْقَلِبون إليه!

* * * * *

## إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ

200- [ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ]الحجر:9. مِن لوَازِمِ حِفْظِ الذِّكْرِ؛ حِفْظ حَمَلَتِه، وحِفْظ لُغَتِه .. فهما محفُوظَانِ ـ بحِفْظِ الذِّكْرِ ـ إلى يومِ القِيَامَة .. فالقُرآنُ الكَرِيمِ محفُوظٌ وحافِظٌ؛ محفوظٌ مِنَ اللهِ، وهو حَافِظٌ لدِينِ المسْلِمين، وهويَّتِهم، ولُغَتِهم.

201- [ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ]الحجر:9. مِن أعظَمِ نِعَمِ اللهِ علينا، وعلى أهلِ الأرضِ، أنه تعالى تكفَّل بحفظِ القرآنِ الكريم بنَفْسِه؛ مِن أن يعتريَه الاندِثَارُ، أو التَّحريفُ، أو النَّقصُ، أو الزيادَةُ .. فلم يترُك أمرَ حِفْظِه لِعِبادِه .. وإلا لاعتراه مع الزَّمَنِ، وتَسلّطِ الأهواءِ، ما اعترَى الكُتُبَ السَّماويَّة الأخْرَى مِن الاندِثَار، والتَّحريفِ،

والزِّيَادَةِ، والنقصَانِ .. وكِتَابٌ قَد تكفَّلَ اللهُ تعالى بحفظِه، فَلا ضَيْعَةَ، ولا خَشْيَةَ عليه، مهمَا كادَهُ الكائدُون، وتآمرَ عليه المتآمِرُون!

202- [ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ]الحجر:9. كيفَمَا التفتَّ تجدُ دُعاةَ الضَّلالَةِ، والفُجُورِ، والدَّجَلِ، والجهَالَةِ، والفَسَادِ .. تجدُ الأهوَاءَ، والبِدَعَ مُتفَشِّيةً بين النَّاسِ .. تجدُ الظلمَ والظَّالمِين .. تجدُ للشيطانِ، وللباطِلِ جنداً وأعوَاناً .. وفي كَثيرٍ مِن السَّاحاتِ والميادِين لا تجدُ للحقِّ أعوَاناً .. فتَعْتَلِيني الحَسَرات .. ويَضيقُ عليَّ صَدْرِي .. فإذَا قَرَأْتُ قولَه تعالى:[ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ]، يَطِيبُ خَاطِري .. وتَهدَأ عليَّ نَفْسِي .. وأعلَمُ أنَّ هذا الدِّين محفُوظٌ ومَنصُور .. وأنَّ له رَبَّاً يحفَظُه ويحميه.

203- [ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ]الحجر:9. مَا أَبْرَدَهَا على القَلْبِ .. ومَا أَرْوَحَهَا للنفْسِ .. ومَا أَطْيَبَهَا للخَاطِرِ .. ومَا أَقَرَّهَا للعَين .. ومَا أَخْزَاها لِكَيدِ الكافِرين والمنَافِقِين!

* * * * *

## وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ

204- [ وَأَنبَتْنَا فِيهَا ]؛ في الأرضِ، نباتاً شَتَّى، [ مِن كُلِّ شَيْءٍ ]؛ ينفعُ الناسَ، ويكونُ سَبباً في استمرارِ الحياةِ على الأرْضِ، [ مَّوْزُونٍ ]الحجر:19. بقَدْرٍ مَعلُومٍ؛ مَعلُوم الابتِدَاءِ، والتَّكوِين، والنَّشْأَةِ، والوظِيفَةِ، ومَعلُوم الانتهَاءِ، مِن غَيرِ زِيادَةٍ ضَارَّةٍ، ولَا نُقصَانٍ مُضِرٍّ، ولِغَايةٍ مرسُومَةٍ ومحدَّدَةٍ .. فَمَا مِن نَبتٍ تُنبتُه الأرضُ ـ على اختِلافِ تَنوعِه وأشكَالِه ـ إلَّا وله رسَالَةٌ، ووظِيفَةٌ، وغايةٌ، لم يُخلَق عَبَثاً .. ولوجُودِه حِكمَةٌ، عَلِمَ ذلك مَن

عَلم، وجَهِلَ مَن جَهِل .. وأيما ضَرَر يُصيبُ هذا العالَم الجميل النَّافع والمَاتِع، هو بسَبَبٍ مِن عندِ الإنسانِ الظَّالِم، وبما كسَبَت يَدَاه!

* * * * *

## إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ

205- [ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ]الحجر:42. مَا كَانَ للهِ، لا يَقْطَعُهُ الشَّيطَانُ، ولا يَقْدِرُ.

* * * * *

## نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ

206- [ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ]؛ لمن أذْنَبَ، ثم أنَابَ، واستَغْفَرَ، وتَابَ، [ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ]الحجر:49-50. لمن أذْنَبَ، ثمَّ أعْرَضَ، ونَأى، وأنِفَ عنِ التَّوبَةِ والاستغْفَار!

207- [ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ]؛ لِمَن وقعَ في اليَأسِ، والقنُوطِ، [ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ]الحجر:49-50. لمَن وقعَ في الجفَاءِ، والإرْجَاءِ!

* * * * *

## وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ

208- [ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ ]الحجر:56. لا يَقنَطُ من رحمةِ اللهِ إلَّا الكافرون؛ لأنَّ الكافِرَ ـ إذا ماتَ على كُفْرِه ـ هو الوحيدُ الذي لا تُدرِكُه الرَّحمَةُ .. لِذا فهو يَقْنَطُ مِن رحمةِ اللهِ .. أمَّا المؤمنُ الموحِّدُ مهمَا كان منه مِن عمَلٍ وخَطَايَا .. فالرَّحمةُ

تُدركُه .. وبالتَّالي لا يجوزُ له أن يَتَشبَّهَ بالكافِرين، أو يعتقِدَ اعتقادَهم بأنَّ اللهَ لن يَرحمَه .. وهذا معْنَى قد سبَقَت الإشَارَة إليه عِند قولِه تعالى:[ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ ].

* * * * *

## لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ

209- [ لَعَمْرُكَ ]؛ يُقسِمُ اللهُ تعالى بحياةِ وعُمرِ النبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم الدُّنيوي، قَسَم تَشرِيفٍ وتَكريمٍ، فلا يُعرَف أن اللهَ تعالى قد أقسَم بحياةِ إنسانٍ غيرَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم .. وذلك لِعَظِيمِ بركَةِ ونَفعِ حياتِه؛ فسَاعَةٌ مِن عمرِه وحياتِه صلى الله عليه وسلم تُعَادِلُ عمرَ جِيلٍ بكامِلِه، ويَزِيد .. واللهُ تعالى له أن يُقسم بما شاءَ مِن مخلوقَاتِه قسَمَ تَشريفٍ، وتَكريمٍ .. وهذا لا يَعني أن الإنسانَ يجوزُ له أن يُقسمَ بحياةِ النبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، أو بحياةِ غيرِه من الناسِ مَهما عَظُمَ شَأنهم، فالنبيُّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم قد نَهى عن ذلك، قال صلى الله عليه وسلم:" من كان حَالِفاً فليَحْلِفْ باللهِ أو ليَصْمُت "البخاري. وقال صلى الله عليه وسلم:" مَن حَلَفَ بغَيرِ اللهِ فَقَد أشرَك " الترمذي. [ إِنَّهُمْ ]؛ الكفارُ، والمشركُون، [ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ]الحجر:72. لشدَّةِ ضَلالِهِم وانحرافِهِم، وتمكُّنِ الأهواءِ مِنهم؛ فهم سُكَارَى، ولهم صِفَةُ السكران الذي غيِّبَ عقلَه، وأوقفه عن العمَلِ مِن شدَّةِ السُّكرِ .. أحيَاناً الفِكرةُ الضَّالَّةُ الخاطئةُ إن تمكَّنَت مِن صَاحِبِها، قَد تَعمَلُ عملَهَا المدمِّر لعقلِ الإنسانِ، مَالا يَفعلُه السُّكرُ ذاته، [ يَعْمَهُونَ ]؛ يتَردَّدون، ويَلعبُون، شَأنهم شَأنَ السَّكران الفَاقدِ لعَقْلِه.

* * * * *

## إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ

210- [ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ]الحجر:75 للمتفرِّسين للوجوهِ والأحْوَالِ، فيَخْبُرُونَ حقيقةَ الأشْياءِ، وباطِنَها مِن خِلالِ تَفَرُّسِ ظَاهِرِهَا .. يَكْفِي للدَّلالَةِ على الإيمانِ باللهِ، هذا الفَارقُ الكَبِير بينَ وجُوهِ المؤْمنين والمؤْمنَاتِ التي يَعْلُوهَا البَهَاءُ والنُّورُ، وبينَ وجُوهِ الكَافِرِين والكَافِرَات التي تَعْلُوهَا الظُّلْمَةُ .. مَهْمَا كانَ الكَافِرُ مِن ذَوِي البِشْرَةِ البيضَاءِ والشَّقْرَاءِ، فإنَّ وجهَهَ تَعْلُوه ظُلْمَةٌ لا تَخفَى على المؤمِنِ المتَفَرِّسِ .. وفي الحديث:" إنَّ للهِ تعالى عبادًا يعرفون الناسَ بالتَّوسُّمِ ". أي بالفراسَةِ.

211- [ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ]الحجر:75. هم الذين يُأَمِّرُون السُّنَّةَ على أنفُسِهِم، وفي حيَاتِهم .. هؤلاءِ لا تُخطِئهم الفرَاسَةُ!

* * * * *

## الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ

212- [ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ]الحجر:91. فتفَرَّقُوا فيه فِرَقاً ومَذَاهِباً، فآمَنُوا ببعضِه، وكفَرُوا ببعضِه، أقبلُوا على بعضِه، وأعرضُوا عن بعضِه .. استَسْهَلُوا بعضَهُ، واستَصْعَبُوا بَعضَهُ، فأقبَلُوا على ما اسْتَسْهَلُوه، وأعرَضُوا عَمّا استَصْعَبُوه .. أَقبَلُوا عليه تِلاوةً وتَبَركاً وأعرَضُوا عنه عَمَلاً وتحاكُماً!

213- [ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ]الحجر:91. فآمَنُوا بتلاوَتِه، وكَفَرُوا بالعمَلِ بهِ، والتَّحَاكُمِ إليه.

214- [ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ]الحجر:91. فَرَّقوا بين التِّلَاوةِ والعَمَل .. وبينَ الأحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ، والأحْكَامِ الجِنَائِيَّةِ .. فأخَذُوا بالأوَّلِ، وتَرَكُوا الآخَرَ!

* * * * *

## فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ

215- [ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ]الحجر:94. المشركُون قَد يَفرشُون في طَريقِ دَعْوتِك إلى اللهِ تعالى المعوِّقاتِ، والأشْوَاك .. ويمارِسُون مَعَك مَا يَقدِرُون عليه مِن أسَاليبِ التَّرغِيبِ والتَّرهِيب؛ ليَصدُّوك، وليُشْغلُوك عنِ المضِي في دَعوتِك إلى اللهِ .. فَأعْرِضْ عنهم، ولَا تَلتفِتْ إليهم، ولَا تَنشَغِلْ بما يُحاولُون أن يُشغِلُوك به عنِ المضِي في رسَالَتِك .. وعن المضِي في الدَّعوةِ إلى اللهِ تَعَالى، وإلى تَوحِيدِه، وعبادَتِه، والصَّدْعِ بما يَأمرُك به.

* * * * *

## إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ

216- [ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ]الحجر:95. تَكَفَّلَ اللهُ تعالى لنبيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم بأنَّه سيكفِيه شَرَّ كل مَن يَتعَرَّضُ له بالانتِقَاصِ والاسْتهزَاءِ .. ومِن الكِفَايَةِ الهِدَايَة أو الانْتِقَام .. فهذه الآيةُ لا تَقتصِرُ على مَن مَضَى من المستهزِئين .. بل هي تَشملُ مَن مَضَى، ومَا هو آتٍ .. وإلى قِيامِ السَّاعَةِ .. فليَقِر عَيناً .. وأنه تعالى سينتَقِمُ له مِن مُسْتهزِئيه في الدُّنيا قبلَ الآخِرة، بما شَاءَ، وكيفَمَا شَاءَ، ووقتمَا يَشَاءُ .. والواقعُ المشَاهَد دَليلٌ على ذلِك .. فَلا نَعرفُ أحَداً تجرَّأ على الاسْتهزاءِ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم إلا وطالَهُ نَوعُ عِقَابٍ، وانتِقَامٍ، وتَأدِيبٍ مِن اللهِ تعالى، ولو بَعدَ حِينٍ.

217- الاقترابُ مِن النبيِّ صلى الله عليه وسلم بِسُوءٍ، صُوَرٌ، وأنوَاعٌ، ودَرَجات: مِنها الطَّعْنُ والتَّهَكُّمُ المباشَرُ .. ومِنها التَّهكُّم والاستِخْفَافُ بِسُنَّتِه، ورَدِّهَا تحتَ مَزاعِمِ شَتَّى؛

جامِعُها الجهْلُ والهوَى .. وهؤلاء جميعاً، كُلٌّ بحسبه له حَظٌّ مِن قولِه تعالى:[ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ]الحجر:95.

* * * * *

## فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ

218- [ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ]الحجر:95. تكَفَّلَ اللهُ تعالى لنبيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم بأنَّه سيكفِيه شَرَّ كل مَن يتعَرَّضُ له بالانتِقَاصِ والاسْتهزَاءِ .. ومِن الكِفَايَةِ الهِدَايَة أو الانْتِقَام .. فهذه الآيةُ لا تَقتصِرُ على مَن مَضَى من المستهزِئين .. بل هي تَشملُ مَن مَضَى، ومَا هو آتٍ .. وإلى قِيامِ السَّاعَةِ .. فليَقِر عَيناً .. وأنه تعالى سينتَقِمُ له مِن مُسْتهزِئيه في الدُّنيا قبلَ الآخِرة، بما شَاءَ، وكيفَمَا شَاءَ، ووقتمَا يَشَاءُ .. والواقِعُ المشَاهَد دَليلٌ على ذلِك .. فَلا نَعرفُ أحَداً تجرَّأَ على الاسْتهزاءِ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم إلا وطالَهُ نَوعُ عِقَابٍ، وانتِقَامٍ، وتَأدِيبٍ مِن اللهِ تعالى، ولو بَعدَ حِينٍ.

219- إذا ضَاقَ صَدرُك بما يَقولُ الكُفَّارُ والمنافِقُون، وبما تَسمَعُ مِنهم مِن أذَى، فافْزَعْ إلى التَّسبِيح بِحَمْدِ ربِّك ـ سُبحانَ اللهِ وبِحَمْدِه، سُبحانَ اللهِ العَظِيم ـ وإلى الإكْثَارِ من السُّجُودِ؛ يَذهبُ عنك ضِيقُ الصَّدْرِ، كما قال تعالى:[ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ]الحجر:97-98. أي وكُنْ مِنَ العَابِدِين، وخَصَّ من العِبادَةِ السُّجُودِ؛ لِقُربِ السَّاجِدِ وهو سَاجِدٌ مِن رَبِّه.

* * * * *

## وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ

220- [ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ . وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ]الحجر:97-99. الكَم الكبير مِن البُهتانِ، والكَذِبِ، والتَّكذِيب للحقِّ، والتَّصدِيقِ للباطِلِ، والتَّزويرِ للحقَائقِ والمعَاني، الذي يَسمعُه المؤمنُ يومياً مِن الكافِرين، والمنافِقين، والمرجفين .. يتَسبَّب للمؤمنِ حزناً كبيراً، وضِيقاً في الصَّدرِ، وبخاصَّةٍ عندما لا يجدُ القوةَ الكافيَة لمواجهَةِ هذا الكَم الكبير مِن البُهتان، والتزويرِ، ورَدِّه، وإيقَافِه .. فالتَّوجيهُ الربَّاني حينئذٍ لعبادِ اللهِ المؤمنين، أن يُكثرُوا مِن التَّسبيح بحمدِ ربِّهم، ومِن الصلاةِ، وأن يستمرُّوا في عبادَةِ الله تعالى، وتَوحيدِه إلى أن يُدركهم الموتُ .. فهذا مما يُعينهم، ويخفِّف عنهم ما يُعانُون مِنه، ويَشعرون به، ويُذهِبُ عنهم الحزنَ، وضِيقَ الصَّدْرِ، بإذنِ الله.

221- [ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ]الحجر:97. أنتَ يَا عبدَ اللهِ لسْتَ بمفردِك في المعركَةِ .. فاللهُ تعالى معَك يَسمعُ ويَرَى، ويَعلمُ ما يكونُ من أعدائِك، ومَا يقُولُونه لك .. ويَعلم مَا يكون مِنك، ومَا يَصيبُك مِن حزنٍ، وضِيقٍ في الصدْرِ، بسببِ ما يقولُون من باطِلٍ .. وتَوجيهُ اللهِ لك حينئذٍ أن تَفزَعَ إلى التَّسبيح، وإلى الصَّلاةِ .. فستجد فِيهما عَوناً لك على الصَّبرِ، وعلى مواجَهةِ كيدِ وباطِلِ الأعدَاءِ!

* * * * *

## وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ

222- [ وَاعْبُدْ رَبَّكَ ]؛ عِبادَةً دَائمةً متواصِلَةً لا انقطاعَ فِيها، ولا تَوقُّف .. مَهْمَا امتدَّ بِكَ الزَّمَنُ، [ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ]الحجر:99. إلى أن يُدرِكَكَ الموتُ .. فهو الوَقتُ الوَحِيدُ الذي يُسمَحُ لك أن تتوقَّفَ فِيهِ عنِ العِبادَةِ!

* * * * *

## وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ

223- [ وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ]النحل:9. على اللهِ بيَانُ سَبيلِ الحقِّ، وبيانُ حَلالِه، وحرَامِه، وبيانُ الخيرِ، والشَّرِّ .. وعلينا اتباعُ هذا السَّبيلِ، مِن غَيرِ انحرافٍ عنه إلى غَيرِه مِن السُّبُل!

* * * * *

## وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ

224- [ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ]النحل:15. لكي لا تَضطَّرب وتتحرَّك الطَّبقاتُ العلويَّةُ للأرضِ، فلا يثبت على ظهرِها بناءٌ، فيمتنع الاستقرارُ، ويَنتَفي الانتفاعُ مِن الأرضِ .. أنزلَ اللهُ جِبالاً رواسِي، وأوتَاداً تمتَدُّ جذُورُها في باطِنِ الأرضِ أضعَافَ مَا يَظهر مِنها فوقَ الأرضِ؛ تُثبِّتُ حركةَ الطَّبقَات العلويَّةِ للأرضِ؛ ليتحقَّقَ الاستقرَارُ، ويتمُّ الانتفاعُ مِن الأرضِ .. وهذه حقيقةٌ علميَّةٌ لا يُمارِي فيها عاقلٌ، لم يكنْ يَعلمُها العربُ مِن قَبل .. كما أن العلم المعاصر لم يكتشِفْها إلَّا مؤخَّراً؛ في أواخِر القَرن التاسع عشَر، كما تقولُ بعضُ المصَادِر .. وهي من جملةِ الأدِلَّة العلميَّةِ العَديدَةِ الدَّالةِ على أن النبيَّ محمد صلى الله عليه وسلم الأُمِّي؛ الذي لا يَقرأ ولَا يكتُبُ .. هو نبيٌّ مرسَلٌ مِن اللهِ .. وأن هذا العِلم لم يكن ليعلَمه أو يأتِ به ـ قبلَ أكثر مِن ألفٍ وأربعمائةِ سنَةٍ ـ لولا أن اللهَ تعالى قد أنزلَه عليه، وأعلَمَه به.

* * * * *

## أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ

225- [ أَفَمَن يَخْلُقُ ]؛ وهو اللهُ، [ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ ]؛ وهو كُلُّ مَا عُبِدَ مِن دُونِ اللهِ .. هَلْ يَستويانِ مَثَلاً .. هل تُصرَف العِبادَةُ لمن لا يَخلُقُ، وهو يُخْلَقُ ـ وهو عاجِزٌ عن أن يَخلُقَ شَيئاً ـ كما تُصرَف لمن يَخلُقُ، ولهُ الخلْقُ كُلّه، وهو على كُلِّ شيءٍ قَدير .. وإذا كانَا لا يَستويانِ في الصِّفَاتِ، ولا يُوجَدُ أدْنَى تَشَابُه أو تماثُلٍ بين صِفَاتِ وأفْعَالِ الخالِقِ وصِفَاتِ وأفْعَالِ المخْلُوقِ، فكيفَ يَستويانِ في الحقُّوقِ، [ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ]النحل:17. أفَلَا يَكونُ ذلك دَاعِياً لكم لأن تُؤمِنُوا، وتُوحِّدُوا الخالِقَ سُبحَانه، وتُنَزِّهُوه عنِ الشَّرِيكِ؟!

* * * * *

## إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ

226- [ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ]النحل:22. الإلهُ الحق الذي يَستحقُّ، ويجبُ أن تُأَلِّهوه، وتخصُّوه بالعِبَادَةِ، والمحبَّةِ، والطَّاعَةِ، والخضُوعِ، والخشْيَةِ، والتَّحَاكُمِ .. هو إلهٌ ومَعبُودٌ واحِدٌ لا شَريكَ له في شيءٍ مِن صِفَاتِه، وأفعَالِه، وخصَائصِه .. وهو اللهُ تَعالى.

* * * * *

## أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ

227- [ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ]النحل:27. كلُّ مَن يُجادِلُ عن الطَّاغُوت .. ويُقاتِلُ ويُخاصِمُ دُونَه .. ويُوالي ويُعادِي فِيه .. سَواءٌ كان هذا الطَّاغُوت صَنَماً مِن حجَرٍ .. أو شجَرٍ .. أو بشَرٍ .. أو قَبرٍ .. أو كان نِظاماً جاهليّاً باطلاً .. أو حِزباً .. أو مَنْهجاً باطلاً متَّبعاً .. أو دُسْتوراً وقانُوناً يحلُّ حرَاماً ويُحرِّم حَلالاً .. أو حَاكماً يَزعمُ لنفسِه خاصيَّةَ الحُكمِ والتَّشْريعِ، والتَّحليلِ والتَّحريمِ مِن دُونِ اللهِ .. فهو ممن سيُوجَّه إليه هذا السؤال التَّقْرِيعي التَّوبِيخي، يومَ القِيامَةِ، يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنُون:[ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ

كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ]؟! الذين كنتم تُجادِلُون دونَهم، وتَدخلُون في خصُومَاتٍ وعدَاواتٍ مِن أجلِهم .. وأشركتمُوهُم معي فِيما هو خاصٌّ بي، ومِن حَقّي .. أخرجُوهم وأظهرُوهم ـ إن كنتم قادرين ـ لكي يُدافِعُوا ويُجادِلُوا عنكم اليوم .. كما كُنْتُمْ تُدافعُون وتجادِلُونَ عنهم في الحياةِ الدُّنيا .. وتُعادُون أوليائي مِن أجلِهم .. وأنَّى!

* * * * *

## وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ

228- الله تعالى لا يَأمرُ ولا يُنَزّلُ إلا خَيراً، فأمرُهُ خيرٌ، ونَهيهُ عن شَرٍّ، الانتهاءُ عنه يُؤدّي إلى خيرٍ، وبهذا يكونُ الأمْرُ والنَّهي خيراً، [ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً ]النحل:30. فالتَّنزيلُ كُلُّه وما يَتضمَّنُ من أمرٍ ونَهيٍّ، وإخبَارٍ .. كلُّه خير، ويُؤدّي إلى خَير.

* * * * *

## وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ

229- [ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ]النحل:36. هكذا كانت مَهمَّةُ جَميعِ الأنبياءِ والرُّسلِ معَ أقوَامِهم وأمَمِهم، وهذه هي الغايةُ مِن بَعْثِهم وإرسَالِهم .. وهكذا يجبُ أن تكونَ مَهمَّةُ ورَثتِهم مِن العُلماءِ، والدُّعاةِ إلى الله .. على مَدَارِ العُصُورِ، وإلى أن تَقومَ السَّاعةُ، [ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ]. وأيُّمَا عالِمٍ أو داعِيَةٍ يَنحرِفُ عن هذهِ المهمَّةِ، وهذه الغَايَة .. إلى غَيرِها مِن المهَامِ والغَايات .. يَفْقِدُ مُباشرةً صِفَةَ الدَّاعِيَةِ إلى اللهِ .. وصِفَةَ ورَثَةِ الأنْبِيَاء!

لا يكْفي أن تَدعُو إلى عبادَةِ اللهِ .. كما لا يكْفِي أن تَدعُو إلى اجتنَابِ الطَّاغُوتِ، والكُفْرِ به، والبَراءِ مِنه .. وإنَّما يجبُ ـ وحتَّى تكونَ من ورثَةِ الأنبياءِ ـ أن تجمعَ بينَهما مَعَاً في دَعْوَتِك، وجِهَادِك.

230- كثيرٌ من الأنبياءِ قَضَوا نحبَهم، ولم يتمكّنوا من أن يُقيمُوا للإسلامِ دَولةً، فما زحزَحَهم ذلك عن الثَّبات على مبادِئ وقيمِ الإيمان، والمضي في أداءِ مَهَمَّتِهم الأسَاس:[ أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ]النحل:36.

* * * * *

## فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ

231- [ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ]النحل:43. لَمْ يَقُلْ: فقَلِّدُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كنتُم لا تَعلمُون .. كما يحاولُ المتعصِّبةُ لأقوالِ ومَذاهِبِ العُلماءِ أن يُفَسِّرُوا الآيَةَ الكريمةَ .. وإنَّما المرادُ من الآيةِ الكريمةِ: فاسْأَلُوا أهلَ العِلمِ الذين يَدُلُّكُم ويَرشُدُوكُم إلى حُكمِ وأدِلَّةِ الكِتابِ، والسُّنَّةِ؛ لأنَّ الحجةَ المُلزِمَةَ في القَولِ المنزَّلِ، وليسَ في القَولِ المأوَّلِ .. في قالَ اللهُ، قالَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم .. وليسَ في قَولِ العالِمِ مجرَّداً عن المتَابعَةِ لأدلَّةِ الكِتابِ والسُّنَّةِ!

* * * * *

## وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

232- [ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ]النحل:44. الذِّكْرُ الذي أنزَلَهُ اللهُ؛ هو القُرآنُ الكَريم، وبيَانُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم للذكْرِ؛ هو السُّنَّةُ النبويَّةُ

المطَهَّرَة .. وكِلاهُمَا القُرآنُ والسُّنَّة؛ يَخرُجَان مِن مِشْكَاةِ الوَحي، لَا يُغني أحَدُهمَا عن الآخَر .. ولَا يُقبَلُ الإيمانُ بأحَدِهمَا مِن دُونِ الإيمانِ بالآخَر .. فَمَا آمَنَ بالقُرآنِ مَن جَحَدَ السُّنَّة!

* * * * *

## وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ

233- [ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ]النحل:53. كلُّ النِّعَمِ المحيطَةِ بكَ، والتي تتمَتَّعُ بها؛ الظاهِرةِ والباطِنَةِ، مَا تَعلَمُه ومَا لا تَعْلَمُه، فهي على الحقِيقَةِ مِن اللهِ .. فَلا تَشكُرْ المخلُوقَ، الوسيلةَ أو السَّبَبَ المبَاشَر ـ والذي هو أيضاً من مُلْكِ، وتَقْدِيرِ، ونِعَم الخالِق سُبحَانه ـ لما أنت فيه مِن النِّعَم .. وتَغْفَل عن شُكْرِ اللهِ مَالِك وخَالقِ النِّعَم، والذي تفضَّل بها عليك على الحقِيقَةِ .. وهو كما منَحَكَ إيَّاهَا قادِرٌ على أن يَسلبَها مِنك وقتَمَا يَشَاء .. فتكُن كَمَن يردُّ الفضْلَ إلى غيرِ أهْلِه!

## ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ

234- [ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ]النحل:53. إذَا مَسَّ الإنسانَ الضُّرُّ .. فَرُغَ قَلبُه مِن العوَالِقِ .. ونَسِيَ مَن كان يَعبدُهم من دُونِ اللهِ؛ لشُعُورِه أنَّهم لا يَقدِرُون أن ينجدُوه ممَّا هو فيه من الضُّرِّ .. ويتذكَّر فقَط " اللهَ "؛ لعِلمِه وشعُورِه أنه يَسمعُه ويرَاهُ .. وأنَّه وحدُه القَادِرُ على أن ينقذَه، ويخرجَه ممَّا هو فيه من الضُّرِّ .. فيتضرَّعُ إليه وحدَه .. لكن هذا الإنسانُ ـ وللأسَف ـ ما إن يكشِفَ اللهُ عنه الضرَّ .. ويَعودَ إلى حالَةِ الرَّخَاءِ، والاسترْخاءِ، والأمانِ .. يعُودُ من جَديدٍ إلى الشرْكِ، وعِبَادَةِ المخلُوقِ، والأوثَانِ، والطواغِيتِ مِن دُونِ الله .. وإلى التعَلُّقِ بهم؟!

* * * * *

## وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ

235- [ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً ]، يَعُودُ ـ بعدَ عُمْرٍ طويلٍ ـ كما بَدَأَ؛ يَبُولُ ويَغُوطُ على نفْسِهِ .. يَضعفُ بدَنُه .. ويَضْعُفُ بصَرُه .. وتَضْعُفُ ذاكرتُه ـ ومنهم مَن يَفقِدُها ـ ويَضْعفُ علمُه بالأشياءِ .. والتمييز بينها .. فَيَرِدُّ للدُّنيَا مَا أَخَذَ مِنْها .. بَلْ وأضعَافَ ما أَخَذَ مِنها .. ثم يخرجُ مِنها عريَاناً كما أَتَاهَا عرياناً .. [ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ]النحل:70. عالمٌ بكُلِّ شيءٍ، وقَادرٌ عليه.

* * * * *

## يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا

236- [ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ]؛ يعرِفُون أن ما هم فيه من النِّعَم السَّابِغَات التَّامَّاتِ ـ التي لا تُعَد ولَا تُحصَى ـ هي مِن اللهِ، وبفضلٍ وتَقديرٍ مِن اللهِ، [ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ]؛ ثم يجحدُونَها؛ فيكفُرونَ النِّعَمَ، والمُنعِمَ .. ويردُّونَها إلى أنفُسِهم وعزَمَاتِهم .. يردونَها إلى المخلوقِ .. وإلى الأسبَابِ مِن دونِ اللهِ، [ وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ]النحل:83. لأنَّ مِن المؤمنين وللأسفِ من يَقَعُ في شيءٍ من هذا الخَطأ، عن جَهلٍ، فاستثناهم الله تعالى بقوله:[ وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ]؛ ولم يَقُلْ كُلَّهُم .. وفي هذا التعبير القُرآني المخيف، تَحذيرٌ وتَرهيبٌ لهذا الفريقِ الجاهلِ من المؤمنين الذي يَقَعُ في شيءٍ من هذا الخَطأ .. مِن أن يتمادَوا في خَطأهم ويُصرُّوا عليه؛ فيُصبحُوا مِن الكافرين!

237- [ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ]النحل:83. يَعرفُون أن محمداً رسولُ الله، وأنه حقٌّ، وأنَّ ما جاءَ به من عندِ ربِّه حقٌّ، لَا مِرية ولا شَكَّ فِيه .. وأنه مذكورٌ في

كُتُبِهم قبلَ بعثَتِه صلى الله عليه وسلم .. ثم هم مع ذلك كِبراً وتَعَالياً وحَسَداً يُنكرُون ويجحدُون هذه النِّعمة العظيمَة؛ نعمة نبوَّةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، التي لا تُوازيها نعمةٌ، والتي هي سببٌ لكثيرٍ مِن النِّعَم بعدَها .. والتي هي خير ورحمة للعَالمين .. فإنكارُهم لنبوَّة محمدٍ صلى الله عليه وسلم لم يكن منهم عن جَهلٍ، وإنما عن عِلمٍ ومعرفَةٍ .. وهو ما يُغلِّظُ عليهم الذَّنبَ والمؤاخَذَة.

238- [ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ]النحل:83. يَعرفُون أن الرزقَ مِن عندِ اللهِ، ثم يَردُّون الفضْلَ - فِيما هم فِيه مِن رِزقٍ وسَعَةٍ - لغيرِ اللهِ .. وهذا معنى آخَر مستحسَن للآيةِ الكريمةِ، قد أشارَ إليه بعضُ أهلِ العِلم.

* * * * *

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ

239- [ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ]؛ القُرآنَ الكَرِيم، [ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ ]. [ لِّكُلِّ شَيْءٍ ]، من صيَغ العمُومِ التي تَعمُّ وتشمَلُ كلَّ ما يحتَاجُه الإنسانُ في حيَاتِه الدُّنيا، مِن شؤونِ الدِّينِ والدُّنيا .. فلمْ يحوجَنا هذا الكتابُ العظيم إلى غيرِه؛ إلى قوانين وشرائعَ وضعَهَا الغَرْبُ أو الشَّرقُ .. نحتَكِمُ إليها، ونلتَمِسُ فيها الخيرَ، والهُدَى لأنفسِنا، وفي حياتِنَا .. فأبَانَ لنا الحقَّ، ومَا يؤدي إليه، والبَاطِلَ ومَا يُؤدِّي إليه .. وأبانَ سُبُلَ المجرمين، وفصَّلَ فيها تَفصيلاً واسِعَاً؛ لكي نحذَرَها، ونُحذِّرَ منها، ونبتعدَ عنها .. ومَا مِن خيرٍ يُقرِّبُ إلى اللهِ، وإلى جنَّتِه، وفيه سَعادَتُنا في الدُّنيا والآخِرَةِ، إلا وقد بيَّنَه هذا الكتاب، وحَضَّ عليه، ومَا مِن شرٍّ يُبَعِّدُ عن اللهِ تعالى، ويقرِّبُ إلى النارِ، وفيه شَقاؤنا في الدُّنيا والآخِرة، إلا وقَد بينَه هذا الكتاب، ونَهى عنه، وحَذَّرَنَا منه .. اللهُ تعالى غَيُورٌ؛ لا أحَدَ أغيرَ مِن اللهِ، ومِن غيرَتِه على عِبادِه، أن لا يحوجَهُم إلى غيرِه، وإلى شرعٍ غير شَرْعِه .. [ وَهُدًى ]؛ من كلِّ زَيغٍ

وضَلالٍ .. فمن تمسَّكَ به فلَن يَضِلَّ أبَداً، [ وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ]النحل:89. [ وَرَحْمَةً .. لِلْمُسْلِمِينَ ]؛ لِمَا فيه من خَيرٍ، وتلبيةٍ وبيَانٍ لجميع ما يحتَاجُون إلى معرفتِه مِن شُؤون الدِّين والدُّنيا .. فلم يُوقِعْهُم في ذلِّ الحاجَةِ، والطَّلبِ، واستجدَاءِ القِيَمِ والمفَاهِيمِ مِن الأعدَاء .. [ وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ]؛ بالجنَّةِ ونعِيمِها الخالِد الذي لا يَبِيدُ أبَداً، جَزاءَ تمسُّكِهم بهذا الكِتَابِ، والعَمَلِ بما فِيه.

وفي الآيةِ رَدٌّ على أولئكَ الجَّاحِدين الذين يُحاولُون عَبَثاً أن يَفصُلُوا الإسلامَ عن مَيادِينِ الحياةِ، والحُكمِ، والسِّيَاسَةِ ...!

* * * * *

## إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ

240- يقومُ الحكمُ الإسلامي على ركيزتين أساسيتين: الحقُّ، والعدلُ؛ فأعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ، من غيرِ إفراطٍ ولا تفريط، وهو الحقُّ الذي ليس بعده إلا الباطل والضلال .. ثم حملَ العبادَ على إنصاف هذه الحقوق من غير إفراطٍ ولا تفريطٍ؛ وهو العدلُ الذي ليس بعده إلا الظلم والعدوان .. قال تعالى:[ وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ]غافر:20. وقال تعالى:[ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ]النحل:90.

241- [ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ] ؛ بالإنصافِ عند الانتصافِ؛ وهو حقّ، [ وَالإِحْسَانِ ]النحل:90. العَفْو، والصَّفْح؛ وهو فضْلٌ.

242- [ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ]النحل:90. بالحقِّ، والفَضْلِ.

* * * * *

وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً

243- [ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً ]النحل:92. أَمْثِلَتُه كَثِيرَةٌ، مِنْها: الذي يَرتَدُّ بعدَ إيمانِه، ويُتْبِعُ إيمانَه بالكُفْرِ والشِّرْكِ، فيَحْبُطَ إيمانُه، وعَمَلُه، ويمتنعُ من الانتفاعِ بِه .. ومِنها: الذي يَتَصَدَّقُ على الآخَرِين، ويَبذُلُ لهم المعرُوفَ، ثمَّ يُتْبِعُ مَعرُوفَه وصدقَتَه بالمَنِّ والأذَى .. ومِنها: الذي يَأتِي بالطَّاعَاتِ على وجْهِ الرِّيَاءِ .. فَلا يَنتفعُ مِن طاعَاتِه في شَيءٍ، بَل وتَنْقَلِبُ عليه سَيِّئات .. ومِنها: الذي يَأتي بالطَّاعاتِ على وجهِ الإخْلاصِ والمتَابَعَةِ .. ثمَّ يَستَغِيبُ النَّاسَ، ويتجسَّسُ على عَوْرَاتِهم، ويُؤْذِيهم في أَنْفُسِهم، وأعْرَاضِهم، وأَمْوَالِهم .. فيُوزِّعُ حسَنَاتِه عليهم إلى أن يَبقَى بلا حَسَناتٍ، وكأنَّه لم يَفْعَلْ شَيئاً مِن الطّاعَات .. مَثَلُهُ في ذلك مَثَلُ مَن يَكْدَحُ طِيلَةَ نَهارِه، وما يَتَحَصَّل عليه من مَالٍ في آخِرِ يومِهِ يَحْرِمُ نَفْسَهُ وأبنَاءَه مِنْهُ، ويُعطِيه لأعْدائِه، ولمن لا يُحِب .. ومِنها: كُلُّ مَن يَرجعُ أو يَتَرَاجَعُ بَعدَ تَقَدُّمٍ، ويَنْزِلُ بَعدَ صعُودٍ .. وأمثِلَةُ هذا الصِّنْفِ من الناسِ كَثِيرَة!

244- [ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً ]النحل:92. هذه امرأةٌ سَفيهةٌ حمقَاء، كانت تَغزلُ غَزْلَها، وبعد أن تُحْكِمَهُ وتَنتهي منه، تَنقضُه، وتحلُّه مِن جَديدٍ .. وتَعودُ مِن حيثُ بدَأت .. وهكذا كلما أَنْهَت غَزْلَها، وأحكَمَتْهُ، تَعودُ عليه بالكَرِّ والنَّقضِ .. وهي مِثالٌ لكلِّ مَن يبني بناءً جميلاً ثمَّ يعودُ عليه بالهدْمِ والتَّدمِير .. فيهدرُ الطَّاقَاتِ، والأوْقاتِ، والأموالِ، والمواردِ مِن غيرِ طائلٍ ولا فائدةٍ .. ومثَالُه في واقعنا السياسِي الذي يبني دَولةً، ومَرَافقَاً، ومؤسّساتٍ .. ثم يُسلِمُها بإرادتِه لعدوِّه ومُناوئِه ـ باسم الديمقراطيَّةِ والانتخاباتِ الحرَّة! ـ ليعود عليها بالهدْمِ، والتخرِيبِ، والتدميرِ .. فتُصبحُ وكأنَّها لم تكن قد كانَت!

* * * * *

## مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ

245- [ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ]؛ مَا تَدَّخرُونَه، وتُنفقُونَه على أنفُسِكم وشهواتِكم يَفْنَى، ويَزُولُ، ويذهبُ في اتجاهاتٍ عِدَّةٍ، لا يدومُ شيءٌ منه لكم، [ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ ]النحل:96. ومَا تُنْفقُون مِن أموالِكم وأنفُسِكم في سَبيلِ اللهِ، وتَدَّخرونَه عند اللهِ؛ فهو البَاقي الدَّائمُ؛ الذي يُرْبِيه اللهُ، ويُنميه لكم، وتجدُون نفْعَه أمامكم يومَ القيامَةِ .. والعَاقِلُ من يدَّخِرُ من الفَانِي إلى البَاقي .. ولَمَّا ذَبَحت أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها شَاةً، وقسَّمتها على الجيرانِ، رفَعَت مِنها الذِّرَاعَ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ وكانَ أحبَّ الشَّاةِ إليهِ الذِّراعُ، فَلَمَّا جاءَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالت عائشةُ: ما بقي عندَنا منها إلا الذِّراعُ، قال صلى الله عليه وسلم:" كلُّها بَقِيَ إلا الذِّرَاعُ "!

* * * * *

## مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً

246- [ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً ]؛ كلُّ ما يحبُّه اللهُ تَعَالى مِنَ الأقوَالِ والأعمَالِ الظَّاهِرَةِ والباطِنَةِ، [ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى ]؛ فيه أنَّ جَميعَ التَّكَاليف الشَّرْعيَّة ابتدَاءً يُرَادُ بها الذُّكُورُ والإنَاثُ، مَا لم يَرِدْ نصٌّ يخصِّص التَّكليفَ بأحَدِهمَا دُونَ الآخَر، [ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ]؛ لأنَّ الكافِرَ المشْرِكَ لَا ينتفعُ يَومَ القيامَةِ مِن أعمالِه الصَّالحَةِ، [ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ]؛ لا تَعْرِفُ الأمرَاضَ النَّفْسيَّةَ؛ حيَاةً مِلْؤُهَا السَّعَادَة، والقنَاعَة، والرِّضَا، والمعرِفَة .. هذا في الدُّنيا، أما في الآخِرَة:[ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ]النحل:97. فيُجْرَى لهم الجزَاءُ، ويَمضي لهم الأجْرُ، على أحسَنِ أعمَالِهم، ويَتجاوَزُ اللهُ عن رَدِيئها .. وأحسَنُ الأعمَالِ هي التي يَتَحَقَّق فيها شَرْطَا القبُول: المتَابَعَةُ، والإخْلاصُ.

247- [ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً ]؛ هو كلُّ عملٍ يتحقَّقُ فيه شَرْطَان: الموافقَةُ للكتابِ والسُّنَّةِ، والإخْلاصِ، ويَشملُ جميعَ حركَةٍ وأعمَالِ الإنسانِ الظَّاهِرَةِ والباطِنةِ، التي يحبُّها اللهُ تعالى ويَرْضَاها، [ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى ]؛ فكما أن الذكُورَ مُطالَبُون بالعمَلِ الصَّالحِ، وبالتكاليفِ الشَّرعيَّةِ، كذلك الإنَاثُ .. فالدِّين لم يُنزَّل لأحدِهما دُونَ الآخَرِ، [ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ]؛ مسلمٌ موحِّدٌ لا يُشركُ باللهِ شَيئاً؛ لأنَّ المشركَ الكافرَ إن عملَ عملاً صالحاً يَنتفعُ به في الدُّنيا دُونَ الآخِرَةِ، فالشركُ يُحبطُ العمَلَ، ويُبطلُه .. فَمَن كانَ بهذا الوَصْفِ الآنِفِ الذِّكْرِ، [ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ]؛ في الحياةِ الدُّنيا؛ فيعيشُ السَّعَادَةَ، وطِيبَ النَّفْس، وانشراحَ الصَّدْرِ، واطمئنانَ القَلبِ، والقنَاعَةَ بالحلالِ ـ وإن قَلَّ ـ والرِّضَا عن اللهِ، والرِّضَا بقضائِه وقدَرِه .. وأن يعيشَ بقَلْبٍ سَليمٍ مِن الأحقَادِ، والحسَدِ، والكآبَةِ، والأمرَاضِ .. ولَا يجوزُ أن يُفهَم مِن قوله:[ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ]؛ خُلُو حياتِه في الدُّنيا مِن البَلاءِ ـ كما يُتَصَوَّرُ للبَعْضِ! ـ فهذا الفهمُ خاطِئٌ، وهو مخالفٌ ومناقِضٌ لأدِلَّةِ النقْلِ، والعَقْلِ، والواقعِ المشَاهَدِ، وبخلافِ ما فُطِرَت عليه الدُّنيا، [ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ]النحل:97. في الآخِرَةِ فقط بعدَ أن يُدْخِلَ اللهُ المؤمنين الجنَّةَ، ويجزيهم على أعمالِهم الحسنَةِ بما هو أحسَن مِنها؛ يجزيهم الجنَّةَ ونعيمَهَا الدائم المقِيم التي فيها مَالا عينٌ رَأَت، ولا أُذُنٌ سمعَت، ولا خَطرَ على قلبِ بشَرٍ .. في الدَّارِ الآخِرةِ ـ في الجنَّةِ ـ هناك وحَسْب تخلُو الحيَاةُ من البَلاءِ، والمصائِبِ، والمكدِّرات .. والتَّكاليف.

* * * * *

## إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ

248- [ مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ]النحل:106. الإكراهُ يُبرِّرُ قَولَ الكُفْرِ، لا اعتِقَادَ الكُفْرِ .. مجرَى الكُفْرِ على اللسانِ، لا يجوزُ أن يَصِلَ منه شيءٌ إلى القلْبِ؛ لأنَّ الإكراهَ سُلطانُه على الجوارِحِ الظَّاهرةِ لا البَاطِنَةِ

.. فجازَ دَفْعه بظاهِرِ القولِ عَن ظَاهِرِ البَدنِ، بالقَدْرِ الذي يَندَفِعُ به الإكراهُ، والضَّرَرُ النَّاجِمُ عنه، من غيرِ زِيادَةٍ ولا تَوسّعٍ؛ فإذَا كانَت كلمةُ كُفْرٍ واحِدةٍ تَدفعُ عنه الإكرَاهَ .. لا يجوزُ له حِينئذٍ أن يتطوَّعَ فيزيدُ فيقُول عَشْرَ كلماتٍ أو أكثر .. ثم بعَد ذلك يَعتذرُ لكُفْرِه بالإكراه!

## وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً

249- [ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ]النحل:106. مَن اتَّسَعَ صَدْرُه للكُفْرِ، واطمَأَنَّ إليه، ورَضِي به، وانعَقَدَ عليه قَلبُه .. يكفُر، ويخرُج مِن دَائرَةِ الإسلامِ، وإن لم يَفعَلْهُ، ولم يُشارِكْ في فِعْلِه .. ولا يُعذَرُ بالإكراهِ؛ لأنَّ الإكراهَ سُلطانُه على الجوارِحِ الظَّاهِرَة، وليسَ له سُلطَانٌ على القَلبِ .. وهذا يَستدعي الحذَر والانتبَاه من أن يُحسِّنَ أحدُنا الكُفرَ، ويَرضَى به، ويُجادِلَ عَنه، وهو جالِسٌ على أرِيكَتِه .. ثم يحسَبُ أن ذلك لا يَضرُّه، ولَا يَضرُّ إيمانَه!

* * * * *

## ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ

250- [ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ]النحل:107. ليسَ مِن موانِعِ التَّكفيرِ، ولحُوقِ الوَعِيدِ بالمعَيَّن، حُبُّ الدُّنيا، وزِينَتِها، وإيثارُها على الآخِرَة، فمَن وقعَ في الكُفْرِ مِن أجْلِ عَرَضٍ مِن عُرُوضِ الدُّنيَا .. يَكْفُر، ويَطالُه الوَعِيدُ.

251- [ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ]النحل:107.أنتَ بين عملَين: عملٌ لآخرتك، وعملٌ لدُنْياك .. فإن استحَالَ عليك التَّوفيقُ والجمعُ بينهما .. لا تُرْجِئْ العَمَلَ لآخِرَتِك للفَراغِ مِن العَمَل لِدُنْيَاك .. المغْرُورُ والمغَفَّلُ مَن يَفعَلُ ذَلك!

252- [ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ]؛ استَحبُّوا وآثَرُوا طاعةَ الطَّاغُوتِ، ومَا يَرميه لهم مِن فُتَاتٍ، ومَالٍ، على طاعَةِ اللهِ، ومَا يَدَّخره لهم مِن أجرٍ وثوَابٍ يومَ الآخِرَةِ، [ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ]النحل:107. فهؤلاء كافِرُون؛ لَا يُعذَرون لو وقَعُوا في الكفْرِ بسبَبِ استحبَابِهم للحياةِ الدُّنيا وزِينَتِها!

* * * * *

## ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ

253- [ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ]؛ كلُّ الذين يَعملون السوءَ؛ يَعملونَه بجهالَةٍ، وعن حمقٍ، وسَفاهَةٍ .. فلا يتجرَّأ أحدٌ على مَعصيةِ اللهِ؛ إلا لنوعِ جَهلٍ، وغفْلَةٍ، وحمْقٍ، وسَفاهَةٍ. ومِن السَّلفِ مَن نقَلَ الإجماعَ على ذلك، عَن قَتَادَة، قال:" أجمَعَ أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم على أنَّ كلَّ مَن عصَى ربَّه فهو في جهَالةٍ، عَمْداً كان أو لم يَكُنْ، وكل من عصَى اللهَ فهو جاهِلٌ ". وعن مجاهد، والضَّحَّاك:" ليسَ مِن جهالتِه أن لا يَعلمَ حَلالاً ولا حراماً، ولكِن من جهالَتِه؛ حِين دَخَلَ فيه ". [ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ ]؛ عن السَّيئاتِ؛ فأقلعُوا عنها واستغفَرُوا لذنُوبِهم، [ وَأَصْلَحُواْ ]؛ ما أفسدتهُ السيئاتُ؛ سَواء كان على المستوى الشَّخصِي، أم على المستوى العام إذا تعدَّى ضَرَرُ السيئاتِ إلى الآخَرين، [ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا ]؛ من بَعدِ التوبةِ، والإصْلاحِ، [ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ]النحل:119.

* * * * *

## ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ

254- [ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ]؛ لَا يكفي أن تكونَ على حقٍّ .. وأن تُراهنَ على الحقِّ الذي أنت عليه، لكي يستجيبَ إلناسُ إليك، وإلى ما تدعُوهم إليه .. إذْ لا بدَّ لك وأنت تدعُو الناسَ إلى الحقِّ؛ إلى دينِ الله الإسلامِ من أن تتوخَّى وتلتزمَ الحِكْمَةَ في دعوتِك؛ وهي الاستدلالُ بالقرآنِ، والسُّنَّةِ .. لشمولِهمَا على كمالِ، وجميع معاني الحُجَّةِ والحِكْمَةِ، [ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ]؛ وهي الاستدلالُ على الحقِّ بالعِبَرِ وبما أودَعَ اللهُ تعالى من آياتٍ باهراتٍ في الكونِ، وفي النَّفْس البشريَّةِ، وسَائرِ المخلُوقاتِ .. وما حصَلَ للأمَمِ المكذِّبةِ الظالمةِ مِن هلاكٍ ودمَارٍ، [ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ]النحل:125. وهي مواجهةُ الكلمةِ بكلمةٍ أحسَن، والحُجَّة بحجَّةٍ أحسَن، وأبلَغ .. والشُّبهة بالدليلِ القاطع الحاسِمِ الذي يقرُّه النقْلُ والعَقْلُ .. من غيرِ تهجُّمٍ أو بذاءَةٍ أو فُحشٍ في القولِ .. فإنَّه أدْعَى للقُبُولِ، ولأن يُصْغُوا إليك، وإلى مَا تَدعُوهم إليه.

* * * * *

## سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى

255- [ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ]الإسراء:1. إنَّه رباطُ العَقِيدَةِ والدِّين .. الرِّباطُ الخالِدُ بين القِبْلَتين، والحرَمَين الشَّريفَين: المسجدُ الحرَام في مكَّة، والمسجدُ الأقْصَى في بيتِ المقْدسِ، في فلسطِين .. رِباطٌ مَتِين لَا تَفكُّ عُراه الأزمَانُ .. ولَا ألاعيبُ، ودَهالِيزُ، ومُؤامرات السياسَةِ والسياسِيين .. ولا حرُوبُ وعدوان المعتَدِين .. ولا تَواطُؤ ونِفاقُ المنَافِقين .. ولَا يَصحُّ ولاءٌ لأحَدِ المسْجِدَين مِن دُونِ الوَلاءِ للمسْجِدِ الآخَر.

* * * * *

## إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ

256- [ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ]الإسراء:9. هَذَا القُرأنُ يَهْدِي للتي هي أَحْسَنُ، وأعْدَلُ، وأصْوَبُ في كلِّ شيءٍ، وفي جميعِ مَجالاتِ الحيَاةِ الدِّينيَّةِ، والدنْيويَّةِ .. ومَن يَنْشُدُ الهِدايَةَ عن غَيرِ طَريقِ القُرآنِ الكريم فقَد ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً.

* * * * *

## وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ

257- [ وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ ]؛ كثيرٌ من النَّاس، وبخاصَّة الكفارُ الملحدُون يتجرَّأون على اللهِ تعالى بارتكابِ المعاصِي، وبالطعنِ والاستهزاءِ، وبالاعتداءِ على كتابِه؛ ثم يَسألُون عن انتقامِ اللهِ لهم .. فيَدعُون على أنفُسِهم بالشرِّ، ويتمَّنون لأنفُسِهم الشرَّ، وأن يتنزَّلَ بهم الشرَّ، مِن قَبيل التَّشكيك بقدرةِ اللهِ تعالى، وبوجودِه، [ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً ]الإسراء:11. يستعجلُ الشرَّ لنفْسِه كما يستعجلُ الخيرَ .. وفاتَ هؤلاء الملحِدُون

الجاهِلُون أن اللهَ تعالى لا يُجرَّب ولا يُختبَر .. وإنما يَفعلُ اللهُ ما يشاءُ، وقتَمَا يَشاءُ .. وفقَ حكمتِه وتقديرِه سُبحانه .. فإذا أرادَ اللهُ بهم شَرَّاً لا يَستقْدِمُ ولا يَسْتَأخِرُ ثانيةً واحدَة!

* * * * *

## وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً

258- [ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً ]الإسراء:11. في كَثيرٍ من الأحيَانِ ـ لجَهلِنا وضَعْفِنَا ـ نَستعجِلُ على اللهِ نزولَ خَيرٍ، أو نُزولَ عِقَابٍ وانتقامٍ بالظَّالمِين المجرمِين .. لكِن يَأبَى اللهُ إلَّا أن يَفعلَ ما يَشاءُ، وقتَمَا يَشَاء، فيُنزِّلُ الخيرَ في وَقْتٍ، نقولُ معَه: الحمدُ للهِ أنَّ اللهَ تَعالى قَد نَزَّلَ الخيرَ في هذا الوقتِ، أضعَافَ ما كنَّا نتمَّنى ونُريد .. وأنَّه تعالى لم يُنزِّلْهُ في الوقتِ الذي سألنَاهُ، وأرَدْنَاه .. وكذلك يَنتقمُ مِن الظَّالمِين المجرمِين في وَقتٍ، نقولُ معه: الحمدُ للهِ أن اللهَ تعالى لَمْ يَنتقِمْ لعبَادِهِ المستضعَفِين مِن الظَّالمين في الوَقتِ الذي أرَدْنَاهُ، وأن الانتقامَ تمَّ في الوَقتِ، والكَيفيَّة اللَّتَان أرادَهما اللهُ، أضعَافَ ما كُنَّا نتمَّنى ونُريد .. كَم هو التَّفْوِيضُ، والرِّضَا بحكمِ اللهِ، وبقضائِه وقَدَرِه جميلٌ، وعَظيمٌ، ومُريح؟!

259- [ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً ]الإسراء:11. يَستَعْجِلُ مَا عِندَ اللهِ بمعصِيَتِه، ومَا عِندَ اللهِ لَا يُطلَبُ إلَّا بطَاعَتِه.

* * * * *

## اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً

260- [ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ]الإسراء:14. إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .. هُناكَ الموعِدُ، وهناك المُلتَقَى؛ يومَ تَبيَضُّ وجوهٌ، وتَسوَدُّ وجُوهٌ .. يومَ نَتطايرُ القلوبُ مع تَطايرِ الصُّحُف؛ الدَّالّة على فوزِك أو رسُوبِك .. فيُقال لك: [ اقْرَأْ

كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ]. لا يَغيبنَّ ذلك عن ذِهْنِك يا ابنَ آدَم، وأنتَ مُنغمسٌ في دُنياك، ومتاعِها!

261- [ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ]الإسراء:14. هناك؛ يوم الحِسَاب، تَتَهاوى الأوسِمةُ الأرضيَّةُ .. وتَتَهاوى ألقَابُ التَّفخيم، والتَّبجِيل .. لن تجدَ شَيئاً مِنها في صحيفَةِ حسَناتِك .. ولن يتشَفَّع لك شيءٌ مِنها .. إنما هي الأعمَالُ، والأعمالُ فقَط، ولا يَنفعك من الأعمَالِ إلَّا مَا كانَ خالِصاً، موافِقاً؛ خالِصاً للهِ، لَا سمعَة ولَا رياءَ فِيه .. وموافِقاً لهَدْي النبيّ صلى الله عليه وسلم، وسُنَّتِه .. وما سوى ذلك فهو عليك، وليسَ لك .. نسألُ اللهَ السَّلامَةَ، والثبَاتَ على التوحِيدِ والإخلاصِ، وحُسنَ الخِتَام.

* * * * *

وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً

262- [ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ]الإسراء:15. فيهِ أنَّ اللهَ تعَالى لا يُعَذِّبُ أحَداً يومَ القيامَةِ إلا مَن قامَت عليه الحُجَّةُ من جِهَةِ بَلاغِ ونَذَارَةِ الرُّسُلِ .. أمَّا مَن ماتَ ولم تَبْلَغْهُ نذَارَةُ الرُّسُلِ، ولَمْ يَسمَعْ برسُولِ زَمَانِه، ولم تَبْلُغْهُ دَعْوَتُه .. فهذَا له حُكْم أهْلِ الفَتْرَةِ، الذين مَاتُوا ولَمْ يُبْعَث فِيهم رَسُول، ولم تَبلغْهُم نذَارَةُ مَن قَبْلَهُم مِن الرُّسُلِ .. وهؤلاءِ يُؤمَرُون يومَ القِيامَةِ بدخُولِ نَارِ جَهنَّم؛ فَمَن أجَابَ وأطَاعَ، نَجا ودَخَلَ الجَنَّةَ، ومَن أبَى وعَصَا، دَخَلَ النَّارَ .. وكُلٌّ مِنْهم يُلْهَمُ الخِيَارَ الذي كانَ سيَخْتَارهُ في الدُّنيَا لو بَلَغَتْهُ نَذَارَةُ الرُّسُلِ .. بِحَسْبِ عِلمِ اللهِ فِيه.

* * * * *

وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ

263- من العلاماتِ المبكّرة المؤذِنَة بزوال القُرى وهلاكها، تسلّط وتأمّر الأشرار المترفين فيها، فيُؤمَرون بالطّاعة لله ولرسولِه صلى الله عليه وسلم، فيأبون إلا الفسوق، والعصيان، والظلم، كما قال تعالى:[ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ]الإسراء:16. وقال تعالى:[ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ]الكهف:59. وقال تعالى: [ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ]القصص:59. وقال تعالى:[ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ ] أردنا أن نهلكها [ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا ]الأنعام:123. ليظلموا ويفسقوا فيها.

* * * * *

## وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً

264- [ وَقَضَى رَبُّكَ ]؛ حكَمَ رَبُّكَ، وأمَرَ، وأوْجَبَ [ أَلَّا تَعْبُدُواْ ]؛ أن لا تَعبدُوا أحَداً، ولا شَيئاً، [ إِلَّا ]؛ أداةُ استثناءٍ بعدَ نَفْيٍ؛ تُفيدُ الحصْرَ والقَصْرَ، [ إِيَّاهُ ]الإسراء:23. إِلَّا اللهُ؛ فهو المعبُودُ بحقٍّ، الذي يجبُ أن تَصرِفَ له جميعَ أنواعِ العِبَادَاتِ؛ الظَّاهِرَةِ والباطِنَةِ .. لا مَعْبُودَ في الوجُودِ بحقٍّ سِوَاه.

265- [ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ]الإسراء:23. لِعَظِيمِ حَقِّ الوالِدَين قَرَنَه اللهُ تعالى مع حَقِّهِ على العِبَادِ؛ وهو أن يَعبُدُوه ولا يُشرِكُوا به شَيئاً .. وأنتَ يا ابنَ آدَم إن أردتَ سَعادَةَ الدَّارَين، وكُنتَ حَرِيصاً عليها بحقٍّ، فاطلُبْهَا ـ حَصْراً ـ برضَا اللهِ، ورِضَا الوالِدَين .. وليسَ وراءَ ذَلك ـ مَهْمَا حَاوَلْتَ .. وشَرَّقتَ وغَرَّبْتَ ـ إلَّا الشَّقَاء في الدَّارَين؛ دَارُ الدُّنيَا، ودَارُ الآخِرَةِ.

* * * * *

## فَلاَ تَقُل لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا

266- [ فَلاَ تَقُل لَهُمَا أُفٍّ ]الإسراء:23. لا تَتقذَّرْهُمَا، ولا تَتَضَجَّرْ منهما إن صَدَرَت مِنْهُما أو مِن أحَدِهِمَا رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ، أو وجَدتَ مِنهما مَا يُؤذِيكَ، فيَحْمِلُك ذلك على القَولِ لهما " أُفٍّ "! قال محمد بن عبدِ السّلام في كِتابِه مُوجب دار السّلام:" قال الأصمعي: الأفُّ، وسَخُ الأذُن. والتُّفُّ، وسخُ الأظْفَار. يُقال ذلك عند استِقْذَارِ الشيء، ثم كَثُر حتى استعمَلُوه عند كلِّ ما يتأَذَّون به.

قال الزَّجّاج: معناه النَّتن، وهذا قول مجاهد، لأن معنى قوله [ فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ]؛ أي لا تتقذَّرهُما كما أنهما لم يتقذَّراك حين كنت تخرأ وتبُول، وفي رواية أخرَى عن مجاهد: إذا وجدت منهما رائحةً تُؤذيك، فلا تَقُل لهما:" أُفٍّ ".

[ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا ]الإسراء:23. أي إذا أخطآ وأذنبا، وإنما يكون النّهي ـ إن كان ولا بُدّ منه ـ بتمامِ اللطفِ والرّفقِ، واللين والحِكمَةِ .. وهو المراد من قولِه تعالى: [ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ].

* * * * *

## فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً

267- [ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ]الإسراء:25. هم كثيرُوا وسَريعُوا الأَوْبَةِ والتَّوبَةِ، والرُّجُوعِ إلى اللهِ .. وهَذا مِن مُقْتَضَاه تِكرارُ الذَّنبِ مِنهم ضَعْفاً من غيرِ اسْتِهانةٍ!

* * * * *

## وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا

268- [ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً ]الإسراء: 28. هذه الآيةُ الكريمةُ تُعالجُ قَضيَّةً اجتماعيَّةً بالِغَةَ الحسَاسِيَّة؛ إذْ مِن عادَةِ الفُقَراء والمسَاكِين أن يَقرَعُوا بابَ المحسنِين الميسُورِين الأغنيَاء .. لكن تُصادِفُ حَالَات وأوقَات لا يكونُ عندَ المحسِنِ مَالاً زائداً لينفقَهُ على السَّائلين .. فيُعرِض عنهم إعراضَ استِحيَاءٍ، وليسَ إعراضَ استِعْلاءٍ، وكِبر .. راجياً أن يرزقَه اللهُ ليعَاودَ الإنفَاقَ والعطَاء .. ومَا بَين الإعرَاضِ وفترَةِ انتظارِ الرِّزقِ .. يردُّ السائلين رَدَّاً جميلاً رَفِيقاً، رَقِيقاً، ويَعِدُهم خَيراً، إن رزَقَه اللهُ سيُعَاودُ وَصْلَهم، والانفاقَ عليهم مِن جَدِيد!

* * * * *

## وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ

269- [ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ]الإسراء:29. لَا إسرافَ؛ يُفضي إلى ضياعِ المالِ في غيرِ محلِّه، وحَقِّهِ .. ولَا تَقطِير؛ يُفْضِي إلى الإمساكِ عن الإنفاقِ في المواطِنِ التي يَتعيَّن، ويُستحْسَن فيها الإنفَاق .. وإنما وسَطٌ بينهُمَا؛ مِن غيرِ تقطيرٍ، ولا إسْرافٍ .. فمن عُرِفَ بالتقطيرِ، والشُّحِّ في المواطِنِ التي يَتعيَّن فيها الإنفَاقُ، أو عُرِفَ بالإسْرافِ، والتَّوسُّع في الإنفاقِ من غيرِ تَقدِيرٍ للعواقِبِ والمآلاتِ .. يَقعُ في الإثمِ والحرَجِ، ويَخسرُ عنه المالُ، ويَنقطعُ، ويكثُرُ لَائمُوه على ما كان مِنه، ومَا انتَهى إليه!

* * * * *

## وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ

270- [ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ ]؛ أي خَشيةَ الفَقْرِ، والجوع .. وخَشْيةَ النَّقصِ في مواردِ الأرضِ، وتحت زعمِ أن ناتجَ الأرضِ لم يعُدْ يكفِي لعدَدِ سكانِها .. وغيرها مِن المزاعِم الكاذِبةِ .. وقتل الأولادِ في زماننا خشيةَ الفَقرِ يأخذُ صوراً عِدَّة، لم يَقتصِرْ على صورةِ الوأدِ القديمةِ، والقَتْلِ المباشرِ العمْدِ؛ يَبتدئ باستعمالِ موانعِ وخوانِقِ الحملِ العديدَةِ، والمتنوِّعةِ؛ بحجةِ تَحسين المستوى المعيشِي للعائلةِ .. وينَتهي باللجوءِ إلى الفيروساتِ المعْديَةِ، والقاتلةِ كفيروس كورُونا، وغيره، وافتعالِ الحروبِ الشيطانيَّةِ الباطلةِ .. لتقليلِ عدد سكان الأرض، كما يزعمون، ويريدون .. وقد باتَ كَثيرٌ مِن السُّفهاءِ يملكُون قنابِلَ نوويةَ مُدمِّرة للأرضِ، ومَا عليها، [ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ]؛ الله تعالى هو الذي خلقَ الخَلْقَ، وهو الذي تكفَّلَ برزقِ مَن خَلَقَ .. ومَن تكفَّل الله تعالى برزقِه فلا خوفَ ولا ضَيعةَ عليه .. وأيما فَقْرٍ في أي بقعَةٍ مِن بقاعِ الأرضِ، مردُّه إلى طمَع، وجشَع، وأنانيَّةٍ، وظُلمِ الإنْسانِ .. أو لتقصيرٍ في السَّعي، والضَّربِ في الأرْضِ، والأخْذِ بالأسبابِ .. وليسَ إلى نقصٍ في مواردِ الأرضِ، [ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً ]الإسراء:31. ذنباً عظيماً، مِن كبائر الذنُوبِ والمعاصِي .. لا ينَبغِي أن تُقْدِمُوا عليه!

* * * * *

## وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالحَقِّ

271- [ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ ]؛ يَشملُ نَوعين من القَتْلِ: قَتْلُ المرْءِ لنَفْسِه بنفْسِه؛ بأيِّ وسِيلةٍ من الوسَائِل، ولأيِّ غَرَضٍ من الأَغْرَاض؛ وهو مَا يُسَمَّى بالانتِحَار .. وقَتْلُ المرْءِ لغَيرِه، [ إِلا بِالحَقِّ ]الإسراء:33. إلا ما كان على وجْهِ القِصَاصِ والقَوْدِ، ولحَدٍّ من حُدُودِ الله.

* * * * *

## وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً

272- [ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ]الإسراء:34. أَوْكَدُ العُهُودِ وفَاءً، وأوجَبُهَا بالوَفَاءِ، المبادِئُ التي تَعتَنِقُها، وتَعِيشُ مِن أجْلِها .. فَلَا تَصْدُقُهَا في مَواضِعٍ .. وتَخُونُها وتَكْذِبُها في مَواضِعٍ ابتغَاءَ عَرَضٍ مِن الدُّنْيَا .. وبحَسْبِ مَا تَتَدَلَّى لك المصالحُ الشَّخْصِيَّة .. الوَفَاءُ للمَبَادِئِ السَّامِيَةِ، والقِيَمِ العُلْيَا، شَدِيدُ الكُلْفَةِ والتَّبِعَاتِ .. قَلِيْلٌ مَن يَصْبِرُ عَلَيهَا!

273- [ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ ]؛ أمْرٌ يُفيدُ الوجُوبَ؛ الوفاءُ بالعهودِ والعقُودِ؛ سواءٌ كانت هذه العهُود فِيما بينَ العَبدِ وربِّه، أو بينَ المسلمين بعضُهم معَ بعضٍ، أو بينَ المسلمين وغيرِ المسلمين، كلها يجبُ الوفاءُ بها، وعدَم نقضِها بغَدْرٍ أو خِيانَةٍ، أو إخْلافٍ، [ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ]الإسراء:34. سيُسألُ عنه أصحابُه يومَ القِيامة؛ مَن وفَّى به، ومَن غَدَر .. وأن المغدُورَ به سيَسْألُ الغادِرَ عن غَدْرِه بما قد عاهَدَ عليه .. وفي الحديث، قد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" أربعٌ مَن كنَّ فيه كان منافقاً خالِصَاً، ومن كانت فيه خصلةٌ منهنَّ كانت فيه خصلة من النفاقِ حتى يدَعَها، منها: وإذا عاهَدَ غدَرَ " البخاري. وقال ﷺ :" إن الغادرَ يُنصبُ له لواءٌ يومَ القيامةِ فيُقال: هذه غدرَةُ فُلانِ بن فلان "متفق عليه. وقال ﷺ:" لكل غادرٍ لواءٌ يومَ القيامة يُعرَفُ به "متفق عليه . وقال ﷺ :" لكل غادرٍ لواءٌ عند اسْتِهِ يومَ القيامَةِ " مسلم . وفي رواية:" لكل غادرٍ لواء يوم القيامة يُرفَعُ له بقدْرِ غدْرِه "مسلم. وقال ﷺ:" مَن قتلَ معاهداً لم يُرِحْ رائحةَ الجنَّةِ، وإن ريحها توجَدُ مِن مسيرة أربعينَ عامَاً " البخاري. وقال ﷺ:" مَن أمّنَ رجلاً على دَمِه فقتلَه فأنا بريءٌ من القاتِلِ، وإن كان المقتولُ كافراً ". وفي رواية:" مَن أمَّن رجلاً على دَمِه فقتله فإنه يحملُ لواءَ غدرٍ

يومَ القيامَةِ ". وقال ﷺ:" من قتلَ نفْساً معاهدةً بغيرِ حِلِّها، حرَّمَ اللهُ عليه الجنَّةَ أن يشمَّ ريحَهَا ". وغيرُها من الأحاديث التي تُغلِّظ حرمةَ العُهودِ، وتشدِّدُ الوعيدَ على الغادِرِ وغدَرَاتِه.

274- [ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ]الإسراء:34. الوفاءُ بالعَهْدِ واجبٌ مَا لَمْ يكنْ إثماً، وتَواطؤاً على إثمٍ ومَعصيَةٍ .. فحينئذٍ لَا وفَاءَ في معصيةِ اللهِ، إنما الوفاءُ في الطّاعَةِ، وفي المعرُوفِ، وفِيمَا ليسَ فيه مَعصية لله ولرسُولِه صلى الله عليه وسلم .. الوفَاءُ يكونُ في التَّعاونِ على البِرِّ والتَّقْوَى وليسَ في التَّعاونِ على الإثمِ والعُدْوَانِ .. قال تعالى:[ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ]المائدة:2. وفي الحديث:" ما كانَ مِن شَرْطٍ ليسَ في كِتابِ اللَّهِ، فَهو باطِلٌ وإنْ كانَ مِئَةَ شَرْطٍ قَضاءُ اللَّهِ أحَقُّ وشَرْطُ اللَّهِ أوْثَقُ "البخاري.

* * * * *

## إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً

275- [ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ]الإسراء:36. مَسْؤولٌ عَن الصَّادِرِ عَنْهَا، وعَنِ الوَارِدِ إليْهَا.

276- [ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ]؛ لا تَتَّبِعْ .. ولَا تنقَادْ .. ولَا تؤيِّد .. ولا تَنْصُرْ شَيئاً لا تَعرفُ خيرَه مِن شَرِّه، وأينَ هو مِن الحقِّ .. وقبلَ أنْ تَبيَّنَه، وتَثبَّتَ منه؛ هل أنتَ في اتباعِك، وانقيَادِك، وتأييدِك لهذا الشيءِ موافِقٌ للحقِّ المنَزَّلِ أم مخالِفٌ .. السَّفيهُ، والرخِيصُ هو الذي يُصَفِّقُ مع المصفِّقِين، وينعقُ معَ النَّاعِقين، ويتَّبعُ ويؤيدُ، وينصرُ، ويحدِّدُ موقفَهُ مِن الأشياءِ مِن غيرِ تَثبُّتٍ ولا بينَةٍ، ولا مِيزَانٍ يرجعُ إليه .. فيَا أيُّها

الإنسانُ لا تحسبُ أنَّك خُلِقْت عَبَثاً، مِن غيرِ مُسَاءلةٍ، ولا محَاسَبةٍ لمَا يكونُ مِنك مِن قَوْلٍ، أو عمَلٍ، أو اعتقَادٍ، [ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ ]؛ وهي مواقعُ التلَقّي التي تتلَقَّى الأشياءَ الوارِدَة إليها؛ فإمَّا أن تكونَ عَن طَريقِ السمْعِ، أو البَصرِ، أو الفُؤادِ .. أو عَن طَريقِ مجموعِها .. ولَا يمكن أن يَتَسَرَّبَ شيءٌ للإنسانِ إلَا مِن خلالِ مواقعِ التلَقّي هذه، [ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ]الإسراء:36. لذا فهو مسؤولٌ عنها؛ هَل أحسنَ استخدَامَها أمْ أسَاءَ .. هل استخدَمَها في متابَعةِ الحقّ ونصرَته .. أم استخدَمها في مُتابعَةِ البَاطِل ونصْرَته .. هَل تَركَها مفتوحَةً مِن غيرِ مناعَةٍ، ولا حِرَاسَةٍ، ولَا إغلاقٍ، تَتلقَّى أوسَاخَ وزبالَةَ الآخَرين .. وهل أطلَقَ لها العنَانَ تجولُ مِن غيرِ لِجَامٍ، ولَا تقْوَى ولا رَقابةٍ في كلِّ وَادٍ وسَاحٍ؟! والعاقلُ مَن يحسنُ مرَاقبةَ نفْسِه، ومحاسَبتها .. ويعدُّ جوَاباً عن جميع مواقفِه التي عارَضَ فِيها أو أيَّدَ ووافَقَ، وتابَعَ .. قبلَ أن يؤولَ أمرُهُ إلى اللهِ .. ويَقِفَ بينَ يَدَيْه سُبحَانَه للحِسَاب.

* * * * *

## وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ

277- [ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ]الإسراء:44. مَشْهَدٌ مهيبٌ وجَليلٌ .. تَقشعرُّ له الأبدَانُ .. وتخشَعُ له القُلُوبُ .. الكونُ كلُّه وما فِيه مِن كائناتٍ، ومخلوقاتٍ في انسِجَامٍ تامٍّ وفَرِيد .. تَشْتَرِكُ جميعُها في تَوحيدِ الخالِقِ سبحانه وتعالى .. والتَّسْبيح بحَمْدِه .. جميعُها يصْدَحُ بهذا الهتَافِ الخَالِدِ العَظِيم " سُبحَانَ اللهِ وبحمدِه "، كما في الحديث:" سُبحان اللهِ وبحمدِه؛ فإنَّها صَلاةُ كُلِّ شيءٍ "، لا يَشذُّ عن هذا الموكِبِ الفَريدِ المَهِيب،

وهذا التَّسبِيح العَظيمِ إلا الكافرُ الجحُود، فإنَّه يمشي وَحِيداً في الاتجاهِ المُعَاكِس لجميع المخلوقاتِ والكائنَاتِ .. فيرتَطِمُ بها .. ويُؤذيها .. فَتَسْخَطُه وتلْعَنُه!

أعجبُ للمؤمنِ كيفَ يَشكُو الغُرْبَةَ .. والكَونُ كُله وما فِيه من مخلوقاتٍ في السَّماواتِ، والأرضِ، وفي البَرِّ والبَحْرِ .. جَميعُها تُشارِكُه التَّوحِيدَ، والتَّسبيحَ ...؟!

278- [ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ]الإسراء:44. وفي الحديث:" سُبحَانَ اللهِ وبحَمْدِه، فإنَّها صَلاةُ كُلِّ شيءٍ ". الطيُورُ، والدَّوابُّ، والحيوَاناتُ، والأسْماكُ، والحِيتَانُ في البحارِ .. والشَّجرُ .. والنَّباتُ .. والجبَالُ .. وغيرُها كلُّها تُسبِّحُ بحمدِ رَبِّها، وتقولُ في صَلاتِها:" سُبحَانَ اللهِ وبحَمْدِه " .. وإني لأعجبُ من علماءِ الطبيعَةِ عندما يحلّلون أصواتَ الطيورِ، والحيوَاناتِ، وحركاتها .. يَضعونَ افتراضَات، واحتمالات عِدَّة .. يَستَثنُون مِنها أنَّها بتلك الأصواتِ والحركات التي لا نفقَهُها قَد تكونُ تسبِّحُ بحمدِ رَبِّها .. ونحنُ إذْ لا نجزِمُ بأنَّ تلكَ الأصواتِ تَعني بالضَّرورَة التسبيحَ بحمدِ اللهِ .. لكنَّنا لا نَستَثْنِي احْتمَالَ التَّسْبيح مِن جملةِ الاحتمَالاتِ .. كما أنَّنا لا نَستَثني مِن الاحتِمَالاتِ احتمالَ أنَّها بتلك الأصْواتِ تَدْعُو وتَستَغْفِرُ للعلمَاءِ الذين يُعلِّمونَ الناسَ الإيمانَ والخيرَ .. كما جاءَ ذلك في الحدِيثِ الصَّحِيح.

279- [ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ]الإسراء:44. لَا يُوجَدُ في عَالَمِ الدَّوَابِ والحيواناتِ كافِرٌ، ولكن يُوجَدُ ظَالِمٌ ومَظلُومٌ، واللهُ يحكمُ بينَهم يومَ القِيَامَةِ.

* * * * *

## إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً

280- [ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ]الإسراء:44. لَا يَعْجِلُ اللهُ على خَلْقِهِ بالعقُوبَةِ الذين يخالِفُون أمرَهُ، ويكفُرونَ به، ولَا يَشْكُرُونَه، كَمَا يَعْجِلُ الخلْقُ بَعضُهم على بَعضٍ .. بَل يَصْبرُ، ويُمهِلُ، ويُمْلِي للظَّالِمِ حتَّى يَظنَّ أنَّه في أمَنَة مِن اللهِ .. ويمنَحُ الفُرَصَ العَدِيدَة للمذْنبين مِن عِبادِه ليتُوبَ على مَن تَابَ، ويَغفرَ لمن يَستَغْفِرَ مِنهم .. فإذَا شَاءَ أن يأخذَ على الذَّنْبِ ويُعاقِبَ عليه، فأَخْذُه أَلِيمٌ، يَأخُذُ أخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ .. كما في الحَدِيث:" إنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظّالِمِ، حتَّى إذا أخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ "البخاري.

* * * * *

## وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً

281- [ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً ]الإسراء:46. هذا الذي يُغيظُهم مِن القُرآنِ الكريم؛ لم يَذْكُرْ آلهتَهُم التي يَعبدُونَها مِن دُونِ اللهِ بخيرٍ .. ولم يقرْ لآلهتِهم أن يتأَلَّهوا على العِبادِ .. ولا أن يمارِسُوا عليهم الربوبيَّةَ في الحُكمِ والتَّشرِيعِ .. كما لَمْ يقرْ للتَّابِعين ما هم فيه مِن الشِّركِ والباطِلِ، وعبوديَّةِ المخلُوقِ .. وإنما دعاهُم إلى عبادَةِ اللهِ تعالى وحدَه، لا شَرِيكَ له .. إلى الانعتَاقِ والتَّحررِ من عبوديةِ العبِيدِ إلى عبادَةِ رَبِّ العَبيدِ .. فقابَلُوا هذه الدَّعوةِ الحَقِّ بالنُّفورِ والإعْرَاضِ .. والتَّحْريضِ .. والأذَى .. وهم بذلِك لا يَضرُّون اللهَ شَيئاً، لَا يَضرُّونَ إلَّا أنْفُسَهم!

* * * * *

## وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

282- [ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ]؛ وهم يَدْعُون النَّاسَ إلى الإسلامِ .. وفي تَعامُلِهم مع بعضِهم البَعضِ، وتَعَامُلِهم معَ غيرِ المسلمين، [ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ]الإسراء:53. الأَحْسَنُ لَفْظَاً، ومَعْنَاً، وأَثَرَاً .. وهَذا يَسْتَدْعِي مِن المرْءِ أن يَتوقَّفَ .. وأن يَتحرَّى ألفَاظَهُ، ويختَارَ مِنها أحسَنَ مَا عِندَه مِن قَوْلٍ، قَبلَ أن يَقُول.

283- [ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ]؛ يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أصدَقُ، وأرفَقُ، وأعدَلُ، وأصوَبُ .. القولُ الذي يترفَّعُ عن الفُحْشِ، والبَذَاءةِ، والظلمِ، والعُدوانِ .. وعن التعصُّبِ، والغُلُو، والجفَاءِ .. وسُوءِ الظَّنِّ .. ويكونُ هذا القول بالتي هي أحسَنُ عندما تخاطبُون غيركَم مِن غيرِ المسلمين، وأنتم تجادِلُونهم، وتَدعُونهم إلى الإسلامِ .. وفِيما بينكُم عندما تخاطِبُون وتُعامِلُون بعضَكُم بعضَاً، [ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ]؛ يُفَرِّقُ بين قُلوبِهم، ويُباعِدُ فيما بينَهم، وفِيما يجبُ أن يكونَ قَريباً، ويُوغِرُ فِيما بينهم العدَاوَةَ والبغضَاءَ .. مِن خِلالِ حملِهم على البغي والعُدوانِ في القَوْلِ .. فكم مِن دَمٍ حرامٍ سُفِك .. ورَحِمٍ قُطع بسَبَبِ كلماتٍ قِيلَت، [ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً ]الإسراء:53. ظاهِرُ العدَاوةِ للإنسَانِ .. لا تخفَى عَدَاوتُه إلَّا على مَن جمعَ بينَ عمَى البصَرِ والبَصِيرةِ .. فاتخذُوه عَدُوَّاً .. ولا تُصغُوا إليه فِيما يُوحِي إليكُمْ مِن الشَّرِّ، والباطِلِ.

* * * * *

## وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً

284- [ وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ ]؛ المعجزات القاهِرات الباهِرات، والبلاءات التي تَخْضَعُ لها الأعناق، [ إِلاَّ تَخْوِيفاً ]الإسراء:59. للناسِ؛ لعَلَّهم يُؤمنون، ويَتَّقون، ويَتُوبُون .. ويَتَوقَّفُون عَن غَيِّهم!

285- [ وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ ]؛ والتي مِنْهَا الزَّلَازِلُ، والبرَاكِينُ، والرِّياحُ، والمطَرُ، والثَّلْجُ، والكُسُوفُ، والخُسُوفُ، وغَيرُها [ إِلاَّ تَخْوِيفاً ]الإسراء:59. للنَّاسِ؛ عسى أن يَتُوبُوا، ويَستَغْفِرُوا، ويَأْوبُوا إلى رَبِّهم .. كَثيرٌ مِن النّاسِ مَن لا تَعظُهُ كلماتُ اللهِ، تَعِظُه وتَردَعُه الآياتُ الكونيَّةُ .. وفي الأثَرِ أنَّ الكوفَةَ قَد رَجَفَت في عهدِ ابنِ مَسعُود رضي الله عنه، فقال:" يا أيُّها النّاسُ إنَّ رَبَّكُم يَسْتَعْتِبُكُم فَأَعْتِبُوه ". أي يُريدُ مِنكم ـ مِن خلالِ هذه الآية ـ أن تَسْأَلُوه أن يَرفعَ عتبَه عَنْكُم؛ بتوبتِكُم، واستغفَارِكم، وأَوْبتِكُم، وإقْلاعِكُم عن الذُّنوبِ والمعَاصِي.

* * * * *

## وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً

286- [ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً ]الإسراء:67. كفُوراً لأنعُمِ اللهِ؛ وذلك عندما يردُّ الفضلَ فِيما هو فِيه مِن نِعَمٍ وخَيرٍ لنَفسِه، مِن دُونِ اللهِ!

* * * * *

## وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ

287- [ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ]الإسراء:70. كُلُّ بَنِي آدَمَ بغضِّ النَّظَرِ عن اللونِ، أو اللغةِ، أو الجِنْسِ، أو الغِنَى أو الفَقْرِ .. ومِن دونِ تمييزٍ بينَ أحَدٍ وأَحَد .. قد كَرَّمَهُم اللهُ، وفضَّلَهُم، وشرَّفَهم، بالعقْلِ، والتَّكْليفِ، والاخْتِيارِ، والاسْتِخلافِ في الأرضِ .. وبإرسَالِ الرُّسُلِ، وإنزالِ الكُتُبِ .. وحُسْنِ الصُّورةِ، والمنطِقِ .. وتَسخِيرِ سَائِرِ المخلُوقاتِ لهم .. هذا تكريمٌ عامٌّ يَشمَلُ جميعَ بَنِي آدَم .. يَشتركُ فيه الجميعُ، لا فَرْقَ فيهِ بين أَسْودَ، وأبيَضَ، ولا بين عربيٍّ، ولا أعْجَمِي .. وهنَاك تكريمٌ خاصٌّ أعْلَى وأشْرفُ وأفضَلُ ـ لا أثرَ فيه للّونِ، أو اللغةِ، أو العِرْقِ، أو الجِنْسِ، أو المالِ ـ يُكرِمُ اللهُ به عبادَهُ المؤمنين؛ يُكرِمُهم بطاعتِه، وعِبادَتِه، وتَوحِيده، والقُرْب منه، [ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ]الحجرات:13. وفي الحديث:" يا أيُّها النَّاسُ ألا إنَّ ربَّكُم واحِدٌ، وإنَّ أبَاكُم واحِدٌ، أَلا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ على أعجَمِيٍّ، ولا لعَجَمِيٍّ على عربِيٍّ، ولا لِأحْمرَ على أسْودَ، ولا لِأسودَ على أحمرَ إلاَّ بالتَّقوَى، النَّاسُ مِن آدَمُ، وآدَمُ مِن تُرَابٍ ".

* * * * *

## وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

288- [ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ]الإسراء:73. كانوا ولا يزالون يبحثون عمَّن يَنتمي إلى الإسلامِ ـ ولو مجرّد إنتماء ـ فمن وجدُوا فيه زَيغاً عن الحقّ .. وجسَارةً على الطعنِ بالدِّينِ، والتشكيكِ بأحكامِه وثوابتِه، باسمِ الدِّينِ .. قرَّبُوه .. وأغدَقُوا عليه .. وأثنوا عليه وعلى طريقتِه ومنهجِه خيراً .. واتخذُوه صديقاً وحبيباً .. لأن معاولَ الهدْمِ عندما تكونُ مِن الداخلِ تكونُ أشدَّ وطأ على البناءِ وعلى الجماعةِ، وأدْعَى للتشكيكِ، والتنْفيرِ مِن معَاولِ الهدْمِ الخارجيَّةِ .. على

اعتبارِ أنَّ الأوَّلَ من الجماعةِ، ومِن داخلِ الصَّفِّ، وينتمي للإسلامِ، ويَعرِفُ عنه أكثرَ من أعدائِه الأصليين من خارجِه .. ولو تأمَّلتَ جميعَ الفِرقِ والجماعاتِ الضَّالَّةِ؛ التي تقومُ تعاليمُها على البدَعِ، والإحْدَاثِ في الدِّينِ، وعلى الشَّرعِ المبدَّلِ .. تجدُها مخدومَةً، ومدعومَةً، ومقرَّبَةً مِن قِبلَ الكافرين والمشركين على اختلافِ مِلَلِهم!

* * * * *

## وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً

289- [ وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ]الإسراء:74.

مُحَاولاتُ أهلِ البَاطِلِ مُستمرَّةٌ؛ لَا تعرفُ الكلَلَ، ولَا الملَلَ، ولَا التَّوقفَ .. تارَةً يأتُون المؤمنَ عن اليمينِ، وتارةً يأتونه عن الشمالِ، يَستخدمُون التَّرغيبَ تارةً، والتَّرهيبَ تارةً أُخْرَى؛ لكي يميلَ المؤمنُ إليهم، وإلى باطلِهم، ولو شَيئاً يَسيراً .. فهم إن لم تُطاوعْهُم، وتمِلْ إليهم مَيلاً كثيراً، يَرضَون منك أن تميلَ إليهم شيئاً قليلاً؛ ليتقَوَّوا بهذا القليلِ على باطلِهم، ويقُولوا لولَا أنَّنا على حقٍّ لما تابَعَنا ووافقَنا المؤمنُ على ما نحنُ فِيه .. ثم الذي يوافِقُهم ويُتابعُهم في القَليلِ، مع الزَّمنِ والاسترخَاءِ قد يَضعفُ ويتَابعُهم في الكثيرِ؛ فيَهلَك، ويُهلِك، ويتَنزَّل العذَابُ .. لِذا فالقضيَّةُ من هذا الوجهِ هامَّةٌ وخطيرةٌ تستدعي سؤالَ اللهِ الثَّباتَ على الحقِّ الذي يحبُّه ويَرضَاه، واستمدَادَ العَونِ منه سُبحانه على الثَّباتِ، فلولا تَثبيتُ الله لعبدِه المؤمن؛ لضَعُفَ، ولَمَا قَوي على الثَّباتِ، ومواجهَةِ التَّحدياتِ، والإغراءات .. وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يَدعُو ويقُول ـ ويُعلِّمُنَا أن نقُول ـ:" يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلبِي على دِينِك ".

* * * * *

## قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ

290- [ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ]؛ قُلْ للناسِ؛ كُل النَّاس .. كُلٌّ يَعمَلُ من ناحيتِه على طريقَتِه، وبما يَراه مناسباً له .. وبما يَنتهي إليه فَهمه، وعِلمُه .. وبما هو أَهْلٌ له .. وعلى قَدْرِ هِمَّتِه .. ولا يَلزم من ذلك أن يَكونَ الكلُّ على حَقٍّ، وخَيرٍ، وصَوابٍ، بل مِنهم السَّعيدُ الموفَّقُ، ومِنهم الشَّقِي المخذُول الذي ضَلَّ سواءَ السَّبيل .. والسَّعيدُ الموفَّقُ هو مَن تابعَ الأنبياءَ والرسلَ، ونَهَجَ نَهْجَهم، واتَّبعَ سبيلَهم، والشَّقيُّ الضالُّ مَن عارَضَ، وخالفَ، ونأَى بجانبِه بَعيداً عن الحقِّ المنزَّل، وعن نَهجِ الأنبياءِ والرسُلِ، [ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً ]الإسراء:84. والحكمُ على الناسِ يوم القيامَةِ؛ مَن مِنهم على هُدَى، ومَن مِنهم على ضَلالٍ، لله تعالى وحده، فهو أعلمُ بمن ضَلَّ، وبمن هُدِي إلى الصِّراطِ المستقِيم .. وهو أعلمُ بمن تابعَ الأنبياءَ والرسُلَ بما جاؤوا به من عندِ ربِّهم، وبمن عارَض وخَالَف .. لا يخفَى عليه شيءٌ مِن أُمورِ عِبَادِه.

* * * * *

## وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً

291- [ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً ]الإسراء: 100. صَدقَ اللهُ العظيم؛ فهَا هُم قادَةُ الكفرِ والاستكبارِ في العالَمِ يُفكِّرون، ويخطِّطُون كيفَ يُنقِصُون عدَدَ سكان الأرضِ؛ بوسَائلَ غير أَخْلاقيّة .. بزَعْمِ أن منتوجَ الأرضِ لَا يكفي لمجموعِ سُكَّانِ الأرضِ .. وأنَّ سكَّانَ الأرضِ أكثر مما تُنتِجُه الأرضُ .. لتبقَى فئةٌ قليلةٌ من البشرِ تعيشُ قِمَّةَ التَّرفِ والرَّفاهيَّةِ والإسْرافِ، لا تتأَثَّرُ طريقَةُ حياتِهم بمزاحمةِ النَّاسِ لهم .. يَفعلُون ذلك وهُم لا يملِكُون خزائنَ رحمةِ اللهِ .. ولَا سُلطان لهم على الأرضِ ومخزوناتِها، وإنتاجِها .. فكيفَ لو كانَت خزائنُ الرزقِ

وأسبابُه بأيدِيهم .. يَقْدرُون على التَّحكُّمِ بها .. لشَحُّوا في الإنفاقِ، وقتلوا النَّاس فقْراً وجُوعاً؟!

* * * * *

## وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً

292- [ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ ]؛ يا مُحَمَّد، [ إِلاَّ مُبَشِّراً ]؛ لِمَن آمَنَ، وعَمِلَ صَالحاً، بالجَنَّةِ ونَعِيمِهَا، [ وَنَذِيراً ]الإسراء:105. لِمَن كَفَرَ، وأعْرَضَ، بنَارِ جَهنَّم وعَذَابَاتِها.

* * * * *

## وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ

293- [ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ]الإسراء:106. نزلَ القرآنُ الكريم على قلبِ النبيِّ محمد صلى الله عليه وسلم مفَرَّقاً على مدَارِ عِشرين سنَة مِن عمرِ النبوَّةِ، سُورة بعد سورة، وآية بعدَ آية؛ بحسبِ الحوادِث، والمصالح، والمشاكلِ التي كانت تعترضُ المسلمين، وتواجُههم .. فإنه أدْعَى للمتلقِّي على التدَبُّر، والفَهْمِ، والاستيعَابِ، والعمَل بالتَّنزيلِ .. وهو الغايةُ الأسَاس مِن التنزيلِ، ومِن تلاوَته، وتَرتيلِه .. والذي يَنشغلُ بحفظِ كتَابِ الله ـ وهو جهدٌ عظيمٌ ومبَارَك ـ ينبغي أن يعطِي لنفْسِه الفرصَةَ الكافِيَة لفهْمِ، وتدبُّرِ ما قد حَفِظَ مِن كتَابِ اللهِ .. فالقُرآنُ لم يَنزِلْ فقَط للحفْظِ، أو لمجرَّدِ التلاوَةِ، وإنما أيضَاً للفَهْمِ، والتَّدبُّر، والعمَلِ بما فيه .. كانَ مِن الصحابَةِ مَن يحفَظُ العشرَ آياتٍ فلا يجاوزونَها إلى عَشرٍ أُخْرَى حتى يعْلَمُوا مَا فِيهن مِن العِلمِ، والعمَلِ .. فيجمعُون بين التَّرتيلِ، والعِلمِ، والعمَلِ .. قال ابنُ جرير الطَّبري في تَفسيرِه:" وقوله:[

لِتَقْرَأَهُ عَلى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ ]؛ يقول: لتقرأَهُ على النَّاسِ على تُؤَدَةٍ، فترتِّله، وتبيِّنه، ولا تَعجَل في تلاوَتِه، فلا يُفْهَم عَنكَ ".

* * * * *

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ..

294- [ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ]؛ أعْظَمُ نِعمَةٍ يمنُّ اللهُ تَعَالى بها على الخلْقِ أجمَعِين .. تَسْتَوجِبُ الشُّكرَ والحمدَ .. أنَّ اللهَ تعالى لم يَتَّخِذْ وَلَداً، ولم يكُنْ له شَريكٌ في المُلْكِ، يُقاسمهُمَا المُلْكَ، والربوبيَّةَ، والألوهيَّةَ .. فأسماؤه الحُسْنَى، وصِفاتُه العُلْيا تَأبَى أن يكونَ له شَريكٌ يُشارِكُه في المُلْكِ، ويُقاسِمُهُ عِبادَةَ العِبَاد .. فَريقٌ يَعبُدُ هَذا الإله، وفريقٌ آخَر يَعبدُ ذاكَ الإله الآخَر .. كما أنَّ انتظامَ الكَونِ، والحياةِ المستقرَّةِ الآمِنَةِ على هذا الكونِ تَأبَى هذه الشَّراكَةَ؛ إذْ لو كَانَ له شَريكٌ، لنازَعَه المُلْكَ، ونازَعَهُ العِبادَ، وعِبادَةَ العِبَادِ .. واضطَرَبَ الكونُ .. ولعَاشَ العِبَادُ حياتَهم مُنْقَسِمين في حيرةٍ مِن أمرِهِم؛ مَن يَعبدُون، ولمن يتوجَّهونَ بالعِبادَةِ .. ثم يومَ القِيامَةِ لأيِّ إلهٍ سيتبعون، وتكُونُ الكلمَةُ، وتكونُ الغَلَبَةُ .. ومَن سَتَكُونُ له الجنَّةُ، وكم سيكُونُ له مِنها، ومَن سَتكُونُ له النَّارُ، وكَم سيكُونُ له مِنها .. فيَشْتَدُّ التنافسُ والصِّرَاعُ .. فشَرُّ الشِّرْكِ لا تَقْتَصِرُ عَوَاقِبُه على الحيَاةِ الدُّنيَا، بَل ستمتَدُّ إلى ما بَعد الحياةِ الدُّنيَا؛ إلى يَومِ البَعثِ، والنُّشُورِ، والحِسَابِ .. أعَرفْتَ الآنَ يا عَبدَ اللهِ كَم هي عَظِيمةٌ نِعْمَةُ التَّوحِيدِ .. وكَم تَسْتَوجِبُ مِنْكَ مِن الحمْدِ والشُّكْرِ؟!

[ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ]؛ ولمْ يَكُنْ ضَعيفاً؛ يحتاجُ إلى نَصِيرٍ ومُعِينٍ يُزيلُ به ضَعْفَه .. ويُتِمُّ به قوَّتَه وعِزَّتَه .. لَا .. حَاشَاه .. فالضَّعفُ لَا يَتطرَّقُ إليه بحالٍ مِنَ الأحْوَالِ، وكذلك الحَاجَةُ؛ فالجميعُ يحتَاجُ إليه سُبحَانه، يَستَمِدُّ منه القُوَّةَ والحياةَ، والعَوْنَ،

وهو الغَنيُّ عن الجميع .. [ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً ]الإسراء:111. وعَظِّمْه تَعْظِيماً .. وبَالِغ في تَعظِيمِه وتمجيدِه؛ فهو أهْلٌ لكُلِّ تَعظِيمٍ وتمجيدٍ .. وقُلْ: اللهُ أكْبَرُ كَبِيراً.

* * * * *

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا

295- [ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ]الكهف:1. تَصوَّرُوا الأرضَ مِن دُونِ هذا الكِتابِ العَظِيمِ؛ القُرآنِ الكَرِيمِ، كيفَ كانَت ستكُون .. ظُلمٌ وظَلامٌ لا أثَرَ للنورِ فِيه .. تِيهٌ وضَيَاعٌ .. جَهْلٌ، وضَلالٌ، وشِركٌ، وكُفْرٌ، يَطُمُّ ويَعَمُّ .. فالحمدُ للهِ، ثمَّ الحمدُ لله أن أنزَلَ هذا القُرآن، حَبلُ اللهِ المَمْدُودِ مِن السَّماءِ إلى الأرْضِ، الذي لَا يأتِيه البَاطِلُ مِن بينِ يَدَيه ولا مِن خَلْفِه، ولم يجعَل له عِوَجَاً عن الحقِّ، والصِّراطِ المستقِيم .. وأن خَصَّنَا وأكرَمَنا بهذا القُرآن .. وأن أحيَا الأرضَ بعدَ موتِها بهذَا القُرآن .. وأن أنارَ لنا الدَّرْبَ والطَّريقَ بهذَا القُرآن .. وأن أخْرَجَنا مِن ظُلماتِ الكُفْرِ، والشِّركِ، والجَهلِ، والضَّلالِ بهذا القُرآن .. وأن حَفِظَنا مِن كُلِّ شَرٍّ، وذِي شَرٍّ بهذا القُرآن .. الحمدُ للهِ حمْدَاً كَثيراً طيباً مُباركاً فِيه لعَظِيم نعمَةِ القُرآنِ الكَرِيم.

* * * * *

كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً

296- [ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً ]الكهف:5. هي كلمَةُ الكُفْرِ والشِّرْكِ.

297- [ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً ]الكهف:5. يَدخلُ في هَذا الوَعِيدِ الشَّدِيدِ كُلُّ مَن يُحلِّلُ ويُحرِّم، وكلَّ مَن يَقُولُ على اللهِ تعالى قَولاً مِن تِلقاءِ نَفْسِه، ومِن غَيرِ دَليلٍ مِن الكِتابِ والسنَّةِ، ثمَّ يَنسِبُ كلامَه كذباً وزُوراً إلى اللهِ تعالى، وإلى رسُولِه صلى الله عليه وسلم!

* * * * *

## لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً

298- [ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ]؛ كلُّ مَا على الأرضِ مِن جِبالٍ وسهُولٍ، وبحارٍ وأنهارٍ، ودَوَابٍّ وأنعامٍ، وثمارٍ، وأشجارٍ، ونباتاتٍ، وأموالٍ مصادِرُها شتَّى، وغيرها .. فهي زِينَةٌ .. لها جاذبيَّتُها وبريقُها الأخَّاذِ في نفسِ الإنسانِ .. لماذا هي زِينَةٌ بهذه الجاذبيَّةِ، والفِتْنَةِ، وهذَا الجمَال؟ [ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ]الكهف:7. فهي موطنُ اختبَارٍ وتمحيصٍ .. وجميعُ موادِّ الاختبارِ متوفِّرةٌ، ومَعروضَةٌ .. ليُنْظَر كيفَ سيتَصَرَّفُ الإنسانُ بهذه الزِّينَةِ؛ هل سَيتَصرّفُ بِها، ويتعَامَلُ معَهَا وفْقَ مَا أمرَ اللهُ به عن طريقِ أنبيائِه ورسُلِه .. أم أنَّه سيتَصرَّفُ بِها، ويتَعَامَلُ معَهَا وفْقَ هوَاه، ونزوَاتِه، ومَا تُملي عليه شياطِينُ الأنْسِ والجِنّ .. بَعيداً عَن هَدي وتعاليمِ السَّمَاء!

* * * * *

## إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ

299- [ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ]الكهف:13. فيه أنَّ الشَّبابَ أكثَرُ حمَاسَةً، وتَوَقُّدَاً، وإقْدَامَاً مِن الشّيوخِ في نِصْرةِ دِينِ اللهِ .. ومواجَهَةِ بَاطِلِ وظُلمِ الطُّغَاةِ!

* * * * *

## وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ

300- [ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ]؛ ثبتناهم، وجرَّأنَاهم، وقوّينا قلوبَهم على قولِ الحَقّ، وأزَلْنا منها الخوف، والوجَل، والتَّردد .. فالموقفُ شديدٌ، وصعب، غير مألوف للعيان، ولا للمسامع .. لا يَقْدِرُ عليه ضُعفاءُ الإيمانِ، ضُعفَاءُ القَلبِ، [ إِذْ قَامُوا ] ؛ تفيد حركةً جماعيّة جريئةً، ومنظَّمَةً .. تفيد قياماً بعد كُمُونٍ، وسُكُونٍ، وتَدبيرٍ، وتخطيطٍ للزمانِ

والمكَانِ المنَاسِبَين، [ فَقَالُوا ]؛ قولَةَ رجلٍ واحد، للملِك الطاغية الذي زعم لنفسه الربوبية، وأنه إله من دون الله .. قالوا له أمامه وفي وجهه، وعلى ملأ من الناس، وفي حفل مشهود، ومليء بالحاشية والعبيد المقربين، تُمارَسُ فيه طقوسُ الطاعةِ والشّركِ، وتعبيد العبيد للطاغوت .. غير آبهين بترهيب، ولا بقتْلٍ أو صَلْبٍ: [ رَبُّنَا ]؛ ليس أنت أيُّها الطاغوت المَلِك، فما أنت إلا عبد مملوك ومخلوق، ينتابك ما ينتاب العبيد من نَقْصٍ، وضَعْفٍ، وعَجزٍ، وحاجة، لا تقدر أن تخلق شيئاً .. ولا تلك الأصنام التي تدعونا لعبادتها .. بل ربنا هو الله؛ الذي خلقنا، وربَّانا، ورزقنا، وأنشأنا وفق مشيئته وتقديره [ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ] ؛ الذي خلق السماوات والأرض وما فيها من مخلوقات، ثم هَدَى [ لَن نَّدْعُوَ ]؛ لن نَّعْبُدَ [ مِن دُونِهِ ] ؛ من دون الله، [ إِلَهاً ]؛ معبوداً آخر، ولو فعلنا؛ فعبدنا غير الله، وأقررنا له بالربوبية والألوهية، مع ضعفه، وعجزه عن أن يكون خالقاً [ لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً ] الكهف:14. قولاً في غاية الشَّطَطِ، والظلمِ، والكُفرِ، والبُعدِ عن الحقّ والصَّوابِ .. ونعوذُ بالله من ذلك .. هذا الموقف الجريء؛ المليء بالإيمان، واليقين، والثبات، والتوكّل .. هذا الصدع بالحق في وجه الطاغوت الظالم ـ وهو أفضَلُ الجهَادِ ـ هو الذي وضع لهؤلاء الفتية ـ الذين آمنوا بربهم، وزادهم اللهُ هُدَى ـ القبولَ في الأرضِ، وفي السّماءِ .. وهو الذي خلَّدَ ذِكْرَهُم وقِصَّتَهُم في سورة عظيمة؛ سورة " الكهف "!

301- [ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ]؛ الموقِفُ يُوحِي بأنَّه شَدِيدُ الرَّهْبَةِ .. يُخَيِّمُ عليه وعلى مَن فِيه الخَوفُ .. تَتَسَارعُ فيه دَقَّاتُ القُلوبِ؛ فَرَقاً من طاغُوتٍ جَبّار، يأمرُ الناسَ بتأليهه وعبادَتِه مِن دونِ اللهِ .. لا يُرَدَّ له أمْرٌ، ومَن يَعصي له أمْراً، ليس له إلا السّيف وقَطْع العُنُقِ .. إلَّا أنَّ مَعيَّةَ اللهِ لفتيَةٍ موحّدين قد آمَنُوا بربِّهم، تَعْلُو، وتجعَلُ من الصَّعْبِ سَهْلاً،

ومن الخَوفِ أمْنَاً؛ فَثبَّتَ اللهُ قلُوبَهم، وقوَّاها، وجرَّأهَا على قولِ الحَقِّ .. ونَزَعَ منها الخوفَ من الطَّاغُوت، [ إِذْ قَامُوا ]؛ تُفيدُ حَرَكَةً وهِمَّةً، وعمَلاً جماعيَّاً .. ودِقّةً في التَّرتيبِ، والتَّنظيمِ، والتَّوقيتِ .. فقامُوا جميعاً قَوْمَة رجُلٍ واحدٍ، يَقَوِّي بَعْضُهم بَعْضَاً، في وجهِ الطَّاغوتِ .. وفي مجلسٍ على مَلَإٍ من الناسِ، ومِن حاشيتِه المقرَّبين؛ لتعمَّ الفائدةُ، وتَصِلَ الرسالَةُ إلى الجميعِ، ولكي يَصعُبَ على الطَّاغيةِ إخفاء أثَرِ كلماتِهم ودَعوتِهم، [ فَقَالُوا ]؛ قولَة رجُلٍ واحدٍ، لم يتخلَّف منهم أحَدٌ، قولة حَقٍّ عند حاكِمٍ كافِرٍ جَائِرٍ؛ [ رَبُّنَا ]؛ ليس أنتَ أيُّها المَلِكُ الطاغيةُ .. ولا تِلكَ الأصنامُ التي تَعبدونَها مِن دُونِ اللهِ، والتي لا تَنفَعُ ولا تَضُر .. إنَّما ربُّنا الذي نَعبدُه، ويَستحِقُّ أن يُعْبَدَ، هو [ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ]؛ خالِقُ السَّماواتِ والأرضِ .. وما سواه فهو مَربُوبٌ مَخْلُوقٌ لا يستطيعُ أن يخلقَ شيئاً، ومن كان لا يَستطيعُ أن يَخلقَ شيئاً، لا يجوزُ أن يُعبَدَ أو أن تُصرَفَ له العِبادةُ من دُونِ اللهِ،[ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً ]؛ لن نعبدَ من دُونِ اللهِ ـ خالِقُنا وخالِقُ السَّماوتِ والأرضِ ـ إلهاً آخَر .. فاستدلُّوا بتوحيدِ الربوبيَّةِ على توحيدِ الألوهيَّةِ؛ إذ أنَّ الربَّ الخالِقَ، المتَفَرِّدَ بالخَلْقِ، هو الذي يجبُ أن يُتأَلَّه ويُعْبَدَ، لا أحَدٌ سِواه .. ولو طاوَعْنَاكُم فأجبْنَاكُم إلى ما تدعُونَنا إليه مِن عِبادةِ آلهةٍ غير اللهِ، [ لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً ]الكهف:14. لقد قُلنا قَولاً بالِغَاً في الكُفْرِ، والبُطْلانِ، والانْحِرافِ عن الحَقِّ.

* * * * *

## وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ

302- [ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ]الكهف:16. اعتَزَلُوا المشركين ومَا يَعبدُون مِن آلهةٍ باطِلَةٍ، وأصنَامٍ لَا تَنفعُ ولا تَضِرُّ .. فلمْ يَعبدُوها، [ إِلَّا اللَّهَ ]؛ فلمْ يَعتزِلُوا عِبادَته؛ لأنه الإله الحقّ الذي يَستحقُّ أن يُعبَد، وأن يُفرَد بالعبادَةِ وحدَه سبحانه .. والآيةُ

فِيها أن المشرِكين مِن قَبل، واليوم، وإلى يومِ القِيامَة لم يكُن كُفرُهم وشِركُهم مِن جِهَةِ إنكارِهِم وجحودِهم لوجودِ اللهِ تعالى، ولحقِّه في أن يُعبَد، وإنما كان شِركُهم وكفرُهم مِن جِهَةِ عبادَتِهم لآلهةٍ أخْرَى معَ اللهِ .. يَرونَ لها حَقَّ العِبادَةِ مَا يَرونَهُ للهِ .. حتَّى الملحِدين اللَّادينِيين ـ الذين يتَدينون بدينِ الإلحَادِ! ـ كَثيرٌ مِنهم يكَفرُون بالأدْيانِ، لكنَّهم يُقرّون بوجودِ إلهٍ وخالِقٍ لهذَا الكونِ .. وعندَ البرَاءِ مِن آلهتهم ومعبُودَاتِهم ينَبغي الانتباهُ لهذا الاستِثنَاءِ الهَام [ إِلَّا اللَّهَ ]؛ فإنَّنَا لَا نَبرأُ مِن عبادَتِه، بل نَعبدُه ونوحِّدُه، ونخصُّه وحْدَهُ بالعِبَادَةِ .. كما في سورَةِ الشُّعَراءِ قالَ تعالى عن أبي الأنبياءِ إبراهِيم عليه السلام:[ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ]الشعراء:75-77. فعَدَاوتي تَشملُ جميعَ مَا تَعبدُون مِن دُونِ اللهِ؛ لأنَّهم لَا يَستحِقُّونَ أن يُعبَدُوا، [ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ]؛ فَلا أُعَادِيه، بلْ أَعبُدُه، وأَوَحِّدُه، وأخصُّه تعَالى وحْدَه بالعِبَادَةِ.

* * * * *

## فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ

303- [ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ]الكهف:16. الوَحْيُ لا يَتَنَزَّلُ إلا على الأنبياءِ والرُّسُلِ، وقَد انقطَع بوفَاةِ خَاتَمِ الأنْبيَاءِ والمرْسَلين صلى الله عليه وسلم .. وبَقِيَ الإلْهامُ، والإلهامُ الشَّديدُ .. أحياناً إذا أرادَ اللهُ من عَبْدٍ شَيئاً، يُقوّي لديه الإلهامَ لفِعلِ هذا الشَّيءِ .. فيجِدُ نَفْسَه مَشْدُوداً لفِعْلِه وتَنْفيذِه .. ويجدُ في نَفْسِه هِمَّةً لفِعْلِ هذا الشَّيء لا يجِدُها في غَيرِه .. وكذلك إذا أرادَ اللهُ مِن عَبدٍ أن لا يَفعل شَيئاً، ألهمَهُ وقَوَّى لديهِ الإلهامَ لاجْتِنَابِه واعتِزَالِه .. وهذا الذي حَصَلَ للفتيَةِ المؤمنين الذين آوَوا إلى الكَهفِ؛ وجَدُوا أنْفُسَهُم

مَشْدُودِين إلى اللُّجوءِ إلى الكهفِ والاحتماءِ به، وهم مُطارَدُون من قِبَل الطُّغَاةِ الظَّالمين .. وكأنَّ هُناك من يُخاطِبهم ويقول لهم:[ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ].

304- [ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً ]الكهف:16. مهمَا عظُمَت تَضحيَات البِدَايَات فإنَّ مآلاتِ التَّوحِيدِ، واعتِزالِ الشِّرْكِ والمشرِكين، في الدُّنيا والآخِرَةِ .. كلها خَيرٌ، وعطَاءٌ، ورحمَةٌ .. وهؤلاء الفِتيَة المؤمنون، لَمَّا حقَّقُوا التَّوحِيدِ، واعتزَلُوا الشِّرْكَ، والمشرِكين، ومَا يَعبدُون مِن دُونِ اللهِ .. وأظهَرُوا الكُفْرَ بالطَّاغُوتِ .. أرادَهُم الملأ مِن المشرِكين بسُوءٍ؛ فطارَدُوهم ولاحَقُوهُم؛ ليردُّوهم عن دينِهم أو يَقتلُوهم .. فضَاقَت على الفتْيَةِ المؤمنين الأرضُ بما رَحُبَت .. فجُنْدُ الطاغُوتِ في طلَبِهم؛ قد مَلؤوا الأرضَ والشِّعَابَ يبحثُون عَنهُم .. والأَسْرُ واقعٌ لا محَالَة .. في هذه اللحظَةِ العَصِيبةِ أوحَى اللهُ إليهم وحي إلهَامٍ شَدِيدٍ؛ أن اقصُدُوا الكهْفَ .. اذهَبُوا إلى الكهْفِ .. فسوفَ تجدُون فيه المأوَى الآمِن، ومَا تنتَفِعُون به .. ولَن يَصِلُوا إليكم بسُوءٍ أبَداً .. عَرَفُوا اللهَ في الرَّخَاءِ والشدَّةِ .. فَعَرَفَهُم اللهُ .. وخَلَّدَ ذِكْرَهُم، وقصَّتَهُم إلى يومِ القِيامَةِ.

* * * * *

## وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً

305- [ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً ]الكهف:22. النَّهي يَشملُ قصَّةَ أهلِ الكَهْفِ .. وجميعَ الحقَائقِ الكُلِّيَّةِ العَامَّةِ، وكلَّ غَيْب .. أن لا نَطلبَ الفُتْيَا فِيها مِن أحَدٍ إلَّا مِن اللهِ تَعالى؛ عَالِمُ الغَيْبِ، والشَّهَادَةِ، وخَالِقُ الخلْقِ، الذي يَعلَمُ مَا كان، ومَا يَكُون،

وما سيكُون، فهو وَحْده الذي يُسْتَفْتَى ويُرجَع إليه في مَعرفَةِ المسَائِلِ ذَاتِ العَلاقةِ بالغَيبِ، والحقَائقِ الكُليَّةِ العَامَّة.

* * * * *

## وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً . إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ

306- [ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً . إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ]؛ الغَد، بل السَّاعات والدَّقائقُ القَادِمة .. غَيبٌ .. لا يَعلمهُ ـ ولا يَقدرُ عليه ـ إلا اللهُ .. لا تدري ماذا يحصَلُ لك .. وماذَا سيحصَلُ لما وعَدتَ القيامَ به .. وما سيحصَلُ للموعُودِ له .. وقد يُحيلُ بينكَ وبين ما وعدْتَ به حَوائلُ عديدَة، تمنَعُكَ من تَنفيذِ ما قطَعتَ به على نفْسِك، مِنها الموت .. لأجلِ ذلك .. وحتَّى لا تكونُ حانِثَاً في وعْدِك، ومَا قطعتُه على نفْسِك .. وحتى لا تَتعرَّض للمساءلةِ ممَّن قد وعدتَه .. استَثْنِ وقُلْ:" إنْ شَاء اللهُ "، فإن أعانَك اللهُ على تنفيذِ ما وعدْتَ به، في الزَّمانِ والمكانِ المحدَّدَين، فخَير .. وإن لم تَستطعْ، وحَالَ بينك وبين وعْدِك حَائلٌ، فتُعْذَر، وليسَ عليك شَيء .. ومَا أكثرُ الذين يَعِدُون، ويخطِّطُون لمستقبَلِهم القَرِيب، والبَعيدِ، ثم لم يتمَكَّنُوا من إنجازِ شَيءٍ ممَّا وَعَدُوا به، وقَطَعُوه على أنفُسِهم، [ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ]الكهف:23-24. فإن نَسيتَ أن تَقولَ:" إن شَاءَ الله "؛ في حَالِ حديثِك عمَّا ستُنجِزُه في المستَقْبلِ .. ثمَّ تَذكَّرت .. فقُلْ لحظَةَ تَذكُّرك:" إن شاءَ الله " .. وإن نسيتَ أن تقُولَ " بسمِ اللهِ "، عند ابتدائِك الطعَام .. ثمَّ تَذكَّرْتَ ـ ولو في آخِرِ طعَامِك ـ فقُلْ لحظَةَ تَذكُّرك:" بسمِ اللهِ أوَّلَهُ وآخِرَه " .. ونحوه أيَّما ذِكْرٍ يُسَنُّ أن يُقال في زَمَانٍ ومَكانٍ محَدَّدَين .. فمَن نَسِيَه، فليَذْكُرْه حينَما يتَذَكَّره.

* * * * *

## وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً

307- [ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ]الكهف:25. لَمْ تَظهَرْ الحِكْمَةُ مِن قِصَّةِ أصحَابِ الكَهْفِ، إلا بَعدَ أكثَر مِن ثَلاثِ مِئةِ سَنَةٍ بِتِسْعِ سِنِين .. يومَ أن أيقَظَهم اللهُ مِن نومِهم الطويل؛ ليعلَمَ الناسُ في زَمانِهم - ومِن سَيأتي بعدَهم - أنَّ اللهَ تَعالى حَقٌّ، وأنَّ البَعْثَ والنشُورَ، والحِسابَ حَقٌّ .. ثم ظهَرت الحِكمَةُ الأكبَر مِن قصَّتِهم يومَ أنزلَ اللهُ فِيهم قُرآناً يُتلَى إلى يَومِ القِيامَةِ .. وبعدَ مِئاتِ السِّنِين مِن قصَّتِهم .. لنعلمَ أنَّ مِن الحِكَمِ مَالَا يَظهر إلَّا بعدَ سِنِين .. وربما بعدَ عقُودٍ، وقُرُونٍ .. فإن فاتَتْك الحِكمةُ مِن شَيءٍ من الأشياءِ، وفي وقْتٍ من الأوقاتِ، فسَلِّمْ لحكمَةِ العَلِيم الحكيم .. ولَا تَستَعْجِلْ ظُهورَ الحِكمَةِ .. واعلمْ أن لا شَيء يَصدُرُ عن اللهِ تعالى في خَلْقِه عَبَثاً مِن غَيرِ حِكمَةٍ ولَا غَايَةٍ.

* * * * *

## أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ

308- [ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ]الكهف:26. أبصِرْ باللهِ، وبكلامِه، وأسْمِعْ، مَن ضلَّ الصِّراطَ المستقيم .. فمن تَعرَّفَ على اللهِ تعالى بأسمائِه الحُسْنى، وصفاتِه العُليا .. وأحسنَ الإصغاءَ والإقبالَ على كلامِ اللهِ تعالى، فقَد هُدِي، ويُصبحُ الأعمَى بَصيراً، والأصَمُّ سميعاً .. فبالقرآن يُبصِرُ العُمْيَان، ويَسمَعُ الطُّرْشَان!

309- [ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ]الكهف:26. مِن المعَاني اللطيفَةِ التي أُثِرَت عن بعضِ السَّلفِ في معنَى قَولِه تعالى، [ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ]؛ أي لا أحَدَ أبصَرَ مِن اللهِ بما خَلَق، فلا يَخفَى عليه شيءٌ مِن مخلوقاتِه، مهمَا كان صَغيراً، ودَقِيقَاً، سَواءٌ كان في السَّماءِ أم في

الأرْضِ .. أو كان في البرِّ أم في البَحْرِ، إلَّا ويَرَاه .. ولَا أحَدَ أسمَعَ مِنه سُبحانه لأصْواتِ الأشياءِ مهمَا كثُرَت، وكانَت ضعيفَةً وخفيَّةً، وأينما كانَت .. فَلَا تختلطُ عليه الأصوَاتُ .. ولَا يُشغلُه صَوتٌ عن صَوتٍ .. وهذا معنى جِدُّ لطيفٍ وجميلٍ، يَبعثُ في النَّفْسِ الرَّاحَةَ، والأَمَانَ، والطمأنينَة .. فالمرءُ ـ إذا ما نزَلت به حاجَةٌ أو كَربٌ ـ لا يحتاجُ إلى وسطَاء؛ يَتوسَّطهم بينَه وبينَ الله .. ولَا إلى أن يرفعَ صوتَهُ؛ وهو يُناجِي رَبَّه .. بَلْ يكفِي مِنه الهمْسُ، وحَديثُ النَّفْسِ، فاللهُ يَعْلَمُه، ويَسْمَعُه.

* * * * *

## وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدَاً

310- [ وَلَا يُشْرِكُ ]؛ لِغِنَاه عَنِ الشَّرِيكِ، ولأنَّ صِفَاته تَأْبَاهُ، [ فِي حُكْمِهِ ]؛ الكَوْنِي، والشَّرْعِي، [ أَحَدَاً ]الكهف:26. مِن خَلْقِه.

* * * * *

## وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً

311- [ وَلَن تَجِدَ ] مهما حاولتَ الهروبَ أو التَّخَفي [ مِن دُونِهِ ]؛ من دُونِ اللهِ [ مُلْتَحَداً ]الكهف:27. مَلجَأ تَلتَجِئُ إليه، أو مَخبَأً تختبئ فيه، يَعصِمُك من الله .. فلا مَلْجَا، ولا مَنْجَا، ولا مُعاذَ تعوذُ وتَلوذُ به من الله .. ومهما حاولت، فاللهُ مَعَك، وقريبٌ مِنْكَ، وقادرٌ عليكَ حيثما تكُون .. والعاقِلُ يَلوذُ ويتَّقي بِهِ مِنه، ويَفرُّ منه إليه؛ يفرُّ من مَعصيَتِه إلى طاعَتِه، ومن غَضَبِه إلى رِضَاه، ومن عَذَابِه إلى عفوِه ورحمتِه سُبحانه.

* * * * *

## وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ

312- [ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ]؛ أمرٌ فيه حَضٌّ وتَرْغِيبٌ على مُلازَمَةِ الأصحابِ المؤمنين الصَّالحين، الصَّادقين، وإن كانُوا مِن الفُقراءِ والمساكين .. ومهما تَرتَّبَ على صُحبَتِهم ومُلازَمتِهم مِن تَبِعَاتٍ؛ فبملازَمَتِهم السَّلامَةُ مِن الفِتَنِ، والشَّرِّ، والأشْرَارِ، والقَرِينُ بالقَرِينِ يُعرَفُ، [ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ]؛ ولا تَنْصَرِفْ عنهم فتَتركَهم لفَقْرِهم، أو ضَعفِهم، [ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ]الكهف:28. فتبتَغِي بَدَلاً مِنهم مُصاحَبَةَ ومُلازَمَةَ الأغنياءِ الأقوياءِ مِن ذَوِي الجَّاه؛ غير الأتْقِيَاءِ .. ابتِغَاءَ عَرَضٍ مِن الدُّنيا .. وابتغاءَ السُّمْعَةِ والرِّيَاءِ!

313- [ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ]الكهف:28. فيه حَضٌّ وتَرغِيبٌ على مُلازَمَةِ الأصدقاءِ الصَّالحِين ـ حتى لو كانوا مِن الفُقراءِ؛ فالفَقْرُ ليسَ عَيباً يَسْتَدعِي النُّفورَ والابتعادَ عن أصحابِه ـ والصَّبرِ معَهم على مجاهَدَةِ النفْسِ والحياةِ .. والصّبرِ عليهم إن بَدَرَ منهم ما يُسِيء؛ فهم ـ بعدَ اللهِ ـ خيرُ مُعِين للعبْدِ على شؤونِ دينِه ودُنياه، وعلى مواجهةِ الفِتَنِ والتحدّياتِ التي تَعترضه في حياتِه الدنيا .. ومِن دونِهم يَكونُ سَهْلَ المنالِ، وسَهلَ والوقُوعِ في حبَائلِ ومكائدِ الشَّيطانِ!

* * * * *

## وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

314- [ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ]الكهف:28. ولَا تَتجاوَز ولا تَتعدَّى أصدقاءَك الصَّالحين، فتَصرفُ بصرَكَ عنهم لفقْرِهم أو ضَعفِهم .. إلى غَيرِهم

مِن الطَّالِحِين؛ من أهلِ الشَّرفِ، والرِّياسَةِ، والغِنَى، والسَّرَفِ .. تبتَغِي بقُرْبِك مِنْهم، ومجالَسَتِك لهم الظُّهورَ، والشَّرفَ، والسِّمعةَ، والفَخْرَ .. فاللهُ تعالى يَنهى عن ذلك.

فإن قِيل: نُصاحِب هؤلاء، وهؤلاء ...؟!

أقول: هذا من التَّناقُضِ بين شَيئين يَستحيلُ اجتماعُهما، أو الجمعُ بينهُمَا؛ إذْ كُل فريقٍ سيشدُّ الحبْلَ إلى طرَفِهِ وجانبِه .. وكلُّ فريقٍ سيعيبُ ما عليه الفَريق الآخَر، من أخلاقٍ وسُلُوك .. وبخاصَّة فريقُ الطَّالحين المسرفين؛ فقد جرَت العادَةُ فِيهم أنَّهم يأنَفُون عن مجالسَةِ ومُصاحَبةِ الفُقراءِ المستضعَفين، وبخاصَّة إن كانوا مِن المؤمنين الصَّالحين .. والمرءُ له قَلبٌ واحِدٌ لا يُطاوعُه على الجمْعِ بين الشيءِ ونقيضِه .. إذْ لا بُدَّ له من الاختِيَارِ، وهو ومَا يختار.

* * * * *

وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً

315- [ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ]الكهف:28. ولمَّا كان الصاحِبُ ساحِباً .. وجرَت العادَةُ أن يُصغِي الصَّاحِبُ إلى صاحِبِه .. وأن يتأثَّر بِه، وبكلامِه، وآرَائِه .. جاءَ النَّهيُ عن طاعَةِ الأصحابِ السيئين الضَّالين الفاسِقين؛ الذين تخلُو قلُوبهم مِن الإيمانِ، والخَشيَةِ، وذِكْرِ اللهِ تعالى .. والذين لا يُشيرون على من يُصاحِبونَهُ بخَيرٍ .. إذْ لا يكفي أن لا تُصاحِب الطّالحين الضَّالين الفاسِقين .. بل أيضاً يجبُ أن لا تُصْغِي إلى كلامِهم ونَصائِحهم؛ لأنَّهم لا يَنْصحونَ بخيرٍ .. لا يَنصحونَ إلا بشَرٍّ .. فالإناءُ يَنضحُ ما فِيه .. مِن صفاتِ هؤلاء الضَّالّين الفاسِقين ـ الذين يجب اعتزالهم وعدمُ مُصاحبَتِهم ـ أنَّهم يتَّبعونَ أهواءَهُم؛ فما تُملي عليهم أهواؤهم فهم يتَّبعونَه، ويُثنونَ عليه خَيراً .. فالحقُّ ما يَراهُ هواهُم حَقاً .. والباطِلُ مَا يَراهُ هواهُم

بَاطِلاً .. وكذلك التَّحليلُ والتَّحريمُ .. والتَّحسينُ والتَّقبيحُ مَردُّ ذلك كله إلى أهوَائِهم، ومَا تملي عليهم أهواؤهم .. [ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ]؛ قد انتهى أمرُه وحالُه إلى الإفرَاطِ في الضَّياعِ، والهلَاكِ، ومُجافَاةِ الحقِّ .. ومَن كان بهذا الوصْفِ لا يَنفعُ نفسَه، فضْلاً عن أن ينْفعَ غيرَه!

316- [ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ]؛ عن الكتَابِ والسُّنَّةِ، [ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ]؛ كمصدَرٍ للتَّشريعِ، والتَّحْسِينِ، والتَّقبيحِ، والتَّحليلِ والتَّحريمِ، [ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ]الكهف:28. غايةٌ في الجَفَاءِ عن الحقِّ .. يَفعلُ ذلك مَن يُعرِض عن استفتاءِ ومُراجعَةِ العلماءِ الربَّانيين الذين يَتَّبعون الكتَابَ والسُّنَّة .. ويُقبِلُ على دُعاةِ الأهواءِ، والضَّلالةِ، والجهلِ .. يَستَفْتِيهم في أمرِ دينِه ودُنيَاه .. فِيما يحلُّ له، وفِيما يحرُم عليه .. وفِيما يجبُ، وفِيما لا يجبُ ...!!

* * * * *

## وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ

317- [ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ ]. لَا يُراد بالآيةِ الكريمةِ التَّخييرُ بينَ الإيمانِ، والكُفرِ؛ فَمَن شاءَ أن يختارَ هَذا أو ذَاك، فله ذلك .. كما يَفهم ذلك البعضُ .. لَا؛ إنَّما هو تَهديدٌ، ووعيدٌ، وتخويفٌ لمن يتجرَّأ فيَختارُ الكُفرَ على الإيمانِ .. بدليل قولِه تعالى:[ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ]الكهف:29. و " سُرَادِقُهَا "؛ جُدُرٌ مِن نَارٍ.

* * * * *

وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً

318- [ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ]الكهف:34. هذا المشركُ، والمصيرُ الذي انتَهى إليه، مَثَلٌ سَيِّءٌ لكلِّ مَن تحملُه نفْسُه على العُجْبِ، والمبَاهَاةِ، والمفَاخَرةِ، والتَّعَالي على الناسِ بما جمَعَه مِن مالٍ، وبما عِنده من أبناءٍ، يَتقوَّى وينتصرُ بهم على مَن يخالِفُه، وعلى مَن يُريد .. يَردُّ الفضلَ فِيما هو فِيه مِن خيرٍ ونِعَمٍ لنفْسِه، ولعزمَاتِه مِن دُونِ اللهِ .. كافِراً باللهِ، وبفضلِه، وبأنعُمِه عليه .. فانقلَبَ وما يملكُ من ثمارٍ إلى خَرابٍ، ودَمَارٍ، وحَسْرَةٍ، ونَدَامَةٍ، جزاءَ كُفْرِه، وكِبْرِه، وتَعالِيه على النَّاسِ .. فالنِّعمَةُ التي لا تحملُ صَاحِبَها على التواضُعِ، والشُّكرِ للهِ، فِتنَةٌ، واستدراجٌ، ونقْمَة!

319- [ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ]الكهف:34. يتَفَاخَرُ، ويتماجَدُ، ويتَعَالى على صاحِبِه المؤمن بكثرَةِ المالِ، وقوة عشيرتِه، وعائلتِه .. وهذا نموذَجٌ تافِهٌ يتَكَرَّرُ عبرَ جميعِ الأزمنَةِ، والأمصارِ التي تَسُود فيها قيمُ المادَّةِ على قيمِ الرُّوحِ، والإيمانِ، والأخلاقِ الحميدَةِ .. ويكونُ فيها ميزانُ التفاضُلِ، والتمايزِ بين الناسِ على أُسُسٍ ماديَّةٍ، وأيهم أكثرُ مَالاً، وجمعاً للمالِ .. وهذا ميزانٌ خاطِئٌ ومتخلِّفٌ لا تجدُ له شَبيهاً حتى في عالَمِ الحيواناتِ؛ الضَّارِيَة منها والأليفَة .. وكان الواجبُ أن يكونَ التفاضُلُ، والتمايزُ بين الناسِ قائماً على أَساسِ العمَلِ؛ أيُّهم أحسَنُ عمَلاً .. وأيُّهم عملُه يرتدُّ على نفسِه، وعلى البشريَّةِ بالخيرِ أكثَر، ويكونُ سَبباً في نجاتِه يومَ القِيامَةِ .. هذا الذي يَليقُ بالإنسانِ السَّوي، والعاقِلِ، وبالمكانَةِ التي كرَّمَه اللهُ بها، وبالغايَةِ التي خلَقَه مِن أجلِها .. واللهُ تعالى يُعاقبُ هذا الفريق المادِّي من الناسِ، مِن جنسِ فعلِه وذنبِه؛ فلا تجدُ في التاريخ كلِّه رجلاً واحداً خلَّد المالُ اسمَه، وذِكْرَهُ بالخيرِ .. بينما تجدُ آلافَ العُلماءِ العامِلين قَد خلَّدَ العِلمُ وعمَلُهم الصَّالح ذِكْرَهُم بالخيرِ.

* * * * *

## وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً

320- [ وَوُضِعَ الْكِتَابُ ]؛ كُلٌّ له كتابُه؛ المؤمنُ له كتابُه يستلمُه بيمينِه، والكافرُ له كتابُه يستلمُهُ بشمالِه، [ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ]؛ خائفين ممَّا مُدوَّنٌ فيه؛ لأنه لم يدَعْ شَيئاً مِن أعمالِهم وأقوالِهم الظَّاهِرةِ والباطِنَةِ إلَّا وقد دوَّنَها وأحصَاها، [ وَيَقُولُونَ ]؛ والدَّهْشَةُ تعلُوهُم مِن هَوْلِ المفَاجأةِ والموقِفِ، [ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ]؛ لم يترُكْ صَغيرةً مِن صغائرِ الذُّنُوبِ، [ وَلَا كَبِيرَةً ]؛ مِن كبائرِ الذُّنُوبِ، ممَّا قد اقترَفنَاهُ، [ إِلَّا أَحْصَاهَا ]؛ إلَّا جمعَهَا وعدَّهَا، لم يَفُتْهُ شَيئاً مِنها، ولم يكُنْ بمقدورِهم أن يُنكِرُوا مِنها شَيئاً .. وقَدَّمَ ذِكْرَ الصَّغائرِ على الكبائرِ؛ للتنويهِ إلى عَدمِ الاستهانَةِ أو الاستخْفَافِ بِها، [ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً ]؛ مُثْبَتاً أمَامَهم في كتابِهم، يبصرُونَه بأعيُنِهم، يَقرأُه حتَّى مَن لَمْ يكُنْ في دُنيَاه يُحسِنُ القِراءةَ، [ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ]الكهف:49. لأنَّ اللهَ تعالى قد حرَّمَ الظلمَ على نفْسِه، وجَعَلَه بينَ عِبَادِه محرَّماً .. فيُجازِي المسيءَ على إساءَتِه بمَا يَستَحِقُّ، والمحسنَ على إحسَانِه بما يَستَحِقُّ .. ويُعامِلُ عبادَه إمَّا بالعَدْلِ، وإمَّا بالمنِّ والإحسَانِ .. وهو أهْلٌ لأعظَمِ وأجمَلِ وأكملِ إحسَانٍ.

* * * * *

## مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ

321- [ مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ]؛ قَضيَّةٌ لم تكنْ شَاهداً عليها يا ابنَ آدَم، ولا حاضِراً عند حصُولها .. وأنتَ جاهِلٌ بها .. كيفَ تخوضُ فِيها؛ نفياً، وإثباتاً، وإضافَةً، بغيرِ علم .. تعتَمدُ الظنَّ في أحكَامِك الذي لا يُغْنِي من

الحقِّ شيئاً .. تُقْحِمُ أنفكَ في قضيَّةٍ لم يُشركك اللهُ فيها، ولا غيرَك .. والتي مِنها طَريقةُ نشأتِك، وابتدَاء خلقِك .. فتُنكرُ آدميَّتَك .. وتُدخِلُ الحشَرات، والدَّواب، والحيوانات، والقرُودَ في أصلِ نشأتِك ووجُودِك .. وتجعلُهم لكَ نَسَباً وصِهْراً .. وكان حريٌّ بك فِيما لم تكُنْ عليه شاهِداً ولا بِهِ عالماً، أن تعتَمِدَ وتؤمنَ وتُصَدِّقَ بالإخْبَارِ الوارِد في النَّقلِ المنَزَّلِ؛ القُرآنِ الكريم .. فتستريحُ، وتُرِيحُ .. وتَقفُ على حقيقَةِ نشأتِكَ، وحقيقَة خَلْقِ السماواتِ والأرْضِ، ووجودِ الأشياءِ مِن حولِك، بأيْسَرِ الطرقِ وأقْصَرِها، [ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ ]؛ شياطِين الأنْسِ، والجنِّ، [ عَضُداً ]الكهف:51. أعواناً يُعينُوني على خَلْقِ الأشياءِ وإيجادِها .. فالله تعالى غنيٌّ عن الخلْقِ أجمعين.

* * * * *

## وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً

322- [ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ]الكهف:54. رغمَ قِيَام الحجَجِ البالِغَةِ، والبراهينِ الساطِعَةِ .. وأنَّ القرآنَ الكريم قدْ أبَانَ وفصَّل كلَّ شَيءٍ .. فلمْ يدَعْ شُبهةً حولَ الحقَائِق الكُلِّيَّةِ إلَّا وقَد أجابَ عنها بتفصِيلٍ كافٍ ووَافٍ .. فإنَّ الإنسانَ الكافر مستمرٌّ في الجِدالِ، والمعارَضَةِ، والاعتِرَاضِ بزعْمِ البحثِ عنِ الحقيقَةِ .. وأنه يبحثُ عن الحقيقَةِ .. فيهرمُ ويموتُ وهو لا يزالُ يبحثُ عن الحقيقَةِ .. وهو لا يزالُ في شكٍّ مِن قضيَّةِ الإيمانِ .. وشَكٍّ مِن أن اللهَ تعالى حَقٌّ .. وأنَّه تعالى هو المعبودُ بحقٍّ!

* * * * *

## وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ

323- [ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ ]؛ كلُّ الذين كفَرُوا، وفي كلِّ زمَانٍ ومكَانٍ، يجادِلُون أهلَ الحقِّ بالباطِلِ، وإثارَةِ الشُّبُهاتِ؛ لأنَّهم في مواجَهَةِ الحقِّ الأَبْلَج لا يملكُون إلَّا الباطلَ اللَّجلَج .. ما هو غرَضُهم، ومَاذَا يُريدُون مِن هذا الجِدَالِ بالباطِل .. هل يُريدُون معرفةَ الحقِّ، وإنصافَ الحقِّ .. لَا؛ ليسَ شيئاً مِن ذلك، إنما غرَضُهم فقَط [ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ]؛ ليردُّوا بجدالِهم الحقَّ، ويُبطِلُوه، [ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُواً ]الكهف:56. وهذا من جملةِ وسائِلِهم في الجدَالِ، وردِّ الحقِّ؛ أنهم يُقابلُون الحقَّ بالاستهزاءِ، والسُّخريةِ، والتهكُّمِ؛ وهم لا يَفعلُون ذلك إلا لضَعفِهم وعجزِهم عن مواجهَةِ الحقِّ .. ولأنهم يَفتقدُون البرهانَ والحجةَ في مواجهَةِ الحقِّ، فيَستَعيضُون عن ضَعفِهم وعجزِهم، بالاستِهزاءِ، والتهكُّمِ .. بضَاعَةُ المفْلِسين!!

* * * * *

## وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا

324- [ وَمَنْ أَظْلَمُ ]؛ لَا أحَدَ أظلَم، [ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ]؛ الكونيَّةِ، والسمعيَّةِ القُرآنيَّة، زيَادةً في قِيامِ الحجَّةِ عليه، عسَى أن تردعَه عن غَيِّه وظلمِه، وتحملَه على الإيمانِ، والطاعةِ، والاستِقامَةِ، [ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ]؛ فيُعرِضُ عنِ الآيَاتِ كِبراً وتَرفُّعاً، واستخفَافاً، لا يُطيقُ ولا يحبُّ أن يَسمعَ مِنها شيئاً .. فالإعراضُ عن الحقِّ، وعدمُ الإصغاءِ إليه لا يكونُ إلا لكبرٍ فيمن يُعرِض، [ وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ]؛ يَفعلُ ذلك مع غَفلَتِه عما اقتَرَف من الذُّنوبِ والخطَايا، والتي تَستَدعي منه التوبَةَ، والإنابَةَ، لا الإعراضَ؛ الذي يَزيدُ عليه من ثقلِ الخطَايَا والذُّنوب، [ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ]؛ فالقُلُوب هي موطنُ العَقلِ والفِقهِ .. إليها يُرَد فقهُ الأشياءِ .. فبسببِ كبرِهم،

وإعراضِهم عن الذِّكْرِ والآياتِ، يجعلُ اللهُ تعالى على قلوبِهم أغطيةً تُحيلُ بينها وبين فهمِ الآياتِ، والخِطاب الشَّرعي، [ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً ]؛ وكذلك آذانِهم فيُغلقُها عليهم، ويجعلُ فيها ثقلاً؛ يُعطلُ وظيفتها الأساسيَّة، وهم لو سمعُوا يَسمعون سَمعَاً آليَّاً يُؤدّي بهم إلى فهمِ الأشياءِ، الذي به تَقومُ الحجَّةُ عليهم، وليسَ إلى فقهِ الأشياءِ، والفَرق بين فهمِ الشيء وبين فقههِ شاسعٌ جدَّاً، [ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً ]الكهف:57. وبعد أن وضِعَت الحجُب على قلوبِهم، وسُكِّرَت آذانُهم .. وتَعطَّلت مصادرُ التَّلقي لديهم عن وظيفَتِها الأساسيَّةِ .. أنَّى لهم أن يَنتفعُوا ممَّن يَدعُوهم إلى الهدَى، والإيمانِ .. فَهما استمرَّ الدَّاعيةُ يَدعُوهم إلى الهُدَى فلن يَهتدُوا أبدَاً؟!

* * * * *

## وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ

325- [ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ]؛ لمَن استغفَرَه، وتابَ إليه، مهمَا بلَغَت ذنُوبه، [ ذُو الرَّحْمَةِ ]؛ الواسِعَةِ التي وسِعَت رحمَتُه جميعَ الخلْقِ؛ فلا يعجلُ عليهم بالعذَابِ والعِقَابِ، والكلُّ يَعيشُ، ويقتَاتُ، ويتراحَمُ مع بني جنْسِه، وغيرِهم، بما أودَع اللهُ فِيهم مِن رحمَةٍ، [ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا ]؛ مِن الخطَايَا، [ لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ]؛ في الحياةِ الدُّنيَا، وجعلَ الدُّنيا لهم دارَ حِسابٍ وعِقَابٍ .. لا .. لم يشَأ اللهُ ذلك؛ فالدُّنيا دارُ عمَلٍ، وابتلاءٍ، وتمحيصٍ، واختِبَارٍ، سرعانَ ما نرحلُ عنها .. والآخِرَةُ هي دارُ القَرارِ والحِسابِ .. لا عَمَلَ فيها .. فقد قضَت حِكمَةُ اللهِ تعالى ورحمتُه أن لا يحاسِبَ عبادَه على ذنُوبِهم في دُنياهُم، ولحظة وقوعِهم فيها .. وإنما يُمهِلهم، ويَصبرُ عليهم، ويحلمُ بِهم، إمْهَالاً واستدراجاً .. وزيادَةً في قِيامِ الحجَّةِ عليهم .. لعلَّهم يَستغفرُون، ويَتوبُون، ويَؤوبُون إليه .. وهذا لا

يتنَافى، ولا يمنَعُ مِن أن يُنزِلَ اللهُ ـ إذا شاءَ ـ بعضَ القوارِعِ والعذَاباتِ ببعضِ خلْقِه، ابتلاءً لهم، وتأدِيباً، وزَجْراً عمَّا اقترفتْهُ أيديهم، ولعلَّهم يَرجعُون، [ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ ]؛ للحسابِ يوم الآخِر، لن يُخلَفُوه، [ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً ]الكهف:58. ملجأً يلتجئون ويَهربُون إليه، ويختبئون فيه .. ينجيهم مِن الحسابِ، والعذابِ الأليمِ، على ما كان مِنهم من صغَائرِ وكبَائرِ الذُّنُوبِ والأعمَالِ.

* * * * *

## وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا

326- [ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ]؛ أي عندما ظَلَمُوا، ووقَعُوا في الظُّلمِ .. مِن سُنَنِ اللهِ تعالى في خَلْقِه، وفي القُرَى الظَّالمِ أهلُها، أن لا يَتنزَّل الهلَاكُ والدمارُ إلا بعدَ فشُو الظُّلمِ، واستعلائِه، واستِحْكَامِه، وبخاصَّة عندما يجتمعُ الظُّلمُ بشُعَبِه الثَّلاث: ظلمُ العَبدِ لحقِّ اللهِ عليه، وظُلمُ النَّفْسِ للنفْسِ، وظلمُ النفسِ للآخَرين، [ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً ]الكهف:59. موعداً في الدُّنيا ـ غير العذَاب المُعَد لهم في الآخِرَة ـ يحدّده الخالقُ سبحانه وتعالى لهلاكِهم، لا يَتقَدَّمُ، ولا يتأَخَّر.

* * * * *

## هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً

327- [ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ]الكهف:66. فيه أن الكبيرَ أحياناً يَتعَلَّمُ ممَّن يَصْغُرُه .. والعالِمُ يتعلمُ ممَّن هو أقَل منه علماً .. ممَّا ينفردُ بعلمِه الصغيرُ دونَ الكَبيرِ .. وهذا من التَّواضُع في الطَّلَبِ .. وهو لا يُنقصُ مِن قَدرِ

الكَبيرِ، والأعْلَمِ، بل يَرفَعُه ويَزيدُه فَضْلاً .. كما أنَّه لا يَعني أنَّ الصغيرَ أعلمُ من الكبيرِ في مجموعِ شُؤونِ العِلمِ ومسائلِه، أو أنَّه أفضَلُ منه!

328- [ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ]الكهف:66.

تُعَلِّمَنِي؛ قِمَّةُ التَّلطُّفِ، والأدَب، والتَّواضُعِ مِن نبيِّ اللهِ موسى عليه السلام في طلَبِ العِلمِ .. وهو؛ هو في العِلْمِ .. وفي ذلك عِظَةٌ وعِبرةٌ لطالِبِ العِلمِ ـ مَهمَا أُوتِي مِن العِلمِ إذا وجَدَ مَن هو أعلمُ مِنه ـ بأن يتواضَعَ في طلَبِ العِلمِ، وأن يتحلَّى ويتزيَّن بالتواضُعِ .. وأن يكون التواضُعُ سِمَةً دائمةً له .. فالكِبْرُ والتَّعالي وطَلَبُ العِلمِ لا يجتمِعَان أبَدَاً .. والطَّالِبُ المتكَبِّرُ المحرومُ مِن أدَبِ التَّواضُعِ، لا يَتعلَّمُ، ولا يَستفيدُ ممَّا يَتعلم أبَداً!

329- [ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ]الكهف:66.

كما لا يُوجدُ عالِمٌ يستطيعُ أن يقولَ قد استوفيتُ العِلمَ من جميعِ أبوابِه .. كذلك لا يوجدُ شَعبٌ في الأرضِ يستطيعُ أن يقولَ قد استوفينا جميعَ العلُومِ والمعَارفِ من جميعِ أبوابِها بما يُغنينا عن الاستعَانةِ بالشعُوبِ الأخرَى .. كثيرٌ من الدول المعاصرةِ المتقدِّمةِ علمياً نصفُ خُبرائها وعلمائها ينتمونَ إلى أصولِ وشعُوب أخرَى .. وها هو موسَى عليه السلام؛ وهو من أُولِي العزمِ من الرسُلِ .. وأعلمُ أهلِ زمانِه .. قد التمَسَ علماً ليسَ موجُوداً عندَه .. التمسَهُ من رجلٍ ليسَ من قومِه وشَعبِه .. وهو الخضرُ عليه السلام .. وفي ذلك ردٌّ على أولئك الذين يحاولُون ـ تحتَ ضغط العصَبيّةِ الوطنيَّةِ ـ أن يخصخِصُوا العلمَ، والتَّعليمَ، ويجعلُوه حِكراً ووقفاً على مواطني بلدِهم دون غيرهم .. فيحرمُوا أنفسَهم وبلدانَهم، والأجيالَ التَّاليةِ مِن خبراتِ غيرِهم، ومِن علُوم ومعارفِ كثيرةٍ لا تُوجد إلا عندَ غيرِهم!

* * * * *

## قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً

330- [ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ]الكهف:67. مَن يُرِد مُصَاحَبَةَ العُلَمَاءِ، والاستِفَادَةَ مِن عِلمِهم .. عليه أن يُروِّضَ نَفْسَهُ على الأدَبِ، والصَّبرِ على مَا قَد يَسْمَعَهُ أو يَرَاهُ مِنهم مِمَّا لَا يَفْهَمُهُ .. فَلَا يَسْتَعْجِل عليهم المسْأَلَةَ والاستِفْهَامَ .. بَل يَلتَمِسُ الوقتَ المنَاسبَ ـ والأسلُوبَ الأَدَبِي الأَحْسَن ـ للاسْتِفْسَار والاسْتِفْهامِ مِنهم مِمَّا قد أَشْكَلَ عليه .. وقَد يَرَى مِن بَعْضِهم هَفْوةً أو كَبْوةً أو زَلَّةً ـ فهم غيرُ مَعْصُومِين عن الخَطَأ ـ فَلا يَسْتَعْدِيهِم، ويَسْعَى في تَشْهِيرِهِم، وإعلانِ الحَربِ عليهم لأدْنَى وأوَّل خَطَأ يَراهُ مِنْهم .. بَل يَصْبرُ .. ويحمِلُ نَفْسَهُ على الأَدَبِ، والتَّأَدُّبِ .. ويُقِيلُ عثَرَاتهم .. ويتَأَوَّلُ لهم مَا أَمْكَن لذلِك سَبِيلاً .. وإلَّا ـ يَا طَالِبَ العِلْمِ ـ لا، ولن تَجِدَ عالماً تَتعلَّمُ، وتَسْتَفِيدُ مِنْه!

* * * * *

## قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً

331- [ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً ]؛ على طلَبِ العِلمِ، [ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً ]الكهف:69. تَأمرُني به .. مهمَا أمرتَني ستَجدُني مُطيعاً لك في جميع ما تَأمرُني به، وصَابراً على جميع مَا تَأمرُني به .. مُقابل أن تعلِّمَنِي ما علَّمَكَ اللهُ إيَّاه، ولا أعْلَمُه .. قِمَّةُ الأدَبِ والتواضع .. والاستعْطَافِ لقلبِ المعلِّم .. مَن يقُول ذلك؟! إنَّه نبيُّ الله موسى عليه السلام، وهو واحِدٌ من أُولِي العَزْمِ من الرُّسُلِ .. أعلَمُ مَن في الأرضِ ـ في زمَانِه ـ بالحقِّ، والحلالِ والحرَامِ .. يقولُ لِمَن؟ للخضر عليه السلام، وهو قِياسَاً لنبيِّ الله موسَى عليه السلام مفضولٌ وليسَ فاضِلاً .. إلا أنَّه عنده نوعُ عِلم ـ علَّمه اللهُ إيَّاه ـ ليسَ موجُوداً عِند موسى عليه السلام، استدْعَى مِن موسى أن يشدَّ إليه الرِّحالَ .. يُستفادُ مِنه أن الصغيرَ قَد

يَعلَمُ عِلماً لم يعلمْهُ الكَبير .. ولَا يَنقصُ مِن قَدرِ الكبيرِ شَيئاً لو تواضَعَ وطلبَ هذا العِلم من الصَّغيرِ .. ما أَحوج طُلابُ العِلمِ في زمانِنا ـ وفي كل زمَانٍ ـ لأَن يتخلَّقُوا بأخلاقِ موسى عليه السلام في طلبِ العِلمِ، وأن يتَأَدَّبُوا بأدَبِه، ويتواضَعُوا تواضُعِه معَ أهلِ العِلمِ .. ومَا أحوج كُبراءَنا وعلماءنا لو وَجَدُوا عِلماً عِند مَن هو أصغَر مِنهم في الطَّلَبِ والعِلمِ، أن يتواضَعُوا في طلَبِ، وتحصيلِ مَا قَد فاتَهم مِن العِلمِ، عند مَن هو أصغَر مِنهم في الطَّلَبِ والعِلمِ .. كما تواضَعَ موسى عليه السلام، وحرصَ على طلَبِ العِلم عندَ مَن هو أصغَر مِنه عِلماً وقَدْراً.

* * * * *

فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا

332- [ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا ]الكهف:77. قد تَنزلَ دَارَ قومٍ .. فلَا يُكرِمُوك .. ولا يُضِيفُوك .. ولا يَعتبرُوك .. ويُغلقُوا أبوابَ الضيافةِ في وجهِك .. فلا تحزَن .. ولا تَقولنَّ أنا فُلانٌ الكَبِير .. أنا الشيخُ والعَالِم .. أنَا، أنا .. ثم أُسْتَقبَل هذا الاستقبالُ غير اللَّائِق .. وأُعامَل هذه المعامَلَة ..؟! لَا تَقُلْ ذلك .. ولا تَفعلْ شيئاً مِن ذلك .. فهو مِن البلاءِ، واختبارٌ لك .. فأنتَ ـ مهما علا قَدْرُك ـ فإنَّك لن تَعْلُو، ولَن تُسَاوِي نبيَّ اللهِ موسى، والعَبْدَ الصالح الخَضِر عليهما السلام .. قد نزَلا قريةَ يَسْتَطعِمان، ويَسْتَسْقِيان أهلها .. فلمْ يُطعموهما، ولم يَسقُوهما .. وأغْلَقوا أبوابَ الضيافَةِ في وجْهَيهمَا .. وفاتهم أنهم كانوا يُغلِقُون أبوابَهم دونَ عَبدَين صَالحَين، همَا أعلمُ، وأعزُّ، وأكرَمُ، وأتْقَى مَن مَشى على الأرضِ في زمانِهما .. وموسَى عليه السلام لم يُخْبرْ أهلَ القريةِ عن حقيقَةِ نفْسِه، أنَّه نبيُّ اللهِ، يَقتَاتُ، ويُستضَاف بالنبوَّةِ .. حاشَاه أن يفعلَ شيئاً

مِن ذلك .. كذلك الخَضِر عليه السلام لم يُعَرِّفْ عن نَفْسِه، ولم يَفْعَل شَيئاً من ذلك .. ولنا فِيهما وفي سلُوكِهما الرَّاقي العَظِيم قدْوَةً ومَثلاً أعْلَى .. وفي الحديثِ، فقَد صحَّ عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أنه قال:" إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ "مسلم. الخفيُّ؛ الذي لا يَطلُبُ الذِّكْرَ، ولا الشهرَة.

* * * * *

## فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً

333- [ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً ] الكهف:80. فيه أنَّ العُقُوقَ يُعَجِّلُ الآجَالَ .. فهذا مِنَ الخاصِّ الذي يَعُمُّ .. والسُّنَّةُ قد دَلَّت على ذلك.

334- [ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً . فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً ]الكهف:80-81. فيه أنَّ العُقُوقَ يُعَجِّلُ الآجَالَ، وسَبَبٌ من أسْبَابِ الموْتِ المُبَكِّر.

* * * * *

## الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً

335- [ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ]؛ أعينُ الكُفَّار، [ فِي غِطَاءٍ ]؛ سَاترٍ مِن الحِقْدِ، والكراهيَّةِ، والجَّهلِ، يُغطِّي أعيُنَهم، ويحجبُها، [ عَن ذِكْرِي ]؛ عنِ القُرآنِ الكَرِيمِ المُعْجِز والمبهِر للعُقُولِ .. وعن الآياتِ البَاهِراتِ المنشورَةِ في السَّماءِ، والأرضِ، وفي أنْفُسِهم .. الدَّالَّةِ على وحْدانيَّةِ اللهِ تعالى .. وأنَّ اللهَ تعالى حَقٌّ .. ولا يَقولُ إلا حقَّاً .. فهم يُبْصِرونَها، ولَا يُبصِرونَها؛ يُبْصِرونَها بأعيُنِهم، ولا يُبصرونَها بقلوبِهم، وبَصيرَتِهم، فلا يَهتدُون إلى

الإيمانِ باللهِ العَظِيم، فكانَ مثلُهم في ذلك مَثَلُ من لا يُبصِرُها، [ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ]الكهف:101. لا يُطيقون أن يَسمَعُوا للقرآنِ الكريم؛ لقوَّةِ وصِدقِ كلماتِه، وبراهينِه .. وهو مَالَا تَتَحَمَّلُه أنفُسُهم المشحونَةِ بالحِقدِ والكرَاهِيَّةِ .. ولخوفِهم الشَّديد منه، فهم ـ كانوا ولا يَزالون ـ يَتواصَون فِيمَا بينَهم؛ الكبيرُ يُوصِي الصَّغيرَ، والسَّابِقُ يُوصي اللاحِقَ، أن لا يَقْرأَ أحَدُهم القُرآنَ .. ولا يَقترَب مِنه .. ولا يَسْمَح لبصَرِه أن يقعَ عليه .. ولو سَمعُوا؛ سَمعُوا سماعاً آليَّاً، وصُورياً؛ مِن غيرِ فهم لِدَلَالاتِ ومُقتَضياتِ ومَقَاصِدِ مَا يَسْمَعُون؛ فلا يُؤمنون .. ولا يَهتَدُون .. فكانَ مَثَلُهم في ذلك مَثَل مَن لا يَسمَعُ ابتِدَاءً!

336- [ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ]الكهف:101. لِشدَّةِ ما رَانَ على قُلوبِهم مِنَ الشِّركِ، والحِقْدِ، والذُّنُوبِ، ولشدَّةِ مَكْرِ الليلِ والنَّهارِ المحِيطِ بِهم .. لا يَستطِيعُون أن يَسْتَمِعُوا للقُرآنِ مجرَّدَ استماعٍ .. ولو اسْتَمَعُوا، لما اسْتَطَاعُوا أن يَسْتَمِعُوا إليه سَماعاً يَنفَعُهم؛ يُؤدِّي بِهم إلى الفِقْهِ والإيمانِ!

337- [ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ]الكهف:101. للقُرآنِ، ولَا لِمَن يُذَكِّرُهُم بالقُرآنِ والسُّنَّةِ .. فيَسْتَبْدِلُونَ العُلَمَاءَ الرَّبَّانِيِّين، بدُعَاةِ الأهْواءِ، والجهْلِ، والفُسُوقِ؛ الذين يُسمِعونَهم ما يُوافِقُ أهواءَهُم ورَغَبَاتِهم؟!

* * * * *

## أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء

338- [ أَفَحَسِبَ ]؛ استفهامٌ يُفيدُ الإنْكارَ، والبُطْلانَ، والتَّعجُّبَ، والاسْتِحَالَةَ، [ الَّذِينَ كَفَرُوا ]؛ باللهِ العَظِيم، [ أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي ]؛ المؤمنين، [ مِن دُونِي أَوْلِيَاء ]الكهف:102. يَنتصِرُونَ بهم، ويَستجلبونَ بهم النَّفعَ، ويَدفعون بِهم الضُّرَ .. من دونِ

اللهِ الذي بيدِهِ الأمرُ كُلُّه .. هذا مُستَحِيلٌ وغيرُ ممكِنِ التَّحقِيقِ؛ لأنَّ النَّفعَ والضُّرَّ، والخيرَ والشَّرَّ كلُّه بيدِ اللهِ، وهو وحده القَادِرُ على النَّفعِ والضُّرِّ، وعلى أن يكشفَ الضُّرَّ .. وهو مُستحِيلٌ أيضاً؛ لأنَّ عِبادَ اللهِ المؤمنين هم أولِيَاءُ للهِ تعالى؛ يُوالُون فِيه، ويُعَادُون فِيه .. يُحبُّونَ فِيه ويَبغضُون فِيه .. يُوالون مَن يُوالي، ويُعادُونَ مَن يُعادِي .. لا يَتخِذُون الكافِرِينَ أولِيَاءَ .. ولو فَعَلَ بَعضُهم؛ فاتَّخَذُوا الكَافِرِينَ أولِيَاءَ .. ونجَحَ الكُفَّارُ في أن يَتَّخِذُوا مِن عِبادِ اللهِ المؤمنين أولِيَاءَ، حِينئذٍ يَخرجُ هؤلاء المؤمنين مبَاشَرةً مِن صِفَةِ ومُسَمَّى " المؤمنين "، ومِن صِفَةِ ومُسَمَّى " عِبَادِي "!

* * * * *

## قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً

339- [ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ]الكهف:104. هم الأخسَرُون أعمالاً وتوجُّهاً، وفِكراً، وسلُوكاً؛ لأنَّهم يظنُّون أن ما هم فيه مِن الكُفرِ والباطِلِ، والضَّلالِ .. أنَّهم على حقٍّ، وعلى خَير .. وأنَّهم الأفضَلُ من بين النَّاسِ .. وبالتالي فهم ماضُون في ضلالِهم إلى غايَتِه، ونهايتِه .. لا يَقبلُون التَّوقُّفَ، ولا المراجعَةَ، ولا النَّظرَ في حقيقَةِ ماهم فِيه .. ولا يَقبلُون مِن أحَدٍ أن يوقِفَ مسْعَاهُم الباطِل الذي يحسَبونَه حقَّاً وخَيراً .. مهمَا أتاهُم من الأدلَّةِ والبراهين الدَّالَّةِ على فسَادِ وضَلالِ ما هم فِيه .. وقومٌ هذا وصْفُهم لا أحَدَ أخْسَر ولا أضَلَّ مِنهم سَعياً ولا عملاً!

* * * * *

## وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً

340- [ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ]الكهف:104. يَشْمَلُ فَرِيقَين مِن النَّاسِ: الكُفَّارُ، الذين آثَرُوا الكُفْرَ على الإيمانِ .. وأَهْلُ البِدَعِ مِن أَهْلِ القِبْلَةِ، الذين لا يَتَحَرَّونَ السُّنَّةَ، ويَتَعَبَّدُونَ بالبِدَعِ المُحْدَثَةِ والأَهْوَاءِ .. ثم [ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ]!

341- [ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ]الكهف:104. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ مِن جهةِ الشُّبهاتِ، فهؤلاء هم الأكثَرُ عناداً وتَباهِياً وتمسُّكاً بشبهاتِهم، وانحرافاتِهم الفِكريَّةِ .. إذ نادِرٌ مَن يكونُ ضَلالُه مِن جِهَةِ الشَّهواتِ، ثم يَحسَبُ أنه يُحسِنُ صُنْعاً!

* * * * *

## قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي

342- [ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ]الكهف:109. وقال تعالى:[ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ]لقمان:27. جرَت العادَةُ عندَ الناسِ أن يُعظِّمُوا، ويَنظرُوا بعينِ الإكبارِ والإعجابِ لمن عُرِفَ بالتَّأليفِ، وكَثُرَت مؤلَّفاته .. ولو نَظرْنَا لأكثرِ عُلماءِ الأرضِ عَطاءً وتَأليفاً لما تجاوَزَت مؤلفَاتُه المائتي كتَابٍ .. ولو نَظَرْنَا إلى أكبرِ وأضخمِ مكتبَةٍ في العالَمِ لَمَا تجاوزَ مجموعُ ما فِيها من كُتبٍ ومؤلفاتٍ " 170 " مليون كتاب .. ولو قِيلَ - على سبيلِ المثَال - أن مؤلِّفَ مجموعِ هذه الكُتب " 170 " مليون هو شخصٌ واحِدٌ .. كم سيكُون الانبهارُ بِه ..

وكم سيُصْرَف له من التَّعظيمِ والتَّوقِيرِ والإجْلالِ .. وللهِ المثَلُ الأعْلَى .. لو أرَدْنا أن نُفْرِغَ البحرَ بكامِلِه .. يمدُّه سَبعةُ أبحرٍ أخْرَى .. ويتحولُ ماؤُه إلى مِدَادٍ " حِبر " يُكتَبُ به .. كم مِليارِ من الكُتُب والمجلدات تُكتَب بهذا المِدَاد .. لا يمكن أن نضعَ رقماً مَهمَا كَبُرَ تَنتهي عنده الكِتَابَةُ .. ثم لو نفَدَت هذه الأبحُر التي تحوَّلَت إلى حبرٍ ومِدَادٍ .. لما نفَدَت كلماتُ اللهِ لسعَةِ علمِهِ سُبحانه .. والتي كلها مِن حيثُ الإعجازِ والعظمَةِ، والفَائدَةِ ككَلامِ القُرآنِ ... فيا أيُّها النَّاسُ الذين جرَت العَادَةُ فِيهم أن يُعظِّمُوا كُتَّابَهم ومؤلِّفِيهم، ومُؤلَّفَاتِهم .. أليسَ حَرِيٌّ بكم أن تَصرِفُوا التَّعظيمَ والإجلالَ للهِ الواحِدِ القهَّارِ الذي لو تحوَّلَ البحرُ ـ يمدُّه سبعةُ أبحرٍ وأكثر ـ إلى مِدَادٍ يُكتَب به لما نفَدَت كلماتُه .. ولمَا انتَهت الكتُب والمجلَّدَات التي تُكتَب فيها تلكَ الكلمات .. أليسَ حريٌّ بكم أن تَعبدُوه ولا تُشْرِكُوا بهِ شَيئاً؟!

343- مَهْما قِيلَ في القُرآنِ الكريم عن بَلاغَتِه، وإعْجَازِه، وعَجَائِبِه، وعَظَمَتِه فهو فَوقَ ذلك؛ لأنَّه كلامُ اللهِ .. واللهُ تعالى قادرٌ على أن يُنَزِّل مِن مِثلِ هذا القُرآنِ البَاهِرِ للعقُولِ عَدداً غيرَ مُتنَاهٍ؛ لأنَّ كلماته غيرُ مُتنَاهِيةٍ، ولو تحوَّلَتْ البِحَارُ إلى مِدَادٍ يُكتَب به كَلامُ اللهِ، لنَفِدَت البِحَارُ، ومَا نَفَدَت كَلِماتُ الله:[ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ]لقمان:27. [ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ]الكهف:109. وفي هذا بلاغٌ للذين يُعَظِّمون العِلْمَ، والعُلماءَ، وكِتَاباتِهم، ومؤلَّفَاتِهم .. فاللهُ تعالى أعْلَى وأَجَلُّ، وأَوْلى بالتَّعظِيم، فلو جُمِعَت كلماتُ ومؤلَّفَاتُ عُلماءِ الأرضِ كُلِّهم مِن أوَّلِهم إلى آخِرِهم، فهي لا تُوازِي ذَرَّةً في عِلمِ وكلماتِ اللهِ تعالى التي لا حُدُودَ لِنِهَايَتِهَا .. هَذا مَعَ الفَارِقِ الضَّخْمِ ـ الذي لا وَجْه للشَّبَهِ والتَّمثِيلِ فِيه ـ بين كَلماتِ المخْلُوقِ، وكَلِماتِ الخالِقِ العَلِيم القَدِير.

* * * * *

## قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ

344- [ قُلْ إِنَّمَا أَنَا ]؛ محمدٌ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، [ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ]؛ مِن ولَدِ آدم؛ يَأكلُ الطَّعامَ، ويَمشي في الأسواقِ، ويَتزوجُ النِّساءَ .. يَمرضُ، ويَألمُ، ويَحزنُ .. فيه ردٌّ على الغُلاةِ الذين غالُوا في النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وجَحَدُوا آدَميَّته، وأنَّه فوقَ البَشرِ، وأنَّه من نُور، ومِن ثمَّ صَرفُوا له أنواعاً من العِباداتِ كالاستغَاثةِ، والتَّوجه إليه بعدَ موتِه بالطَّلبِ والدُّعاءِ، وهذا من الغُلُو والشِّرك الذي حذَّر منه النبيُّ صلى الله عليه وسلم أشدَّ التَّحذيرِ، كما في الحديث:" لَا تُطْرُونِي كما أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فإنَّما أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولوا: عبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ "البخاري. [ يُوحَى إِلَيَّ ]؛ هذا الذي يُميزُه عن سائرِ البَشَرِ؛ أنَّه رسولُ اللهِ، خاتمُ الأنبياءِ والمرسلين، لا يَنطقُ عن الهوى، تجبُ طاعتُه، ومُتابعتُه، في جميعِ ما يُوحَى به إليه من رَبِّه؛ وهو الكِتاب والسُّنَّة .. وهذا فيه ردٌّ على الجُفَاةِ؛ الذين جافوا سُنَّةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما جاءَ به من عندِ رَبِّه .. واستخفُّوا بِسُنَّتِه، والعملِ بها، والاحتكامِ إليها .. وبعضُهم غالى في الجَّفاء؛ فقال بالتَّحاكمِ إلى القُرآنِ دونَ السُّنَّةِ .. وهؤلاء لا يَقِلُّون خَطَراً عن الفَريقِ الأوَّلِ .. ومِن أعظمِ ما يُوحَى إليه، وإلى مَن قَبله من الأنبياءِ والرسل، [ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ ]؛ المألُوه المعبُودُ، المطاعُ والمحبوبُ لذاته، الذي يجب أن تؤلّهوه وتَصرفُوا له العِبادةَ، وتخصُّوه وحدَه بالعبادَةِ، هو [ إِلَهٌ وَاحِدٌ ]؛ واحدٌ في ذاتِه، وواحدٌ في أسمائِه وصِفاتِه، لا شَريكَ له في الأُلوهيَّةِ ولا في الربوبيَّةِ، ولا في أسمائِه الحُسْنَى، وصِفاتِه العُليا؛ هو اللهُ تعالى، [ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ]؛ يوم القيامةِ، لِقاءً حَسَناً، واللهُ تَعالى راضٍ عنه، [ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ]؛ تَتَحَقَّقُ فيه صفة المتابعَةِ للكِتَابِ والسُّنَّة، وكُلُّ عَملٍ مخالف لما جاء في الكِتَابِ والسُّنَّةِ، فهو عملٌ باطلٌ ومَردُود، غير

صَالح، لا يجوزُ أن يُدخَل في خانةِ ومَعنى العملِ الصَّالح، حتّى لو سُجّي بعباءَةِ الدِّين، [ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ]الكهف:110. وهو شرطُ الإخْلاصِ المُنافِي لأدنى دَرجاتِ ومعاني الشِّركِ، الظاهر منه والخَفِي؛ كالرِّياءِ .. وأيُّما عِبادةٍ لا يَتحقَّقُ فيها شَرطُ الإخْلاصِ ـ حتى لو كانت عَمَلاً صَالحاً ـ فهي مردودة على صاحِبها، والله تعالى بريءٌ منها، كما في الحديث القدسي الصحيح:" قالَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى: أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ "مسلم. وفي رواية عند الترمذي وغيره:" إذا جمعَ اللهُ النَّاسَ يومَ القيامةِ ليَومٍ لا رَيبَ فيهِ، نادَى مُنَادٍ: مَن كانَ أشرَكَ في عَملٍ عملَهُ للهِ أحدًا فليطلب ثوابَهُ من عندِ غيرِ اللهِ؛ فإنَّ اللهَ أَغنى الشُّرَكاءِ عنِ الشِّركِ ".

* * * * *

## وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً

345- [ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ ]؛ يومَ القِيامَةِ، واللهُ تعالى رَاضٍ عَنْهُ [ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ]؛ موافقاً للسُّنَّةِ، تَتَحَقَّقُ فيهِ صِفَةُ المُتَابَعَةِ للسُّنَّةِ، [ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ]الكهف:110. الإخْلَاصُ المنَافِي للشِّرْكِ بِنَوعَيْه: الأكْبَرُ، والأصْغَرُ؛ شِرْكُ الرِّيَاء.

346- لأي عمل تعبُّدي شَرطان، لا يُقبَل إلا بهما معاً: أن يكونَ موافقاً للسنَّة، وأن يكون خالصاً لله تعالى، لا يشوبُه شركٌ أو رياء، وهو المراد من قوله تعالى: [ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ]؛ أي أصوبُه، وأخلَصُه. وقوله تعالى:[ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ] ؛ وهو الموافق للسُّنَّةِ، [ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ]؛ تحقيقُ الإخلاص.

* * * * *

## إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً

347- [ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً ]مريم:3. سِرّاً في ظُلمَةِ الليلِ .. خَفِيّاً عنِ المسامعِ والأبصارِ .. لاعتقادِه وعلمِه أنه قريبٌ من المنَادَى سُبحَانه .. وأن المنَادَى يَسمعُ همسَ الصُّدُورِ .. وهو أقربُ إليه مِن حبلِ الوَرِيد .. فلَا يحتاجُ أن يَسألَ مسألَةَ البعيدِ للبعيد .. وفي الحديث عن أبي موسى الأشعرب، قال: كُنَّا مع رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَكُنَّا إذَا أشْرَفْنَا علَى وادٍ، هَلَّلْنَا وكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أصْوَاتُنَا، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ:" يا أيُّها النَّاسُ ارْبَعُوا علَى أنْفُسِكُمْ، فإنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أصَمَّ ولَا غَائِبًا، إنَّه معكُمْ، إنَّه سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وتَعَالَى جَدُّهُ "البخاري.

* * * * *

## هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ

348- مهما كانت حاجتُك كبيرة، وسؤالُك صَعباً، فجوابُه مِن ربّك:[ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ] مريم:9. [إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]البقرة: 20. [ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ]آل عمران : 47. [فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ]البقرة: 186. فلا تتردّد من عرضِ حاجتك عليه؛ فأنت تعرض على قويٍّ، قديرٍ، عليمٍ، غنيٍّ، مَتين.

* * * * *

## خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ

349- [ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ]مريم:12. خُذْ تَعَالِيمَ الكِتَابِ بِقُوَّةٍ وجِدٍّ، لا تَتَهاوَن بِقَلِيلِها ولا بكَثِيرِها، ولا بِفرُوعِهَا ولا أُصُولِها.

* * * * *

## وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً

350- [ وَكَانَ ]؛ خَلْقُ عيسَى مِن أُمِّهِ مريم عليهما السَّلام، مِن دُونِ زَوْجٍ، ومِن دُون أن يمسَسْها بَشَر، [ أَمْراً مَّقْضِيّاً ]مريم:21. أَمْراً قضَاه اللهُ تعالى منذُ الأزَل، وهو كائنٌ، ونَافِذٌ لَا محَالَة .. لَا يَقبلُ الاعتِرَاضَ، ولا المعَارَضَةَ، ولا المرَاجَعَة .. فاللهُ تَعالى لَا يُراجَعُ في أمرٍ قَد قَضَاه .. ولَا بُدَّ لَكِ يا مَريم مِن أن تَتقبَّليه بنفْسٍ طَائعةٍ راضِيَةٍ .. فمَا يحزُنُكِ اليَوم، سيُرضِيكِ، ويَسَرُّكِ غَداً.

* * * * *

## قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ

351- [ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ]مريم:30. أولُ كلمةٍ نطقَ بها المسيحُ عليه السلام، وهو في المهد:[ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ]؛ الإقرارُ بالعبوديةِ للهِ عزَّ وجل؛ وأنه نبيٌّ مُرسَل، لا يتجاوزُ مقامَ العبوديَّةِ للهِ، ولَا يَستَنكفُ أن يكونَ عبداً للهِ .. مُعلِّماً وموجِّهاً لمن سيؤمن به في زمانِه، ومَن يأتي بعدَه، بأن لا يَطرُوه؛ إلى دَرجةِ أن يرفعُوه إلى مقامِ الألوهيَّةِ، وينفُوا عنه صِفةَ العبُوديَّة للهِ عزَّ وجَل .. وهو ممَّا يُخفِيه النَّصَارَى، ويُنكِرونَه؛ حتَّى لَا يُلزمُوا أنفسَهم بالتَّوحِيدِ، وبالقَولِ أن عيسَى عليه السَّلام عَبدُ اللهِ ورسُوله!

* * * * *

## وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ

352- [ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ ]مريم:31. نَافِعَاً للنّاسِ، آمِرَاً بالمعرُوفِ، ناهِياً عن المنكَرِ .. [ أَيْنَ مَا كُنتُ ]؛ فخَيرِي ليسَ مَقْصُوراً على بقعَةٍ دونَ بقْعَةٍ .. ولا على نَاسٍ دونَ ناسٍ .. فالأرضُ كُلها للهِ .. والعِبادُ كُلُّهم مِن خَلقِ اللهِ .. وحَيْثُما كُنْتُ وحَلَلْتُ، أَمَرْتُ بالمعرُوفِ، ونَهيْتُ عنِ المنْكَرِ، وعَلَّمتُ النَّاسَ الخيرَ .. وهكَذا ينَبغي أن يكونَ شَأن المسْلِمِ، لَا يكونُ قَبلِيَّاً، ولَا قطْرِيَّاً، ولَا إقلِيمِيَّاً، ولَا قَومِيَّاً .. بلْ يكونُ خَيرُه عالمِيَّاً لجميعِ النَّاسِ!

* * * * *

## وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ

353- [ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ]؛ خَلَقَنِي، وخَلَقَكم، ورَزَقَنِي، ورزَقَكم، [ فَاعْبُدُوهُ ]؛ فوحِّدُوه في العِبادَةِ .. فالخالِقُ المتفرِّدُ بالخلْقِ والربُوبيَّةِ حَقُّه أن يُعبَد، وأنْ يُخَص وحده بالعِبَادَةِ، [ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ]مريم:36. إفرادُ اللهِ تعالى وحدَه بالعبادَةِ هو الصراطُ المستقِيم الذي يُوصلُكم إلى النَّجَاةِ، وسعَادَةِ الدَّارَين .. أجرَى اللهُ هذه الكلماتِ على لِسانِ عَبدِه ونبيِّه عيسَى عليه السلام.

* * * * *

## وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

354- [ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ]مريم:48. اعتِزَالُ ومُباينَةُ ومفاصَلَةُ دَعْوةِ البَاطلِ لا يَلزَمُ منه اعتزالَ الدُّعاةِ إلى البَاطلِ؛ لِذا قُدِّمَ أولاً اعتزالُ دُعاةِ الباطِلِ على اعتزالِ ما يَدعُون إليه من البَاطِلِ .. والموقفُ لا يَستقِيمُ ولا يَصحُّ ولا يَكتَمِلُ إلا

باعتزالِهمَا ومُباينَتِهما ومُفَاصَلَتِهما مَعَاً .. وهو الخيارُ الأخيرُ الذي لا بُدَّ منه إن لم يَستجِيبُوا لِنِدَاءِ ودَعوةِ الحَقِّ .. لأن مخالَطةَ البَاطِلِ وإدْمانَ النَّظَرِ إليه، والسَّماعَ منه، من غَيرِ إكراهٍ، ولا إنْكارٍ، ولا قِيامٍ .. تُضعِفُ مَعَاني الحقِّ في النَّفسِ .. وتَمُدُّ الباطِلَ بالقوَّةِ، والحياةِ، وتُضْفِي عليه الشَّرْعيَّةَ .. وربَّما مع الزَّمَنِ واستمرارِ المخَالطَةِ يُصبحُ البَاطِلُ حَقَّاً، وخِلافُهُ هو البَاطِل!

355- [ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ]مريم:48. اعتزالُ البَاطِلِ وتجمعاته موقِفٌ عَقَدِيٌّ، سياسِيٌّ، وإيجَابِي .. له بَالِغُ الأثَرِ على الظَّالمين، وأنظمَتِهم .. وبخاصَّة لو اجتمَعَت كلمةُ المؤمنين على الاعتزَالِ .. والذي يَمُدُّ الظالمين وأنظمتَهم بالحيَاةِ، هم الأغبيَاءُ من ضِعَافِ الإيمانِ الذين يَتطلَّعُون للفُتَاتِ الذي يُرمَى لهم على حِسَابِ الكُليَّاتِ، والمصالحِ العَامَّةِ والكَبيرَةِ!

356- [ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ]مريم:48. من المواقِف التي تَستَدعِي الاعتزَالَ؛ عندما يُخيرُ المسلمُ بين خيارَين مُتماثلَين أو مُتقاربَين في الشَّرِّ .. كلاهما وجهَان لعملةٍ واحِدَةٍ .. وهو لو اختَارَ أحدَهما على الآخَر لَا يكونُ قَد قلَّل من نسبةِ الشَّرِّ، ولَا زَادَ من نسبةِ الخيرِ .. بَل يكونُ قد نصَرَ شرَّاً على شَرٍّ، وباطلاً على باطِلٍ .. وهذه ليسَت هي معركَةُ المسلم، وليسَ هذا عملُه، ولا ميدانُه .. ففي هذه الحالَةِ السياسَةُ الشرعيَّةُ، والعمَلُ بمنطوقِ الأدلَّةِ يُوجِبَان على المسلمِ الاعتزالَ، والمفاصَلَة .. وهو خِيارٌ عَقَدِيٌّ، سيَاسِيٌّ، مؤثرٌ وإيجابي .. لنا في أَبي الأنبياءِ إبراهيم عليه السلام، أُسْوَةٌ، وقُدوةٌ حسَنَةٌ .. وليسَ كما يخيَّلُ للبعضِ؛ فتراهم يُشاركُون لمجرَّدِ المشَاركَةِ بغضِّ النظَرِ عن النتائجِ والآثارِ، وليُقالُ عنهم إيجابيُّون ومشارِكُون في الأنشطَةِ الاجتماعيَّةِ والسياسِيَّة!!

357- [ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ]؛ واشتدَّت عليه الغُربَةُ بسببِ اعتزالِه ومباينَتِه للمشركين، ولشِركِهم .. أكرَمَهُ اللهُ، وآنَسَه، [ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً ]مريم:49. لا أرَى للعَقِيمِ عِلاجاً لِعِلَّتِه - بإذنِ الله تعالى ومَشيئتِه - كاعتزالِ الشِّرْكِ والمشْرِكين، والبرَاءِ مِنهم ...!

* * * * *

## وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً

358- [ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ]مريم:64. لشيءٍ؛ مَهمَا دَقَّ .. وأيَّاً كان نَوعُه .. ومهمَا تَقادَم عليه الزَّمَنُ .. فاللهُ تعالى يَعْلَمُه .. لا يَخْفَى عليه، ولا يَنْسَاه .. وهو عِندَه في كتابٍ .. لِكَمالِ ربُوبيتِه، وأسمائِه، وصِفَاتِه؛ التي تَأبَى صِفَةَ النسيانِ، وكلَّ صِفَةٍ سَلبيَّةٍ تُفيدُ النَّقْصَ، وتتعارَضُ معَ الكَمالِ .. فأنتَ يا عبدَ الله تَنْسَى مَا كان مِنْك .. حتَّى تظنَّ أنَّكَ في مَأمَنٍ مِن سيئاتِك .. لكنَّ اللهَ تَعالى لا يَنْسَى .. وإذَا ما نَزَلت فِيكَ نَازِلةُ بَلاءٍ لا تَتَسَرَّعُ في الاعتِرَاضِ، والسُّؤال: لماذا .. وكيف .. وإنما ابحث عن سَبَبِ ذلك في سِجِلِّ سيئاتِك؛ فإن وجدتَ نَفْسَك في يومِك أو أسبُوعِك الماضِي نَظيفاً مِن السَّيئاتِ .. فابحَثْ في الأشْهرِ .. والسَّنَواتِ الماضِيةِ .. فستَجدُ الكثيرَ ممَّا يُؤخَذُ عليك، وتُعاقَب عليه، واللهُ تعالى يَعْفُو عن كَثِيرٍ!

359- [ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ]مريم:64. اللهُ تَعالى يُمهِلُ، ولَا يُهمِل .. لَا يَغفَلُ، ولَا يَسهُو عن شَيءٍ، يحيطُ عِلماً بكلِّ شيءٍ؛ كان في الماضِي، أو الحاضِرِ، أو المستقبَلِ .. ومَن كان يَستَحِقُّ الإكرامَ؛ يُكرِمُهُ اللهُ، ولو بَعدَ حِينٍ .. ومَن كان يَستَحِقُّ الانتِقَامَ؛ يَنتقِمُ اللهُ مِنهُ، ولو بَعدَ حِينٍ!

* * * * *

## وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى

360- [ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ]مريم:76. وقال تعالى:[ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً ]آل عمران:173. فيه أنَّ الإيمانَ يَزيدُ وينقصُ؛ يَزيدُ ويَقوَى بالطَّاعَات، وينقُصُ، ويَضعُفُ بالمعَاصِي .. فإيمانُ الأنبياءِ، والصِّدِّيقين، والشُّهداءِ ليسَ كإيمانِ مَن هُم دونَهم مَرتبَةً في الالتزَامِ والعمَلِ .. ومَن كان الإيمانُ في قلبِه كالجبالِ، ليسَ كمَن كانَ في قلبِه مِثقَالُ خَردَلةٍ من إيمانٍ .. كما أنَّهما لا يَستويَان في الأجرِ والثَّوابِ .. فكما كان إيمانُهم في الدُّنيَا دَرَجَاتٌ، كذلك هُم في الآخِرةِ يَكونُون في الجنَّةِ دَرَجَات .. وهَذا مِن لوَازِمِه أن يتعاهَدَ المرءُ إيمانَه ويمدَّهُ بالطَّاعَاتِ لكي لا يَذْبُل؛ فيَضْعُف عن مقاومَةِ الشَّهَواتِ، والشُّبُهَات!

كثيرٌ مِن الناسِ يَشكُونَ ضَعْفَهم في مواجهَةِ التَّحدياتِ الخارجِيَّةِ، والمحيطةِ بِهم .. وهَذا مردُّه لضَعْفِ الإيمانِ في قلوبِهم .. وعِلاجُه أن يمدُّوا قُلوبَهم بمزيدٍ مِن التَّقْوَى والطَّاعات.

* * * * *

## فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ

361- [ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ]؛ على الكافِرِين المعَانِدِين الملْحِدِين نزُولَ العَذَابِ، [ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً ]مريم:84. فاللهُ تَعَالى ليسَ غَافِلاً عَنهم .. وعَن جرائمِهم .. وإنما يَعُدُّ لهم الأيَّامَ، والسَّاعَاتِ، والدقائقَ، والأنفَاسَ عَدّاً .. فيُحْصِيها عَليهم .. التي تُدْنِيهِم مِن آجَالِهم .. ومِن وعِيدِ اللهِ تعالى وانتقَامِه المقدَّرِ، والمحتُومِ، الذي لا يتَقَدَّمُ ولا يتأَخَّر!

* * * * *

وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً

362- [ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً ]مريم:95. خَالٍ مِنَ الأَخِلَّاءِ، والأَنْصَارِ، والأَعْوَانِ .. والأَقَارِبِ .. يُقَرِّرُه رَبُّه: مَا الذي غَرَّك بِيَ .. وجَرَّأك عَلَيَّ يا ابْنَ آدَم؟!

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً

363- [ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً ]مريم:96. محبَّةً وقُبُولاً في السَّماءِ، والأَرضِ .. ولِمَن يَلتمسُونَ الودَّ والمَحَبَّةَ في قُلوبِ النّاسِ، بطُرُقٍ شَتَّى، ويُنفِقون في سبيلِ ذلك الأموالَ الطَّائلَةَ .. لا تُتْعِبُوا أَنْفُسَكُم .. هذا هو الطَّريقُ الوَحِيدُ لما تَسْعَونَ إليه، وتَسْتَشْرِفُونه:[ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ]. وما سِوَاهُ خَرْطُ القَتَادِ.

364- [سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً ]مريم:96. مَحَبَّةً؛ يُحِبُّهم، ويُحَبِّبُ بِهم عِبَادَه، في الدُّنْيَا والآخِرَة.

* * * * *

## مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى

365- [ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ]طه:2. القُرآنُ تَنَزَّلَ لِنَسْعَدَ، ونَهْنَأَ، ونحْيَا حيَاةً طيِّبةً .. لا لكي نَشْقَى .. وحيثُمَا يُوجَد الشَّقاءُ، وهو العُسْرُ، والإرْهَاقُ، والتَّشَدُّد، والعنَاء، والبؤسُ .. وتحميلُ النَّفْسِ ما لا تُطِيق .. فاعلَمْ أنَّه ليسَ مِن هَدْي الإسلامِ في شَيءٍ .. وهو بخلافِ غَاياتِ التَّنزِيل!

* * * * *

## فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى

366- [ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ ]؛ مَا خَفِي عنِ العيُونِ، والمسَامِع، [ وَأَخْفَى ]طه:7. ومَا هو أخْفَى مِن السِّرِّ؛ كحَدِيثِ النَّفْسِ، ومَا تُضْمِرُه القُلُوب.

* * * * *

## هَارُونَ أَخِي . اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي

367- [ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ]طه:31. كلمَا عَظُمَت المهامُّ والغايَاتُ اشتَدَّت الحاجَةُ إلى الإخوانِ الذين نَتقوَّى بهم على تلك المهَامّ والغَايَاتِ .. وكان العمَلُ الجمَاعِي المنظَّم ضَرُورَةً ملحَّةً .. فيدُ اللهِ مع الجماعَةِ، والشَّيطانُ معَ مَن فارَقَ الجماعَةِ .. والجماعَةُ رحمةٌ، والفِرقَةُ عذَاب.

368- [ هَارُونَ أَخِي . اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي . وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي . كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً . وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ]طه :30-34. المرءُ العَاقِلُ يحرصُ أن يتخذَ لنفسِه أخَاً ـ سواء كان من

أبويه أم أخٌ له في الإيمانِ ـ ليتقوَّى به على الإيمانِ، وطاعةِ اللهِ، ونصرةِ الحقِّ .. وعلى التَّسْبِيحِ والذِّكْرِ على المستوى الشَّخصِي، وعلى المستوى العَام .. وأجَلُّ الذِّكْرِ وأعلاهُ توحيدُ اللهِ تعالى، وعبادَتُه في جميعِ ميَادِين الحيَاةِ .. وحتَّى يكونَ التَّسبيحُ والذِّكْرُ كَثيراً، ينبغي أن يكونَ الذِّكرُ ثقافةً، ومِنهاجَ حيَاةٍ، وفي كلِّ مكانٍ؛ في البيتِ، وفي العمَلِ، وفي المتجَرِ، والمصنَعِ، وفي المسْجِدِ، والمدَارسِ، والجامِعَاتِ، وفي السُّوقِ .. وعند التَّأمُّلِ، والتدبُّرِ، والتَّفكرِ .. وفي جميعِ مؤسَّسَات الحكْمِ، والدولةِ .. وعند كلِّ حركةٍ من حركاتِ الإنسانِ تَراهُ يَذكرُ اللهَ؛ فيرجعُ إليه، وإلى شَرعِه؛ ليلتَمِس حكمَهُ، ورِضَاه فيمَا يَعملُ أو يقُول، فتَشيعُ بين الناسِ، وفي المجتمعَاتِ، والمجالِسِ، ثقافَةُ وقيمُ التَّسبِيح، والذِّكْرِ .. وتَلهجُ القُلوبُ، والألسنُ بالذِّكرِ، والتَّسْبيح .. حينئذٍ يتحقَّقُ معنى:[ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً . وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ].

* * * * *

## فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى

369- [ فَقُولَا ]؛ موسى وهارُون عليهما السَّلام، [ لَهُ ]؛ للطَّاغُوتِ الظَّالِمِ فِرْعَون، [ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ]طه:44. في مَعْرِضِ الدَّعْوةِ والتَّذكيرِ يَختلفُ الحدِيثُ والأسلوبُ عنِ الحديثِ عند مَعْرِضِ الصَّدْعِ بالحقِّ في وجْهِ طاغِيةٍ ظالمٍ، وعِند النَّذَارَةِ بالوعيدِ الشَّديدِ للمخالِفين المعانِدين .. ففي الحالَةِ الأوْلَى يَسلكُ الدَّاعِيةُ مَسْلَكَ اللِّين، والرِّفْقِ، واللطفِ، ما أمكَن لذلك سَبيلاً؛ طَمَعاً في هِدايَةِ الظَّالِمِ .. وفي الحالةِ الثَّانيةِ يَسلكُ مَسْلَكَ الغلْظَةِ، والتَّهديدِ بالوَعيد .. كما فعلَ موسَى عليه السلام مَعَ الطَّاغوتِ فِرْعَون، فقالَ له:[ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُوراً ]الإسراء:102. أي هَالكاً ومَلعُوناً، ومَطرُوداً مِن الخَيرِ، والهِدايَةِ .. وهذَا خِطابٌ كما هو مُلاحَظٌ فيه غِلظَةٌ وشِدَّةٌ؛ لأنَّ

المقَامَ لم يَعُدْ مَقامَ دَعْوةٍ وتَذْكِيرٍ، وإنما هو مَقامُ إنْذَارٍ، وتخويفٍ، وتَهدِيد .. وهو مَا يَنبَغِي أن يَتفطَّنَ له الدُّعَاةُ إلى اللهِ .. فلَا يَخلِطُوا بينَ الأمْرَين .. وكَثيرٌ مِنهم مَن يَخلِطُ بينَ الأمْرَيْن؛ فيَضَعُ أحدَهمَا موضعَ الآخَر!

* * * * *

## قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى

370- [ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ]طه:50. خَلَقَ الخلْقَ، فأحْسَنَ الخلْقَ، ثم هَدَى كلَّ مخلُوقٍ إلى منافِعِه في الدُّنيا والآخِرَةِ .. فلا يُوجَدُ مخلُوقٌ لا يَعرفُ مَا ينفَعُه، ومَا يَضرُّه .. والغايَةَ مِن وُجُودِه .. حتَّى الدَّوَاب والحشَرات تهتَدي - بإذنِ رَبِّها - إلى ما ينفَعُها وما يَضُرُّها مِن الطعامِ؛ فكُلٌّ - منذ السَّاعَاتِ الأُوْلَى مِن ولادَتِه - يُقبلُ على الطَّعامِ الذي يُناسِبُه .. ويُعرِضُ عنِ الطعامِ الذي لَا يُنَاسِبُه .. وهَذا من تمَامِ وكمَالِ ربُوبيَّتِه على خَلْقِه، فلمْ يخلقْهم ثم يتركُهم عَبَثاً لأهوَائِهم مِن غَيرِ شَرِيعَةٍ تَهدِيهم.

* * * * *

## قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ

371- [ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ]طه:72. إذَا تمكَّنَ الحقُّ مِن قُلُوبِ الأحرَارِ، هانَت عليهم أنفُسُهم، وجَادُوا بها في سَبيلِ الحقِّ .. لَا يَقبلُون المساومَةَ على الحقِّ، ولو كانَ مُقَابِلُ التخلِّي عن الحقِّ سلامَةَ أنفُسِهم مِن القَتْلِ، والتَّنكيلَ، والحيَاةَ الآمِنَة، والعيشَ الرَّغِيد .. لَا يأبهون لوعيدِ الطُّغاةِ، وتَرهيبِهم، وتَهديداتِهم، وأحكامِهم الجَائرةِ .. كما لَا

تُغرِيهم عطَايَاهُم وإغرَاءاتهم، التي يتفضَّلون بها على أتباعِهم، وعبيدِهم .. فَلا يَستبدلُون الذي هو أدْنَى بالذي هو خَير .. فسُلطانُ الطُّغَاةِ مَهمَا تَعَاظَم لَا يتَعَدَّى حدُودَ الحيَاةِ الدُّنْيا القَصِيرَةِ والفَانيَةِ .. وهي لَا شَيء قيَاسَاً لما بَعدَ الموتِ، وإلى قِيامِ السَّاعةِ، وإلى ما بعدَ قِيامِ السَّاعَةِ مِن وَعْدٍ ووَعِيدٍ .. حيثُ يكونُ الحكمُ كُلُّه لله.

* * * * *

## وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى

372- [ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ]طه:73. أحياناً تمتَدُّ العينُ لمتاعٍ مِن متَاعِ الدُّنيَا .. وتَسْتَشْوفُه النَّفْسُ، وتَتمنَّاهُ .. حِينئذٍ جميلٌ أن يتَذَكَّرَ المؤمنُ أن ما عِندَ اللهِ تعالى، ومَا أعَدَّهُ لعبَادِه المؤمنين مِن نَعيمٍ عَظيمٍ .. خيرٌ مِن هذا المتَاعِ .. وأجمَلُ .. وأكمَلُ .. وأدْوَمُ .. لا يَعرفُ انقطاعاً!

373- [ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ]طه:73. قَد تُعرَضُ عليك الدُّنيا وزَخَارِفُها مُقَابِلَ أن تَدخلَ في مُوالاةِ الطُّغَاةِ الظَّالمِين، وأن تَسكُتَ عن ظُلمِهم، وتُحسِّنَ باطِلَهُم .. أو أن تَتخلَّى عن واجِبٍ مِن واجِبَاتِ الدِّينِ .. أو أن تَسكُتَ عَن حَقٍّ .. أو أن تَشهَدَ شَهادَةَ زُوْرٍ .. وقَد يقَعُ لك الخِيارُ بين اللهِ تعالى ومَا يُرْضِيه، وبينَ الطَّاغُوتِ ومَا يُرضِيه .. ولَا بُدَّ لك مِن الاختِيارِ .. فحِينَئذٍ يجبُ عليك أن تختارَ جانِبَ اللهِ تعالى، ومَا يُرضِيه .. وأن تَعْلمَ أنَّ ما عِندَ اللهِ تعالى خُيرٌ، وأعظَمُ، وأجمَلُ، وأبْقَى مِمَّا يَعرضُه عليك الطَّرَفُ الآخَر مِن متَاعِ الدُّنْيا وزُخْرُفِهَا!

* * * * *

## إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ

374- [ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً ]؛ مُشركاً، [ فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ]طه:74. هذه عقُوبَةُ مَن يموتُ على الكُفْرِ والشِّرْكِ .. أمَّا مَن يموتُ مؤمناً، وعلى التَّوحِيدِ، مَهمَا كان منه مِن ذَنبٍ أو تَقصيرٍ فإنه يُترَك إلى مشيئةِ اللهِ، إن شاءَ عذَّبَه، وإن شاء عَفَا عَنه .. ولو عَذَّبَه لا يخلِّدُه في النَّارِ خلُودَ الكافِرِ المشْرِك.

* * * * *

## وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً

375- [ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً ]طه:108. إلَّا الإخْلاصُ، يأذَنُ اللهُ له أن يَرفَعَ صَوتَهُ، وأن يُجَادِلَ عَن صَاحِبِه.

* * * * *

## إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً

376- أنتَ في دُنيَاكَ مُخَيَّرٌ، تَفْعَلُ أو لا تَفْعَل، تَقُولُ أو لا تَقُول، لأنَّهَا دَارُ عَمَلٍ .. أما في أُخْرَاكَ، لا خِيرَةَ لَكَ في شَيءٍ، تُسْلَب مِنْكَ حُرِيَّةُ الاختِيَار، حتَّى الكَلَامَ، لا تَقْدِر عليه إلَّا أنْ يُؤذَن لك فيه، وبَعْدَ أن يُحَدَّدَ لَكَ مَاذا تَقولُ، وكَمْ مِنَ الكَلِمَاتِ والأَحْرُفِ تَقُول، لأنَّها دَارُ جَزَاءٍ وحِسَابٍ [ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ] طه:109. [ لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً ]النبأ:38. [ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ للهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ]الحج:56. [ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ]غافر:16. فاغْتَنِمْ زَمَنَ خِيرَتِكَ، لِزَمَنٍ لا خِيرَةَ لَكَ فِيه.

* * * * *

## وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً

377- [ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ]طه:110. اللهُ تعالى يُحيطُ بعبادِه عِلماً، فلَا يَخفَى عليه شيءٌ من أحوالِهم .. بينما عِبادُه، لَا يُحيطون بذَاتِه عِلماً، مهمَا بحثُوا، وغَاصُوا، وتكلَّفُوا الدروبَ الصَّعبةَ فلن يَصِلُوا إلى شيءٍ، ولَا يَقدرُون .. لذا نُهِينا أن نتفكَّر بذاتِ اللهِ سُبحانه، أو أن نبحثَ عن كيفيَّة ذاتِ اللهِ، فهذَا فوقَ قُدُرَات الإنسانِ .. وهو مَدخَلٌ واسعٌ للتيهِ والضيَاعِ .. وهنَاك مَن حَاولَ فضَاعَ .. وإنما أُمِرنَا أن نتفكَّرَ بصِفاتِه العُلْيَا، وبأسمائِه الحُسنَى، وبالآثارِ الدَّالَّةِ على عظَمَةِ صِفَاتِ وأسماءِ اللهِ تَعالَى .. فهذَا الجانِبُ مِن العِلمِ محمُودٌ ومَطلُوب، وهو ممَّا يُقربُ العبدَ مِن رَبِّه.

* * * * *

## وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً

378- [ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ]طه:111. مَنْ حَمَلَ شِركَاً، وأتَى رَبَّهُ مُشرِكَاً .. قَد خَابَ، وخَسِرَ!

* * * * *

## وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

379- [ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ ]؛ الطَّاعاتِ الظاهرةِ والباطِنةِ التي أمرَ اللهُ بها، ورسولُه صلى الله عليه وسلم، [ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ]؛ موحِّدٌ لربِّه، مجتنبٌ للشركِ، وهو شرطٌ لقبولِ العمَل .. فلو فعلَ الطَّاعات وهو متلبسٌ بالشركِ، لا تُقبَل منه الطَّاعَات، ولَا يَستفيدُ منها يوم القيامَةِ .. أمَّا مَن أتَى بالطاعاتِ وهو مؤمن موحِّدٌ، فهذا [ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً ]؛ لا يخافُ أن يُزاد في سيئاتِه، أو أن يحاسَب فيما لم يَفعَل، ولم يرضَ به، [ وَلَا

هَضْماً ]طه:112. كذلك لا يخافُ أن يُنتقَص من حسناتِه شَيء .. أو أن لا تُقبل منه الحسَنات .. بل يُزادُ، ويضاعَفُ له في الحسناتِ أضعَافاً مضَاعَفَة، كرَماً ومَنّاً مِن اللهِ تعالى.

* * * * *

## وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً

380- [ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ]طه:114. لأنَّ مَا بَعدَه مُعَلَّقٌ به؛ فَلا زِيَادَةَ في الإيمَانِ، والمعْرِفَةِ، والعَمَلِ إلَّا بزيادَةِ العِلمِ .. فإنْ زَادَ زَادُوا، وإنْ نقص نَقصُوا .. وفيهِ أنَّ المرءَ مهمَا طَالَ عمرُه، وبَلَغَ عِلْمُه .. يَظلُّ يَستزيد عِلْماً .. فالعُمْرُ يَنتَهِي، والعِلمُ لا يَنتَهِي، وكُلٌّ مُيَسَّرٌ لما قُسِمَ له .. قال ابنُ عُيَيْنَة:" لَمْ يَزَلْ صلى الله عليه وسلم في زِيَادَةٍ حتّى تَوفَّاهُ اللهُ عزَّ وجل ". وقد ركبَ موسى عليه السلام البِحَارَ من أجْلِ أن يَستزيدَ عِلماً مِن الخَضِر.

381- [ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ]طه:114. زِدْنِي عَمَلاً بطَاعَتِك؛ أزْدَد بِهِ عِلْماً!

* * * * *

## فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ

382- [ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ]طه:120. هذه الشجرةُ كأيِّ شجرةٍ، ليسَ فيها مَا يُميِّزُها عن أشجارِ الجنَّةِ، سوى أنَّها يُمنَع مِن الأكلِ منها .. ففي الجنَّةِ مِن الأشجارِ، والثمارِ، والخيرَاتِ ما هو خَير منها بكثيرٍ .. وبالتَّالي لَا يمكن أن تجذبَ آدمَ إليها معَ نَهي الخالق له عن الأكلِ مِنها .. والشيطانُ الرَّجيمُ ـ عَدُو آدَم، وعدُو ذُريَّته مِن بعدِه ـ أدرَك ذَلك .. فأخَذَ يُزينُ الشجرةَ لآدَم،

ويَصفُها بخصَائِص، وصِفَاتٍ ليسَت فيها؛ تجعَلُ آدَمَ مَشدُوداً للأكلِ مِنها .. فوصَفَها ـ وهو كَذُوب ـ بأن من أكلَ مِن هذه الشجرةِ يُكتَبُ له الخُلدُ؛ فلا يموتُ أبَداً، ويُعطَى مُلْكٌ دَائِمٌ لا يَنقضِي أبَداً .. وهذا مَعنى تَستشوفُه النُّفُوسُ، وتَرغبُه .. فضَعُفَ آدَمُ؛ فصَدَّقَ عَدُوَّه الكَذُوب، وأكلَ مِنها .. وهكَذا حَالُ الشَّيطانِ مَعَ كلِّ باطلٍ ـ وإلى يومِ القِيامَةِ ـ ليجعلَه رائجاً، ومُستسَاغاً، وحتَّى لَا يبُور، يُضفِي عليه ألقَابَ وأوصَافَ المدِيح .. ويَصفُه بمَا ليسَ فِيه، ويُسميه بأسماءٍ تَستحسنُها الآذَانُ والأذْوَاقُ!

* * * * *

## قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ

383- [ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ]طه:123. مِن ذلك الوَقت الذي أَمَرَ اللهُ فيه آدمَ عليه السلام، وإبليسَ اللَّعِين بأن يهبِطَا من الجنَّةِ إلى الأرضِ، فإنَّ الصِّراعَ والتَّدَافُعَ قائمٌ بينَ الحقِّ وبينَ البَاطِلَ .. والعدَاوَةُ مستمرَّةٌ بين إبلِيس وذُريَّته، وأتبَاعه من الكافِرين، وبينَ آدمَ عليه السلام، والمؤمنِين مِن ذُريَّتِهِ، وإلى يَومِ القيامَةِ .. هذا التَّدافُع والصراعُ يقرُّهُ النَّقْلُ، والعَقْلُ، والواقعُ المشَاهَد، والمعَايَش .. لَا تُلغيه المجامَلاتُ، ولا المؤتمرَات، ولا النَّدَواتُ الدَّاعِية إلى التَّعايُشِ .. فالحقُّ لا يمكنُ أن يَرضَى عن البَاطِلِ، والبَاطِلُ لا يمكنُ أن يَرضَى عن الحقِّ .. والخيرُ لا يمكنُ أن يتعايَشَ مَعَ الشرِّ، ولا الشرُّ يمكنُ أن يتعايشَ مع الخيرِ .. فهما في اتجاهَين متَضادَّين، متَعاكسَين، مُتَنَافِرَين، وإلى أن يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها .. هكَذا هي الحيَاةُ على هذه الأرض، شِئتَ أَمْ أبَيْتَ، رَضِي مَن رَضِي، وأَبَى مَن أبَى .. وأنتَ عليك أن تختَارَ ـ ولَا بد لك مِن الاختيَارِ ـ إمَّا أن تنحازَ إلى الحقِّ، وتُقَاتِلَ دُونَه .. وإمَّا أن تنحازَ إلى البَاطِلِ، وتُقاتِلَ دُونَه

.. إمَّا أن تكونَ جنديَّاً مِن جنُودِ الحقِّ .. وإمَّا أن تكونَ جُنديَّاً مِن جنُودِ الشَّيطَانِ اللَّعِين.

## فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى

384- [ فَمَنِ اتَّبَعَ ]؛ لا يكفي مجرَّدُ الإيمانِ والتَّصديقِ من غيرِ متابعَةٍ؛ إذْ لا بدَّ معَ الإيمانِ والتصديقِ من انقيادٍ ومتابعَةٍ لهدْي الأنبياءِ والرُّسُل، [ هُدَايَ ]؛ وهو الشرعُ المنزَّل على الأنبياءِ والرسُلِ، وتحقَّقت في المتَّبِع صِفَةُ المتابعَةِ والانقيادِ ظاهِراً وباطناً، [ فَلَا يَضِلُّ ]؛ عن الحقِّ إلى الباطِلِ .. بل يكونُ الحقُّ حليفَه طيلةَ حياتِه، ويكونُ لديه من اللهِ النور الذي يمكنُه من التمييزِ بين الحقِّ والباطلِ، [ وَلَا يَشْقَى ]طه:123. في الدُّنيا ولا في الآخِرَة!

* * * * *

## وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا

385- [ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ]؛ عَن عِبَادَتِي، [ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ]؛ مَعِيشَة يجتمعُ فيها الضِّيقُ، والعُسرُ، والشَّقَاءُ، والخوفُ، والقَلَقُ، والتِّيه، والضَّياعُ، والكآبَةُ، [ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ]طه:124. أعْمَى البَصرِ؛ فيُعاقَب مِن جِنْسِ ذَنْبِه؛ فكَما أعْمَى بَصَرَه في الدُّنيَا عن كتابِ اللهِ، وعن النَّظَرِ في آياتِه، يُبْعَثُ يومَ القِيامَةِ أعْمَى البَصَرِ.

* * * * *

## وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى

386- [ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ]طه:132. هذا هو مِيزانُ التَّفَاضُلِ عِندَ اللهِ، إنَّه مِيزانُ " التَّقْوَى "، وليسَ شيئاً آخَر غير التَّقْوَى .. فمن حقَّقَ التَّقْوَى فقَد فازَ، وكانَت عاقبتُه التي يَنتَهي إليها هي الجنَّة .. ومَن لم يحقِّق التَّقوَى ـ مَهمَا حقَّقَ مِن موازِين الأرضِ ـ فقَد خَابَ، وخسرَ، وكانت عاقِبتُه التي يَنتهي إليها هي نار جهنَّم!

* * * * *

## قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا

387- [ قُلْ ]؛ يَا أيُّها المؤمنُ قُلْ .. وليكُنْ آخَرُ كلامِك للكافِرين الذي يرفضُون الإيمانَ، ويَردُّون الحق والحجَجَ والبراهِينَ، ويُقَامِرُون ويُراهِنُون على مصِيرِهم يومَ القيامَةِ، [ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ ]؛ نحنُ وأنتم؛ كلٌّ مِنَّا منتظرٌ، ويتربَّصُ بالآخَر؛ لمن ستكونُ العاقِبةُ يومَ القِيامةِ؛ للمؤمنِين أم للكافِرين، [ فَتَرَبَّصُوا ]؛ انتظرُوا، واستمرُّوا في المقامرةِ والرِّهانِ، والأمَلِ من غير إيمانٍ ولا عملٍ، [ فَسَتَعْلَمُونَ ]؛ غَداً؛ يوم القِيامَةِ، يومَ تتكشَّفُ الحقَائقُ للعيَانِ، ويُصبحُ الخبرُ، وما كنتم تُراهنُون وتُقامرُون عليه عينَ اليَقِين، الذي لا يمكن نكرانُه، ولا تَنفعُ معه التوبةُ ولا النَّدامَة، [ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ]طه:135. مَن هم أهلُ الحقِّ والاستقامَةِ على الصراطِ المستقِيم .. ومَن كان على هُدَى، ومَن كان على ضَلالٍ .. نحنُ أم أنتم .. وهذا سؤالٌ ليسَ للاستفهَامِ، وإنما للتَّوبيخِ، والتَّقريعِ، والتَّهديدِ، والوَعيدِ الأليم!

* * * * *

## لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ

388- [ لَاهِيَةً ]؛ اللَّهو غَفْلَةٌ معَ انشغالٍ، ولَعِبٍ، وانصِرَافٍ عمَّا يجبُ الإقبالُ عليه، [ قُلُوبُهُمْ ]الأنبياء:3. عن آياتِ القُرآنِ الكريم، وعن تَدبرِها، وعمَّا تحملُه مِن دَلالَاتٍ ومعَانٍ، وأحكَامٍ وشرَائع .. فمردُّ عَقْلِ الأشياءِ إلى القُلُوبِ التي في الصدُورِ؛ فالقَلبُ العامرُ بالدُّنيا، ومشَاغِلِها، وهمُومِها، ولهوِها، ومتَاعِها، الذي يَقلَقُ، ويَطربُ لرنَّةِ الدِّرهَمِ والدِّينارِ .. أنَّى له أن يَعقلَ المرادَ مِن آياتِ التَّنزِيلِ، أو أن يَنتفعَ بها .. وهو لو استمعَ إليها يَستمع إليها على طريقَةِ الغافلِين اللَّاعِبِين!

* * * * *

## بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ

389- [ بَلْ قَالُوٓاْ ]؛ الكُفَّارُ عن القُرآنِ الكَرِيم، [ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ]؛ إفادَاتٌ متعَدِّدَةٌ مُتَضَارِبَةٌ لَا تثبتُ على رَأيٍ أو قَرَارٍ، ولَا تَقومُ على بُرهانٍ؛ تَنمُّ عن الغَيظِ، والجهلِ، وعنِ الرُّعْبِ الشَّديدِ الذي مَلَأ صدُورَهم مِن القُرآنِ الكريم، ومِن أثَرِه على نفوسِ وعُقُولِ النَّاسِ .. وأثَرِه على زَوالِ مخصَّصَاتِهم، وامتيازَاتِهم، واستعلائِهم .. يَقُولون ذلك وهم عاجِزُون عن أن يَأتُوا بسورَةٍ مِن مِثْلِه .. ثمَّ ينتقلُ الكفَّارُ إلى مطلبٍ آخَر للتَّدليلِ على بُطلانِ القرآنِ بزعمِهم .. والتَّدليلِ على عجْزِهم .. وهذا شأنُ الكفَّار الجاحِدِين ـ العَاجزِين عن مواجَهةِ القُرآنِ وحقَائقِه بالحُجَّةِ والعِلمِ والمنطِقِ ـ على مَرِّ العصُورِ والأزمانِ وإلى قيامِ السَّاعَةِ، عندما يُريدُون أن يَفرُّوا من الإيمانِ، ومِن تَبِعاتِه:[ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ ]الأنبياء:5. يَستعجِلُون العذَابَ، ونزولَ الآياتِ الماديَّةِ المحسُوسَةِ والمُشَاهَدَةِ .. وفي الوقتِ الذي يشاؤونَه ويحدِّدُونَه .. لأنَّهم لا يُؤمنون إلا

بما تُدرِكُه حواسُّهم، وأبصارُهم .. بل حتَّى بعدَ نزول الآياتِ الماديَّةِ المحسوسَةِ، تجدهم يُكابرُون، ويقولون عنها: سحرٌ .. وساحِرٌ .. والطَّبيعَةُ .. والأسْبَابُ .. ومَن لم تقنعْهُ مُعجِزَةُ القُرآنِ الكريمِ الخالِدَةِ، فلن تقنعَهُ مُعجزَةٌ أُخْرَى!

* * * * *

## وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً

390- كلما اشتدَّ ظُلمُ القُرَى كان ذلك إيْذَاناً بأفُولِها، وكان بُشرَى خيرٍ للمستضعفين المظلومين، سُنَّةٌ من سُنَنِ اللهِ تعالى في خَلْقِه لا تَتغيّر ولا تتبدّل، [ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ ]الأنبياء:11. فالأخْذُ والاسْتِبْدَالُ يكونُ مع الظُّلْمِ لا العَدْل!

الظَّالمُ يَفْرَحُ بظُلْمِه وبَغْيه، ويَغْفَلُ أنَّ حَتْفَهُ فِيما قد فرِحَ به!

* * * * *

## بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ

391- [ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ ]؛ نَرمي بالتَّوحِيدِ، وَمَا وَالَاه، [ عَلَى الْبَاطِلِ ]؛ على الشِّرْكِ، ومَا وَالَاه، [ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ]؛ فيُزِيلُه، ويُبْطِلُه، ويَقْضِي عليه، [ وَلَكُمُ ]؛ أيُّها المشرِكُون الكافِرُون، [ الْوَيْلُ ]؛ العذَابُ الأليمُ، [ مِمَّا تَصِفُونَ ]الأنبياء:18. ممَّا تَكْذِبُون، وتُكَذِّبُون.

* * * * *

## لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ

392- [ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ]؛ لجَلالِ وكمالِ صِفاتِه، وعَظمَةِ أسمائِه الحُسْنَى، ولأنَّه خالِقُ الخلْقِ، ومَالِكُ المُلْكِ، رَبُّ العَالَمِين، لا يَصدُرُ عنه إلا حَقٌّ، وعَدلٌ، وخَيرٌ، وإحْسَانٌ .. ولِكَمالِ ربُوبيَّتِه وألوهيَّتِه لا تُوجَدُ سِلْطَةٌ، أو جِهَةٌ قادِرَةٌ على أن تَسأَلَه، أو أن تُراجِعَه في أمرِ قَضَاه وَشَاءَه، أو أنْ تُحاسِبَه، أو تُعَقِّب عليه، وعلى حُكْمِه، [ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ]الأنبياء:23. وكُلُّ ما سِوَاه فهو عَبدٌ مخلُوقٌ مَرْبُوب، مَملوكٌ، مجبُولٌ على النَّقْصِ، والضَّعْفِ، ليسَ له شَيءٌ ممَّا للهِ تَعَالى من الأسماءِ الحُسْنى، والصِّفَاتِ العُلْيَا .. يُسْأل عن أفعالِه، وأقوالِه، وعن كُلِّ مَا يَصْدرُ عنه، وعن مَدَى أدائِه للأمانَةِ فِيمَا استأمنَه اللهُ عليه واسترْعَاه .. فَلا أحَدٌ غير اللهِ فوقَ المساءَلَة والمحَاسَبَةِ .. ومَن رَضِي لنَفْسه أن يكونَ فوقَ المساءلَة، وأنْ لا يُسْأَلَ عمَّا يفعَل، فهو طَاغُوت .. وقد جَعَلَ من نفْسِه نِداً للهِ عز وجل، ومَن رضيَ له هذه الصِّفَةِ، وأقَرَّهُ عليها، فقَد أشْرَكَهُ معَ اللهِ فِيما هو مِن خُصُوصيَّاتِ اللهِ تعالى وحدَه، واتَّخذَه نِداً للهِ عزَّ وجل!

* * * * *

## كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ

393- [ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ] الأنبياء:29. مَن يَقُل منهم إنِ الحِكْمُ إلَّا لي من دُونِ اللهِ؛ فالحقُّ ما أرَاهُ حَقّاً من دُونِ اللهِ، والباطِلُ ما أراهُ باطلاً من دُونِ اللهِ، والحلالُ ما أراه حَلالاً من دُونِ اللهِ، والحرامُ ما أراهُ حَراماً من دُونِ اللهِ، وأنا المطاعُ لِذاتي من دُونِ اللهِ، وأنا المحبوب لِذاتي من دونِ اللهِ؛ فيَّ يُعقد الولاءُ والبراءُ من دُونِ اللهِ، وعلى النَّاسِ طَاعَتي واتِّباعي ..

فهؤلاء كلهم يدَّعُون الألوهيَّة من دُونِ الله، وهؤلاء كلهم معنيون، من قولِه تعالى:[ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ].

* * * * *

## وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً

394- [ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ]الأنبياء:35. هَل يُقَابَل بَلاءُ الشَّرِّ بالصَّبرِ، وبَلاءُ الخيرِ بالشُّكْرِ ...؟

395- كثيرون هم الذين ينجحون في فتنةِ الشِدَّة، بينما قلّة هم الذين ينجحون في فتنةِ الخير، والرخاءِ، والسّعة! [ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ]الأنبياء:35. [ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ]يونس:12. [ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ]المؤمنون:75.

396- [ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ]الأنبياء:35. المَنْعُ والعَطَاءُ، كلاهما اختبارٌ وبَلاء.

* * * * *

## قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ

397- [ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ]الأنبياء:68. هكذا يتَنادَى أهلُ الباطلِ - مِن قبل، واليوم، وغَداً - بفزَعٍ وخوفٍ، وقلَقٍ، لنصرةِ وسلامَةِ طواغيتِهم، وأصنامِهم التي يَعكفون على عبادَتِها مِن دونِ اللهِ .. إذا ما تَعرَّضَت للخَطَر أو التهديدِ مِن قِبَلِ سهامِ الحقِّ .. وحتى لا تفقدُ مكانَتها في نفوسِ الناسِ، فيفقدُ الناسُ توقيرَهم

وتعظيمَهم وعبادَتهم لها .. فلا سبيلَ لهم لمواجهةِ الحقِّ بالحجةِ والمنطقِ والعِلم .. فيلتجئون إلى العنفِ، والتَّرهيبِ، والتخويفِ .. يَلتجئون إلى التَّحريقِ، والقتلِ، والسَّجنِ، والتهجيرِ، والتَّدميرِ .. هذه وسائلُ الطغاةِ الظالمين على مدارِ التاريخ .. وهي وسائلُ الضعفاءِ المهزوزِين المهزُومين؛ وسَائل مَن لا دِين حقٍّ لهم، ولا عَقْل سَليم .. مَا غَلَبَ عُنْفٌ حَقًّا، وإن كان للعُنْفِ جَولَةً، فللحَقِّ جَوْلَاتٌ.

* * * * *

## فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ

398- [ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ]الأنبياء:79. مِن أعظَمِ نِعَمِ اللهِ على العَبدِ أن يمنَّ عليه بنعمَةِ الفَهْمِ لحقيقَةِ الأشياءِ، ودوافِعِهَا، وأسبَابِها، والفَهْم الصَّحيح للمسائل التي تُعرَضُ عليه .. إذا نزلَ به بلاءُ خَيرٍ، أحسَنَ فَهْمَه، وتَفسيرَه، وفَهْمَ الغَايَةِ مِنه، ورَدَّه إلى أسبَابِه الحقيقيَّةِ .. وإذَا نزَلَ به بَلاءُ شَرٍّ أحسَنَ فهْمَه، وتَفسيرَه، وأحسنَ فهمَ الغَاية مِنه، ورَدَّهُ إلى أسبَابِه الحقيقيَّةِ، ليُحْسِنَ مُعالجتها، والتَّعامل معَها، ودَفْعَها ما أمكَنَ لذلك سَبيلاً .. كَمْ مِن خَيرٍ نتعاملُ معه كشَرٍّ، وكَمْ مِن شَرٍّ نتعامَلُ معه كخيرٍ .. ويكونُ مرَدُّ ذلك إلى الخطأ في الفَهْمِ .. كم مِن عَدَاوَةٍ ـ تُفرِّقُ الصفُوفَ، وتُباعِدُ ما بينَ القُلُوبِ ـ مرَدُّها إلى سُوءِ الفَهْمِ .. نصٌّ واحدٌ، شخصٌ يَستنبطُ مِنه مَسألةً أو فائدةً واحِدَة .. وشخصٌ آخَر يَستنبطُ منه عَشْرةَ مسَائل أو فوائد، وأكثر .. ويكونُ مردُّ هذا التبَايُنِ في الاستنباطِ إلى الفَهمِ الذي يمنُّ اللهُ به على كلٍّ مِنهما .. نسألُ اللهَ تعالى أن يمنَّ علينا بنعمةِ الفَهْم، وأن يزيدَنا فهماً على فَهْمٍ.

399- [ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ]الأنبياء:79. فيه أنَّ الصَّغِيرَ يُمكنُ أن يَفهمَ مَسألةً أو مَسائلَ لم يَفهَمْها مَن هو أكبرُ مِنه .. ولَا يَعني ذلك أن الصَّغيرَ أَعلمُ، وأفضَلُ مِن الكَبِير.

* * * * *

## وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ

400- [ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ]الأنبياء:85. إنَّهم أنبياءُ اللهِ عليهم الصلاة والسلام .. فِيهم مِن الخِصالِ الحميدَةِ الكَثِير، الكَثِير .. فخصَّ اللهُ تعالى منها بالذِّكْرِ؛ الصَّبْرَ، وأنَّهم كانوا مِن الصَّابِرين على طاعَتِه، وعلى القيامِ بمهام النبوَّةِ، وتحمُّلِ تبعاتِها .. لما للصبرِ والصَّابرين مِن مَقَام رفيعٍ ومحمودٍ عند الخالقِ سُبحانه وتعالى.

* * * * *

## وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً

401- [ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً ]؛ لقَومِه، [ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ]الأنبياء:87. على الدَّاعيةِ أن يمضِي في دَعوتِه إلى اللهِ، وفقَ أمرِ اللهِ، ونهجِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، إلى نهايةِ الطريقِ، وحتى يأتيَه اليَقِين، سَواءٌ استجابَ له قومُه أم لم يَستجيبُوا .. وليسَ عليه أن يتضجَّرَ أو يقِلَّ صَبرُه، أو أن يملَّ الدعوةَ إلى الله مِن أولِ الطريقِ، وعِندَ أولِ اختبارٍ له؛ فيهجُر الناسَ، ويَهجر دعوتَهم إلى الإيمانِ، وإلى عبادَةِ الله تعالى وحدَه، في حالِ لم يَستجب له الناسُ أو قلَّ فِيهم مَن يستجيبُ لَه، ويَقول: دَعوتُهم ولم يَستجيبُوا لي، ولم يتَّبعني من الناسِ إلا قَليلاً .. لَا .. فهو يُتَاجرُ معَ اللهِ، ويَعملُ للهِ .. فعليه هِدَايةِ الناسِ هِدَاية دَلَالة، وأن يَصبرَ عليهم، وعلى دعوتِهم، أمَّا هِداية

التَّوفِيق، والطَّاعةِ، والاتباعِ فهي على اللهِ وحدَه .. عليه أن يَغرسَ الخيرَ، أمَّا الزَّرعَ فيتركُه على اللهِ.

* * * * *

## لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ

402- [ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ]؛ ظُلْمَةُ بَطْنِ الحُوتِ، وظُلْمَةُ البَحْرِ، وظُلْمَةُ اللَّيلِ .. ظُلماتٌ بَعضُها فوقَ بعضٍ، وأنَّى لِنداءٍ أن يُسمَعَ تعْلُوه، وتُحِيطُ به هذهِ الظُّلمَات إلَّا مِن رَبٍّ قَدِيرٍ لَا يَخفَى على سَمْعِه، ولا على بصَرِه شَيءٌ، [ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ]الأنبياء:87. استغَاثَةٌ مُسْتَعْجَلَةٌ جمَعَت بينَ التَّوحِيدِ، والتَّسْبِيحِ، والإقْرَارِ بالذَّنْبِ .. لَا يَقْوَى، ولَا يَسْتَعصِي عليها كَرْبٌ .. ولو كانَ المكروبُ في بَطْنِ الحُوتِ!

403- [ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ]الأنبياء:87. دعاءٌ يجمعُ بين التَّوحِيدِ، وبينَ الإقرَارِ بالذَّنْبِ، والاستغْفَارِ .. لا يَخيبُ، ولا يُرَد.

* * * * *

## إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

404- [ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ]الأنبياء:90. ما أنْبَلَها وأعظَمَها مِن صِفَةٍ؛ إنَّهم لا يَفعلُون الخَيراتِ وحَسْب، بَلْ مَا إن يَستشرِفَ لهم بابُ خَيرٍ وطاعةٍ إلا ويُسارِعُون إليه، وكأنَّهم في سِباقٍ، اغتِنَاماً لَه قَبْلَ أن يُغْلَقَ دُوْنَهم .. وهذه ليسَت صِفَةً لحْظِيَّةً آنِيَّةً، بل هي دائمةٌ لازِمَةٌ لجميعِ أحْوَالِهم!

405- [ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ]الأنبياء:90. في فِعْلِ الطَّاعَات.

406- [ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ]الأنبياء:90. هكذا شأن الأنبياء، وأتباع الأنبياء؛ فإنهم في سباقٍ مع الزَّمن؛ فلا تمرُّ ساعةً إلا ويبذلون فيها خيراً لأنفسهم، أو للناس، أو لأنفسهم وللناس معاً، إمّا يأمرون بمعروف، أو ينهون عن منكر .. أو يمشون في حاجةِ مكروبٍ أو محتاج .. أو يُغيثون ملهوفاً .. أو ينصرون مظلوماً .. أو ينفقون من فضل زادهم على ذوي الحاجة والمساكين .. أو يعودُون مريضاً .. أو يزورون رَحِماً .. أو يَلقون إخوانَهم ومن لهم حق عليهم بوجه طلق .. أو يُكرمون جاراً .. أو يُميطون الأذى عن طريقِ النّاس .. أو يغرسون لأنفسهم صدقة جارية تنفعهم بعد الممات .. أو ينشغلون لأنفسهم بالذِّكر، والتلاة، والتأمّل، وغير ذلك من أنواع العبادات والطاعات ... سارِعْ يا عبد الله .. ثم سَارِعْ .. ثم سارع وسابِق .. ولا تدع أحداً يَسبِقُك في فِعلِ الخيرات!

* * * * *

## وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً

407- [ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً ]الأنبياء:90. رَغَبَاً بالجنَّةِ، ورَهَبَاً مِن النَّارِ .. والجَنَّةُ اسمٌ جَامعٌ لكلِّ نَعيمٍ فِيها، والنَّارُ اسمٌ جامعٌ لكلِّ عَذَابٍ فِيها.

408- [ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً ]الأنبياء:90. هذه صِفَةُ الأنبيَاءِ، وأتباعِهم من المؤمنين على مرِّ العُصُور، وإلى يومِ القِيامَةِ .. لا يحيدُ عنهم وعَن طريقَتِهم في العِبادةِ والدُّعاءِ إلَّا ضَالٌّ .. والآيةُ الكريمةُ فِيها رَدٌّ على القائِلين أنهم يَعبدُون اللهَ تعالى محبةً فقَط، وليسَ رَغبةً برحمتِه وجنَّتِه، ولا خوفاً من عذابِه وانتقامِه .. وبَعضُهم مَن غَالى فاعتَبَرَ مَن يَعبد اللهَ تعالى [ رَغَباً ]؛ بالجنَّةِ، ونَعيمِ اللهِ يَوم القِيامَة، [ وَرَهَباً ]؛ مِن نَارِ جَهنَّم ومِن عذَابِ اللهِ، مِن الشِّرك!! .. فيُعارِضُون ـ لسوءِ فَهمِهم ـ بينَ العِبادَةِ عن محبَّةٍ، وبينَ

العِبادَةِ، [ رَغَباً وَرَهَباً ]، ولَا تعارُضَ بينَهما .. واللهُ تعالى كما لَه الأسماءُ الحُسْنَى والصِّفاتُ العُلَيَا القَهْرِيَّةِ؛ كالقَهَّارِ، والجبَّار، والمنتَقِم، والعَزيزِ، والقَادِرِ، شَديد العِقابِ؛ والتي تَقضي مِن العِبادِ أن يَعبدُوه مِن جهةِ الرَّهبةِ والخشيَةِ .. كذلك له سُبحانه الأسماء الحُسنى، والصِّفات العُليا التي تَقضِي على العِبادِ أن يَعبدُوه مِن جهةِ الرَّغبةِ، والرَّجاءِ، وحسنِ الظنِّ، كالغفُورِ، والرحمنِ، الرَّحيمِ، الودُود، الرَّفيق، الكَريم، اللَّطيفِ، الجميلِ، الحَلِيمِ، الصَّبُور .. وغيرها من الأسماءِ والصِّفَات.

* * * * *

## إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ

409- [ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ]الأنبياء:92. إنَّها أُمَّةُ العَقِيدَةِ، والدِّينِ، والإيمانِ .. أُمَّةُ الإسلامِ العَابِرَةِ للزَّمَانِ، والمكانِ .. لَا يحدُّها زَمَانٌ، ولا مكانٌ .. فزمَانُها؛ الماضِي، والحَاضِرُ، والمستقبَلُ كُلُه؛ وهو ممتدٌّ مِن لَدُن آدَم عليه السلام، مرُوراً بجميعِ الأنبياءِ، والرُّسُلِ، وانتهاءً بخاتَمِ الأنبياءِ والرُّسلِ، وإلى آخِرِ مسلمٍ يعيشُ على وجهِ هذه الأرضِ، وإلى أن تَقومَ الساعَةُ .. فهؤلاء جميعُهم ـ على اختلافِ ألوانِهم، وقوميَّاتِهم، ولغَاتِهم، وجنسياتِهم ـ أُمَّةٌ واحِدَةٌ مِن دُونِ النَّاسِ .. أمَّا مكانُها؛ فهي لَا تَعرفُ التقوقعَ والانحباسَ في حدُودٍ جغرافيَّةٍ معينَةٍ .. فهي عابرةٌ للحدُودِ والقَارَّاتِ .. وحيثما يُوجَدُ مسلمٌ في الشَّرقِ أو الغَرْبِ، في الشِّمالِ أو الجنُوبِ .. فهو يَنتمي إلى أُمَّةِ الإسلامِ الواحِدَةِ، وأُمَّةُ الإسلامِ تَنتمِي إليه .. تَألمُ الأُمَّةُ لأَلمِه، ويَألمُ لألمِ الأُمَّةِ .. إنَّه انتماءٌ مُتبادلٌ مترابطٌ متماسِكٌ .. جَسَدٌ واحِدٌ .. ودِينٌ واحِدٌ .. ورَبٌّ واحِدٌ .. ومَعبودٌ واحِدٌ لا شريكَ لَه.

* * * * *

## وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

410- [ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ ]؛ يَا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، [ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ]الأنبياء:107. تُخْرِجُ النَّاسَ مِن الشِّرْكِ إلى التَّوحِيدِ، ومِن المعصيةِ إلى الطَّاعَةِ، ومِن ظُلمَةِ الجهلِ إلى نُورِ العِلمِ، ومِن الضَّلالِ إلى الهُدَى، ومِن جَوْرِ الأدْيَانِ إلى عَدْلِ ورَحْمَةِ الإسْلامِ، ومِن ضِيقِ الدُّنيَا إلى سَعَةِ ونَعيمِ الدُّنيَا والآخِرَةِ .. ويَا لها مِن رحمَةٍ .. ومَا أعظَمُها مِن رحمَةٍ لو كانُوا يَعلمُون!

* * * * *

## ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ

411- [ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ]الحج:6. اللهُ تعالى هو الحقُّ، ومِنه الحقُّ، وإليه الحقُّ .. أسماؤه الحُسنى حَقٌّ، وصفاتهُ العُلْيَا حَقٌّ .. مِن أسمائِه الحقُّ .. وهو الربُّ بحقٍّ، والإله بحَقٍّ، لا مَأْلُوهَ ولا مَعبُودَ بحقٍّ إلَّا الحقُّ .. لا يَقولُ إلا حَقّاً .. يحبُّ الحقَّ، ولا يحكمُ ولا يَأمرُ إلا بالحقِّ .. وَعْدُهُ حَقٌّ .. ووعِيدُه حقٌّ .. والرجوعُ إليه حَقٌّ .. وحسابُه لعِبادِه على ما كان منهم مِن عمَلٍ حقٌّ .. فهو الحقُّ، وما سواهُ البَاطِلُ .. وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:" أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قالَها الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللَّهَ باطِلُ "متفق عليه.

* * * * *

## وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ

412- [ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ]؛ على شَكٍّ، ووَجَلٍ، وضَعْفٍ، وعلى وجهِ التَّجْرِيب .. وهو يُؤْثِرُ أن يَبقَى في تدينِه على طَرفِ الدِّين، مِن غيرِ تعمُّقٍ ولا تمكُّنٍ .. حتى إذا وجَدَ مَا لَا يُناسِبَه ولا يُرضيَه سَهُلَ عليه الانسحابُ، والتملُّصُ، والتَّراجعُ، والارتدَادُ عن الدِّين، [ فَإِنْ أَصَابَهُ ]؛ بسَببِ عِبادَتِه، وتَدَيُّنِه [ خَيْرٌ ]؛ في نفْسِه، ومَالِه، وأهلِه، وتجارَتِه .. وأَقبلَت عليه الدُّنْيَا بِزُخْرُفِها وزِينَتِها، فَرِحَ، و[ اطْمَأَنَّ بِهِ ]؛ بالإسلامِ، وبقيَ على تَدَيُنِه، وعبادَتِه التي هي لا تزالُ على حَرفٍ .. وأظهرَ إعجابَهُ بالإسلامِ، وأثنَى عليه خَيراً، [ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ]؛ بلاءٌ وشِدَّةٌ في نفْسِه، ومالِه، وأهْلِه .. ظَنَّ بالإسلامِ سُوءاً، وأثنَى عليه وعلى تعاليمه شَرّاً، وردَّ ما أصَابَهُ مِن بلاءٍ إلى عبادَتِه للهِ، وتَدينِه، وإلى قُربِه مِن الصَّالِحين، [ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ]؛ ارتدَّ عن الإسلامِ إلى الكُفرِ والإلحَادِ .. ظانّاً أنه بذلك يُعاقِبُ الإسلامَ .. وأنَّ في ذلك خلاصَهُ مما نزَلَ به .. وهو

بارتِدَادِه عن الإسْلامِ يخسَرُ ولا يربحُ شَيئاً، ولَا يُعاقِبُ إلا نَفْسَه، [ خَسِرَ الدُّنْيَا ]؛ فلم يَنكشِفْ عنه البلاءُ، ولم يحصلْ فيها على ما يُريد بسببِ ارتدَادِه عن الدِّين، ولربما تَضَاعفَ عليه ضَنَكُ العَيشِ، [ وَالْآخِرَةَ ]؛ حيثُ العذَابُ الأَليمُ، والخُلُودُ في نارِ جهنَّم أَبَدَاً، [ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ]الحج:11. الواضحُ والصريحُ، والذي ليسَ بعدَه خُسران .. فهو يُقابِلُ البَلاءَ الذي نزلَ به ـ وهو خُسرَانٌ أَصْغَر ـ بالكُفْرِ، والإلحادِ، والارتدَادِ؛ وهو الخُسرانُ الأكبَرُ .. كالمستجيرِ مِن الرَّمْضَاءِ بالنَّارِ .. وكالذي يَفرُّ مِن المطَرِ فيقفُ تحتَ المزْرَاب!

* * * * *

## إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ

413- [ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ]الحج:14. إن اللهَ تعالى يفعلُ ما يَشاءُ، وقتَمَا يَشاءُ، وكيفَمَا شَاءَ .. لا يُسألُ عمَّا يَفعلُ .. ولَا رَادَّ لفعلِه ومَشِيئتِه رَادٌّ .. لا يحولُ بينَه وبينَ فعلِه ومَا يُريدُ حائِلٌ .. ولا يُلزَم بفعلٍ دُونَ فِعلٍ .. ولا تُحَدَّدُ له مساحةٌ تنحصرُ فيها أفعَالُه .. كما يَفعلُ ـ قليلُو الأدَبِ معَ اللهِ ـ العلمانيُون والليبراليُون .. فيَحْصرُون أعمالَ اللهِ تعالى في السماءِ دُونَ الأرضِ .. وفي اليومِ الآخِرِ دُون الحياةِ الدنْيَا .. وفي المساجدِ والمعابِدِ دونَ غيرِها مِن بقاعِ الأرضِ .. ويَقولُون ـ بزعمهم كَذِباً وزُوراً ـ هذا للهِ، وهذا لهم ولآلهتِهم .. السماءُ للهِ، والأرضُ لهم .. مَا للهِ، لله، وما لقَيصَر، لقيْصَر .. ومَا كان للهِ يَصلُ إلى قَيصَر، وما كانَ لقيْصَر، لَا يصلُ إلى اللهِ .. سَاءَ مَا يَحْكُمون!

* * * * *

## أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ

414- [ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ]؛ إخاءٌ، وانسِجَامٌ، وتوافقٌ بينَ جميعِ مخلُوقاتِ الكَوْنِ، السَّماويَّةِ والأرضيَّةِ .. الكلُّ ومِن دُونِ استثناءٍ يَسيرُ ـ في تناغُمٍ عجيبٍ ـ في فلَكِ السُّجُودِ والتَّسبيحِ للهِ عز وجل .. وبصَوتٍ واحِدٍ " سُبحَانَ اللهِ وبحَمْدِهِ "، كما في الحديث:" سُبحَانَ اللهِ وبحَمْدِهِ، فإنَّها صَلاةُ كلِّ شيءٍ، وبِها يُرزَقُ الخَلْقُ ". [ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ]؛ وهم المؤمنون الموحِّدُون؛ فإنَّهم يُشاركون مخلُوقات الكون في السجُودِ والتَّسْبيحِ، ويلتقُون معها في رابطةِ الإيمانِ والتَّوحِيد، [ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ]الحج:18. وهم الكُفَّارُ المشركُون، الملحِدُون، النَّاكِرُون للجميلِ .. فهم وحدهم فقَط ـ مَهمَا كثرُوا ـ الغُرباء الذين يَشذُّون عن هذا النَّسَقِ، والانسِجامِ، والإخاءِ في السُّجودِ، والتَّسْبِيح ...!

* * * * *

## وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ

415- [ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ ]؛ فيُذِلُّه، ويُشْقِيه، لسَبَبٍ مِن عندِ المُهَان، وبما كَسَبَت يَدَاه، [ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ]؛ فلو اجتمَعَ الإنْسُ والجنُّ على أن يُعِزُّوه، ويُسْعِدُوه، ويُكْرِمُوه، فلا مُكْرِم له .. فهو يَنتقِلُ مِن شَقَاءٍ إلى شَقاءٍ، ومِن ذُلٍّ إلى ذُلٍّ، ومِن هَوَانٍ إلى هَوانٍ .. وخيَارَاته كلها لا تخرجُ عن دائرةِ الذُّلِّ والشَّقَاءِ، [ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ]الحج:18. من الإذْلالِ، والإعْزَازِ، والإكْرَامِ .. يعِزُّ ويُكْرِمُ مَن يَشَاءُ، ويُذِلُّ ويُهِينُ مَن يَشاء .. لا رَادَّ لأمْرِه وقضَائِه!

* * * * *

## إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ

416- [ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ]الحج:18. الخَلْقُ خَلقُه، والمُلْكُ مُلْكُه، لا يُوجدُ شيءٌ في الوجودِ يَخرجُ عن مُلكِه، وعن كونِه مخلوقاً لله .. لَا شَريكَ له في الخلْقِ والمُلْكِ، يُقاسمُه الخلقَ والمُلْكَ، والتصرفَ في الخلقِ والملكِ .. واللهُ يفعلُ في خلقِه ومُلكِه مَا يَشَاء .. لَا يُعجِزهُ، ولا يَصعبُ عليه شيءٌ، كلُّ شيءٍ عليه هيّن .. لَا يُسألُ عمَّا يَفعل .. ولَا رَادَّ، ولا مانعَ، ولا مُعقّبَ لحكمِه وقضائِه .. رَضِي مَن رَضي، وسَخطَ مَن سَخط .. وأنَّى للمخْلُوقِ المملُوكِ أن يَسألَ خالقَه ومالكَه عمَّا يَفعل، وعمَّا يُريد .. إذَا أرَادَ اللهُ شيئاً في الوجُودِ كان كما أرادَهُ، وفي الزَّمانِ والمكَانِ اللَّذين يُريدهمَا سُبحانَه.

* * * * *

## وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ

417- [ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ]الحج:30. قَولُ الزُّورِ مِنه ما هو مُتَعلّقٌ بالناسِ؛ فيُشْهَد على المرْءِ بما ليسَ فِيه .. وعلى الواقعِ بِخلافِه .. وعلى الظَّالمِ بأنَّه مَظلومٌ، وعلى المظلومِ بأنَّه ظالمٌ .. وعلى المُبطِلِ بأنَّهُ مُحِقٌّ، وعلى المحقّ بأنه مُبْطِلٌ!

ومِنه ما هو مُتَعلّقٌ باللهِ عزَّ وجَل، وهو الجانبُ الأشَدّ جرْمَاً ووزْراً؛ فيُنْسَبُ للهِ ـ زُوراً وكَذباً ـ الشّرْكُ، والشَّرِيكُ، والولَد .. ومِنه القولُ على اللهِ بغيرِ عِلمٍ .. وتَحليلِ ما حرَّمَ اللهُ، وتَحريمِ ما أحَلَّ اللهُ .. ثم يقولون هو من عندِ اللهِ، وما هو من عِندِ اللهِ!

* * * * *

ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ

418- [ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ]؛ الدِّينُ كُلِّه؛ جميعُ التَّعالِيم، والشَّرَائِع، والأحكامِ التي جاءَ بها الإسلامُ، تَدخلُ في مَعنى شَعَائِرِ اللهِ، وأَعْظَمُ شَعَائِرِ اللهِ التي يجبُ أن يُصرَفَ لها التَّوقِيرُ والتَّعظيمُ؛ أسماءُ اللهِ الحُسْنَى، وصِفَاتُه العُلْيَا، [ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ]الحج:32. فإنَّ تَعظيمَها واحترَامَها علامَةٌ دَالَّةٌ على تَقوَى في القُلُوبِ .. فالتَّعظيمُ لشعائِرِ اللهِ مَبْعَثُهُ تَقْوَى في القَلْبِ .. مَفهومُ المخَالَفَةِ يَقتَضِي أنَّ مَن لم يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ؛ كان ذلك علامةً على انتِفَاءِ التَّقْوَى مِن قَلْبِه .. ومِمَّا يُستفادُ مِن الآيةِ أنَّ الظَاهِرَ بَرِيدُ البَاطِنِ، ودَليلٌ عليه.

419- [ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ]الحج:32. جميعُ فرائضِ الإيمانِ، والإسلامِ مِن شَعائِرِ الله، وتَعظيمُها وتوقيرُها فرضٌ، وصِفَةُ تَعظِيمها، كل ما قضَى به النقلُ والعُرفُ بأنه تَعظيمٌ، وتَوقِيرٌ فهو تعظيمٌ مَشرُوع، فليسَ للتَّعظيمِ صفة ثابتة لا يجوزُ تجاوزُها، فالزَّمانُ، والعُرفُ السائدُ في بَلدٍ من البلدانِ، ولشعبٍ مِن الشُّعوبِ، دَورٌ في تحديدِ معنى التَّعظيمِ والتَّوقِير، ومَا يدخلُ في معنَى التَّعظيم المشرُوع؛ شَريطة أن لا يتَّصفَ هذا التعظيم بمحظورٍ شَرعيٍّ، أو يُؤدِّي إلى محظُورٍ؛ كالشرك، والتَّبذيرِ، والإسرَافِ، ونحو ذلك مما نصَّ الشارعُ على حرمَتِه .. وبالتَّالي يمكنُ القول: بأن جميعَ صوَر التَّعظيمِ والتوقيرِ، والاحترامِ مُباحةٌ ما لم يرِدْ نصٌّ يُفيد التَّحريمَ والحظْرَ .. وكان مِن الصحابَةِ مَن يضَعُ القُرآن على وجهِهِ ويقولُ:" إنه كلامُ ربِّي، إنه كلامُ ربي ". فهذا الفعلُ في نظر الصحابي يَدخلُ في معنى التَّعظِيم والتَّوقير، وإلا لما فعلَ ذلك .. ونحوه تَقبيلُ القرآن .. وتكبيرُ خطِّه عِند الطباعَةِ .. ووضعُه في البيتِ في موضعٍ مرتفعٍ يُصان فيه

عن صُور الامتهان .. وكان مِن السَّلَف مَن إذَا ذُكِر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أمامه، يَتغيّر لونُه، ويَشتدُّ بُكاؤه، ويَنحني حتَّى يَصعبَ ذلك على جُلسَائِه .. وإذا ما قِيل له: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، يخفِضُ مِن صَوتِه .. وقد رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمعَ صوتَ رجُلَين في مَسجدِ النبيّ صلى الله عليه وسلم قد ارتفَعَت أصواتُهمَا، فجاءَ فقال: أتَدْرِيَان أينَ أنتُمَا ...؟!". فهذه الصورُ مِن التَّعظيمِ والتَّوقِير، ونحوها، كلها مُباحَةٌ ومُستحَبَّةٌ، وتَدخلُ دخُولاً كليَّاً في المرادِ من الآيةِ الكريمة أعلاه:[ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ]الحج:32.

* * * * *

## فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ

420- [ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ]الحج:36. وهذا يَشملُ جميعَ مَا يُذبحُ للهِ، الأضحيَةُ، والعَقِيقَةُ، والنَّذْرُ .. فصاحِبُها يأكلُ مِنها إن شَاءَ، ويُطعمُ مِنهَا الفُقَراءَ، والمساكِينَ، على وجهِ الوجُوبِ، ومَا يُطعمُه للفقراءِ والمساكِين لَا ينبغي أن يَقِلَّ عن ثُلثِ الأُضحيَةِ .. والقَانِعُ، هو المتعفِّفُ الذي يَسْتَشْرِفُ العطَاءَ مِن غَيرِ سُؤالٍ، فنفْسُه تأبَى عليه أن يَسْأَلَ، معَ وجُودِ الحَاجَةِ .. والمعتَّرُ، هو مَن تَقهرُه الحاجَةُ، فيَسْأَلُ، ويمدُّ يَدَه.

* * * * *

## وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ

421- [ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ]الحج:37. جَميعُ الطَّاعاتِ الظَّاهِرَةِ لن يَصِلَ إلى اللهِ منها شَيء .. اللهُ تعالى غَنيٌّ عَنها .. وعَن جميعِ عِبادِه .. إنما يَصِلُه مِنَ العَمَلِ الإخْلَاصُ، وتَقْوَى القُلُوبِ.

* * * * *

## إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا

422- [ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ]الحج:38. ضدَّ من يُعادِيهم مِن الظَّالمين، والكافرين، والمشركين .. ضدَّ شياطين الإنسِ والجنّ .. كيفَ يُدافعُ اللهُ عنهم .. ومتى يُدافعُ عنهم .. وأينَ .. وما هي الوسَائلُ، والجنودُ التي يُسخرُها في الدِّفاعِ عنهم .. وكم يَدفَعُ عنهم من الشَّرِّ والعُدوَان .. قد يتكشَّفُ لنا من ذلك القَليلُ .. والكثيرُ من ذلك لا يعلمُه إلا اللهُ .. لكن اليَقين الذي لا يجوزُ أن يعتريَه الشَّكُّ هو [ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ]. هذا اليقين والشُّعور به مهم جداً في عمليَّةِ التدافُع والصراعِ بين الحقِّ والباطلِ .. يُضفِي على المؤمنين شُعوراً بالنَّشوةِ والانتصارِ قبل أن يخوضُوا المعركةَ .. وهم يخوضُون المعركة .. كما يُضفِي عليهم شُعوراً بالأمنِ والأمانِ .. ولمَ لا .. واللهُ معهم، ويُدافعُ عنهم!

* * * * *

## الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ

423- [ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ]الحج:40. هذا النَّوع من التَّهجير القَسْرِي؛ مِن أجلِ الانتماءِ إلى الدِّينِ، والإيمانِ، والتَّوحِيد .. كان، ولا يزالُ قائماً .. وهو موجودٌ وجُودَ الحقِّ والباطِلِ، ووجودَ التَّوحِيدِ والشِّركِ .. تُمارِسُه قوى الكُفرِ، والإلحَادِ، والزَّندقَةِ، ضدَّ عِبادِ اللهِ المسلمين الموحِّدين، في كثيرٍ من الأقطَارِ، والأمصَارِ، ولا بَواكي لهم في محافِلِ الأمَمِ .. لَا لشيءٍ؛ سوى أنَّهم مُسلمون، يَعبدُون اللهَ تعالى، ويُوحِّدُونَه، ولَا يُشركُون به شَيئاً .. لأنَّهم أبَوا أن يَعبدُوا الطَّاغُوتَ، ويَدخلُوا في طاعتِه، ويتخذُوا معَ اللهِ آلهةً أُخرى .. وهي أشدُّ أنواعِ التَّهجيرِ التَّعسُّفي والقَسْرِي إيلاماً،

وظُلماً .. وهو مِن جملةِ الأغراضِ التي جاءَ الجهادُ في الإسلامِ لدفْعِها، والمنع مِن حصُولها، وتكرَارِها!

## وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ

424- [ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً ]الحج:40. مِن الأهدافِ الأولى التي يَسعَى لها الكافرُون، المجرمُون ـ مِن كلِّ حربٍ يخوضُونها ـ استهدافُ المسَاجِدِ، والمعَابِدِ التي يُذكَر فيها اسمُ اللهِ .. بالهدْمِ والتَّدميرِ، والتَّخرِيب .. وقولُه:[ لَّهُدِّمَتْ ]؛ صيغةٌ تُفيدُ التَّكثِير، أي يُعاودُون هَدْمِ المسَاجِدِ والمعابدِ مرَّةً بعدَ مَرَّة .. وكلما بُنِيَت المساجدُ والمعابدُ مِن جَديدٍ، عادُوا إلى تَدميرِها وهَدْمِها، وإعاثَةِ الفسَادِ والخرَابِ فيها مِن جَديد .. مَا دَامُوا قادِرِين على فِعلِ ذلك .. وهَذا سَببٌ من جملةِ أسبَابِ التدافُعِ بينَ الحقِّ والبَاطِلِ .. ومِن جملةِ الأسبابِ التي شَرع اللهُ لأجلِها الجهادَ، والقِتَالَ .. فيَدفعُ بالحقِّ وأهلِه شرَّ وباطِلَ وإجرامَ الكافِرِين المجرِمين عَن بيوتِ الله .. وعن عِبادِ الله .. ومِن المسَاجِدِ التي تُعاني كَثيراً مِن فَسَادِ وخرَابِ وعدوانِ المفسِدين المجرمِين، الظالمين، المسجدُ الأقصَى المبارَك في فلسطين، على يَدِ الصَّهاينَةِ اليَهود .. والمسْجِدُ الأمَوِي في دِمشق، على يَدِ الشيعةِ الرَّوافض!

## وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ

425- [ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ]الحج:40. كلُّ مَن جمعَ في جهادِه بينَ الإخْلاصِ، والموافقةِ للشرعِ المنزَّلِ، والإعدَادِ لمواجهةِ الأعداءِ قَدْرَ المستَطَاع .. فهو ممَّن يجاهدُون في سبيلِ الله، وممَّن يَنصرُون اللهَ تعالى .. واللهُ تعالى قد

تكفَّلَ بنصْرِه، [ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ ]؛ على نَصْرِه، [ عَزِيزٌ ]؛ لَا رَادَّ، ولا مَانِعَ، ولَا مُعَارِضَ، لأمْرِه.

* * * * *

## الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ

426- [ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ]الحج:41. لو عَلِمَ اللهُ صِدقنا في تنفيذِ شرطِ الوعد بالتمكين:[ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ]، لحقَّق لنا الوعدَ بالتّمكين، لا محالَة:[ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ]. لكن لا تزالُ النَّوايا زايغة .. إذْ كثير منا يجد في نفسه حرَجاً من دينِ الله، أو من بعض ما أنزل الله!

427- [ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ]؛ الَّذِينَ إِن أظهرناهُم على عدوِّهِم، وجعلنا لهم الحكمَ في الأرضِ بعد أن كان لعدوِّهم مِن الكافِرين والمشركين، [ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ]؛ على قَدْرِ التمكين يجبُ إظهَارُ الدِّينِ، وإظهارُ شعائِرِه، فالإظهارُ يَزيدُ ويَنقصُ اطِّرَاداً مع زِيادَة التمكينِ ونُقصَانِه .. فما يجبُ بعد التمكين لا يجبُ قبلَه، وما يجبُ على المَمكَّنِ القَوي، لا يجبُ على الضعيفِ غيرِ المَمكَّن .. فالتمكينُ فتنةٌ للمُمكَّنِ؛ ليُرَى ماذا سيَفعَلُ، وكيفَ سيستغلُّ نِعمةَ التمكين في إظهارِ، ونصرةِ الدِّينِ، والحقِّ، [ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ]الحج:41. ومَن مَنَّ اللهُ عليه بالتَّمكين لَا ينبغِي أن يَخشَى العَواقِبَ، والمآلَاتِ، وتكون خَشيتُه مانِعاً له من إظهارِ الدِّين وشَعائِرِه .. فالعَوَاقِبُ، والنِّهايَات، والمآلاتُ هي للهِ، وبيدِ اللهِ، يُعِزُّ اللهُ مَن يَشاء، ويُذلُّ مَن يَشاء .. يَرفعُ مَن يَشاء، ويَضَعُ مَن يَشاء.

* * * * *

## فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ

428- [ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ]؛ عَن رُؤيةِ الأشْيَاءِ، [ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ]الحج:46. عَن رُؤيةِ حَقِيقَةِ الأشْياءِ، الدَّالَّةِ على أنَّ اللهَ تعالى حَقٌّ .. وأنَّ القُرآنَ حَقٌّ .. وأن لَا مَعبُودَ بحقٍّ في الوجُودِ إلَّا الله.

429- [ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ]؛ عَن رُؤيةِ الأجسَامِ، والصُّوَرِ، [ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ]الحج:46. عَن رُؤيَةِ الحقِّ، والحقَائِقِ، والمعَانِي الإيمانِيَّةِ.

* * * * *

## يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ

430- [ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ]؛ المخَاطِبُ هو اللهُ تعالى؛ خالِقُ الخلْقِ، ورَبُّ العالمين، والمخاطَب هم الناسُ؛ كُلُّ الناسِ؛ مُؤمنهم وكافِرُهم، المؤمنُ يزدَادُ بهذا المثَل إيمانَاً، ويَقيناً بأنَّ اللهَ تعالى هو المعبُودُ بحقٍّ، والكافرُ تَزدَادُ عليه الحُجَّةِ بهذا المثَلِ، على بيانِ بُطلان مَا هو عليه مِن الكُفْرِ والشِّرْكِ، وعِبادَةِ الأوثَانِ والطَّواغِيت، [ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ]؛ بعقُولِكُم وقلُوبِكم لعَلَّكم تَفقَهُون المرَاد .. لأن مجرَّدَ سمَاع الآذَان مِن دُون سَماعِ القَلبِ والعقلِ؛ لا يُؤدِّي إلى فقْهِ الخِطَاب ومن ثمَّ الإلتزَام به، [ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ]؛ تَعبدُون مِن دُونِ اللهِ مِن الأصنَامِ، والطواغِيت، وتتوجَّهُون لهم بالعبادَةِ والطَّاعَةِ مِن دُونِ اللهِ، [ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ]؛ لَن يَستطيعُوا أن يخلقوا ذُبابةً واحِدَةً؛ وهي مِن أضألِ مخلوقاتِ اللهِ، ولو اجتمعَ بعضُهم لبعضٍ ظِهْرِيَّاً على أن يخلقُوا هذه الذُّبابَةِ لما استَطَاعُوا .. وإذا كانُوا بهذا العَجْزِ والضَّعْفِ كيف يَليقُ بكم أن تتوجَّهُوا لهم بالعبادَةِ، وتَعبدوهم مِن دُونِ اللهِ؟! فالمعبُودُ الذي يَستحقُّ أن يُعبَد هو الإله القَادِرُ على أن يخلقَ

الأشياءَ مِن عَدَمٍ، وهذا مَالا يَقدرُ عليه إلا اللهُ، [ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ]؛ وهم ليسُوا فقَط لَا يَستطيعُون أن يخلقُوا ذُبَابَةً واحِدة، بَل لو غَطَّتْ عليهم الذُّبابةُ ثم أخذَت مِنهم شَيئاً، لَا يَستطيعون أن يَستردُّوا ما أَخَذَت، وهذا يدلُّ على التَّنَاهِي في العَجْزِ والضَّعْفِ .. ومَن كان بهذا الوَصْفِ، كيف تَعبدونَه مِن دُونِ اللهِ؟! [ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ]الحج:73. ضَعُفَت الأصنامُ والطواغِيتُ؛ وهم الطَّالِبُ، عن استنقاذِ ما سَلَبَتهُم الذُّبَابَةُ إيَّاه؛ وهو المطْلُوب!

* * * * *

## مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ

431- [ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ]؛ مَا عرَفُوا اللهَ حقَّ المعْرِفَةِ .. ومَا صَرَفُوا له ما يَستحقُّ مِن التَّعظِيم، والتَّوقِير، والإجْلالِ، والتَّوحِيدِ، لَمَّا أعرَضَ هؤلاءِ الكفارِ عن تَوقِيرِه، وعبادَتِه وتَوحيدِهِ إلى عبادَةِ غيرِه .. لَمَّا عبَدُوا المخلوقَ الضعيفَ العاجِزَ عن أن يخلقَ شَيئاً، وأعرَضُوا عن الإلهِ المعبُودِ بحقٍّ .. أعرَضَوا عن الخالِقِ، القويِّ، العَزيزِ، القَادِرِ على كلِّ شَيءٍ، [ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ]الحج:74.

* * * * *

## وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

432- [ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ]الحج:77. الخيرُ؛ هو كلُّ مَا يُرضِي اللهَ تعالى ويحبُّه مِن قَولٍ أو عَمَلٍ، كان ظَاهِراً أم باطِناً .. ومَا سواه فهو شَرٌّ لَا خَيرَ فِيه ..

هَذا هو الميزَانُ ـ وليسَ سِواه ـ الذي إليه تُرَدُّ معاني الخَيرِ والشَّرِّ .. ويُعرَفُ الخيرُ مِن الشَرِّ .. ويُحكَم على الأشياءِ والأعمَالِ بأنَّها خَيرٌ أو شَرٌّ.

* * * * *

## وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ

433- [ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ]الحج:78. إفْرَاغُ الجهْدِ .. ونِهايَةُ حُدُودِ الاستِطَاعَةِ ـ قلَّت أم كَثُرَت ـ ثم بَعدَ ذلك يَتَنَزَّلُ نَصْرُ اللهُ.

* * * * *

## وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ

434- [ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ]الحج:78. حَيثُما يُوجَدُ الحَرَجُ؛ فهو ليسَ مِن دِينِ اللهِ .. وحَيْثُما يُوجَدُ الحرَجُ؛ أعقَبَهُ التَّيْسِيرُ والتَّسْهِيل.

* * * * *

## وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ

435- [ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ]؛ بالقَدْرِ الذي تَنتَفعُ به الأرضُ، ومَا فِيها، ومَا يَدبُّ عليها من مخلُوقَاتٍ، [ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ]؛ على ثلاثَةِ أقسَامٍ نافِعةٍ: قسمٌ أَسكنَه أجوافَ المخلوقَات على اختِلافِ تَنوعها، فأحيَاها به، وقِسمٌ جَارٍ كالأنهارِ، تَنتفعُ بها المخلُوقات، بأقلِّ جَهد، وفي كثيرٍ من الأحيانِ بلا جَهدٍ مِنها، وقِسمٌ أسكنَه في جَوفِ الأرضِ وباطِنِها؛ كخَزَّانَات مَاءٍ، يُطلَبُ عند الجفَافِ، والحَاجَةِ، بواسِطَةِ الآبَارِ، [ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ]المؤمنون:18. هذا الماءُ الذي تَتوقَّفُ حياةُ جميعِ المخلُوقَاتِ الأرضيَّةِ عليه، فاللهُ تعالى هو الذي أنزَلَه مِن السَّماءِ، وكما هو قَادِرٌ على إنزَالِه، فهو قَادرٌ على إمسَاكِه ومَنعِه عن الأرضِ وأهلِهَا، والذَّهابِ به مذَاهِبَ عِدَّةٍ إن شَاءَ .. وهو مَا يُوجِبُ ويُحتِّمُ على الإنسانِ أن يشكرَ خالقَه على هذه النِّعمَةِ العظيمَةِ التي لَا يُعرَفُ قَدْرُها وفَضلُها كما يَنبغي إلَّا بعدَ فِقْدَانِها!

* * * * *

## أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

436- [ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ]المؤمنون:61. يُسَارِعُون في اغتِنَامِ واقتِنَاصِ فُرَصِ فِعْلِ الخيرِ قبلَ أن تُغْلَقَ دُونَهم.

* * * * *

## وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ

437- [ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ]المؤمنون:71. لأنَّ الأهواءَ والرَّغبَاتِ لا تَقفُ عِندَ حَدٍّ مُعَينٍ مِن الانْحرافِ، والشُّذُوذِ .. ومَهْمَا ارتَوت تَطلُب المزيدَ؛ كَمَن يَروي ظَمَأَهُ مِن ماءِ البحرِ المالِح .. ولو طاوَعَها الحقُّ المنزَّلُ على ما تُريدُ لَمَا بقي مِن معالِمِ الشريعةِ شيءٌ ثابِت، ولأصبَحَ الحلالُ حراماً، والحرامُ حَلالاً .. والمعروفُ مُنكراً، والمنكرُ مَعروفاً .. والحقُّ باطلاً، والباطلُ حَقاً .. والذي يُمدَح ويُطلَبُ اليومَ يُذمُّ غداً، والذي يُذَم غَدا، يُمدَحُ ويُطلَبُ بعدَ غَدٍ .. وفي ذلك فسَادٌ عَرِيضٌ .. وهلاكٌ للنَّاسِ .. بل وفسَادٌ لنظامِ الكونِ كُلِّه .. ولما اتَّبعَت الكنيسةُ أهواءَ النَّاسِ، ورغباتِهم .. وطَوَّعَ الأحبارُ والرهبانُ الدينَ لأهواءِ ورغباتِ النَّاسِ؛ فأحَلُّوا لهم الحرامَ، وحرموا عليهم الحَلالَ .. بلغوا من الانحرافِ والشُّذُوذِ والفسوقِ مبلغاً لم يُعرَف مِن قَبل .. إلى درجةٍ أصبحت كنائِسُهم موطناً للعَقْدِ والتزَاوجِ بين اللُّوطِيين " المثليين " .. والشُّذُوذُ مستمرٌ وفي اتِّساعٍ، لا يُعرَف له مُنْتَهى يقِفُ عِندَه؛ لأن الأهواءَ والرَّغباتِ إن تفلَّتَت من لجامِ الحقِّ المنزَّلِ، لا تَعرفُ حَداً تَقفُ عِندَه .. فهي في تَحْدِيثٍ مُستمرٍّ .. وفي ذلك عِظةٌ وعبرةٌ للعلماءِ من أتباعِ الحقِّ المنزَّل " القرآن الكريم "، أن يَثبتُوا على الحقِّ المنزَّلِ .. وأن لا يُطاوعُوا الناسَ على أهوائِهم ورغباتِهم، بغيرِ سُلطانٍ مِن اللهِ .. فيَضلُّوا ويُضِلُّوا .. ويَهلَكُوا، ويُهلِكُوا .. ولَن يَضرُّوا الحقَّ شَيئاً.

* * * * *

## بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ

438- [ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ]؛ بالقرآنِ الكريمِ الذي يُديمُ ذِكْرَهم بالخيرِ، ويُعِزَّهُم، ويُعْلي مِن شَأنِهم ومجدِهم، ومَكانتِهم، في الدُّنْيا والآخِرَةِ، إن آمَنُوا وعمِلُوا به، [

فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ]المؤمنون:71. لكن الكفارَ والمشركين عن هذا الخيرِ كُلِّهِ مُعرِضُون، وزاهِدُون!

وفيهِ أنَّ المرءَ على قَدْرِ إقبالِه على القُرآنِ الكريم؛ تِلاوَةً، وتَدَبُّراً، وفهماً، وعملاً، على قَدْرِ ما يُعلي اللهُ تعالى ذِكْرَه في الدُّنيا والآخِرَة.

* * * * *

## وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ

439- وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ]المؤمنون:75-76. وهؤلاء من ذوي الكفرِ والعَمَى المغلَّظين؛ فلو أُخِذوا بالعَذابِ، وشِدّة البلاءِ، لا يتوبون، ولا يَعودون إلى ربِّهم، وإلى رشدِهم .. ولو رُفِع عنهم العَذابُ والبَلاءُ، لا يَشكرون، بل سُرعان ما يَنسون، ويَعودون إلى ما كانوا عليه من الخطَايا؛ ليزدادوا كُفراً، وطُغياناً، وفساداً، كأنهم لم يُبتَلوا من قبل .. وما أكثر هذا النموذَج في زماننا!

هذه الآيات وإن قِيلت في الكافِرين إلا أنَّها تُحْمَل على العُصَاةِ من المسلمين؛ الذين لم يتَّعظوا مما نزلَ بهم من بَلاءٍ، ولو خرجوا منه لعادوا لما كانوا عليه من الإثم، والفسادِ، والظلمِ، والإنحراف، ولربما أشد ...!

* * * * *

## وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ

440- [ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ]المؤمنون:76. رغْمَ أنَّ فاتُورةَ الظلمِ تتضاعَفُ .. وتَشتَدُّ تكَاليفُها .. فإنَّ الظَّالمين لا

يتَّعظُون .. ولا يتُوبُون، ولَا يَرجعُون إلى رَبِّهم .. فهم يَستمِرُّون في ظُلْمِهم، وبَغْيِهم، وعُدْوانِهم .. وكأنَّهم لم يُؤخَذُوا بالعَذَابِ!

441- الطُّغاةُ الظّالمون كُلَّما أُخِذُوا بالعَذَابِ، وزِيْدُوا شِدَّةً وعَذَاباً، ازدَادُوا طُغياناً وغَيَّاً، وكُفْراً .. [ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ ]؛ تأدِيباً لهم ليتوَقَّفُوا عن ظُلمِهم وغَيِّهم، [ فَمَا اسْتَكَانُوا ]؛ لِكِبْرِهم وتَعَالِيهم على الحقِّ، فَمَا تَوَاضَعُوا، وخَضَعُوا، [ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ]المؤمنون:76. ومَا رَغبُوا بالدُّعَاءِ إلى رَبِّهم ليكشِفَ عنهم العَذَابَ .. فالكِبرُ يتملَّكُهم، ويَصدُّهُم عن ذلك؟!

442- [ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ]المؤمنون:76. مِن البَلاءِ والعَذَابِ مَا يُرادُ به تَنبيهُ المعَذَّبين إلى واقِعِهِم الخَاطِئ، وحملهم على العَودَةِ إلى عبادَةِ ربِّهم، وتَوحِيده .. والذي يَصدُّهم عن الإيَابِ إلى الحقِّ ـ رغمَ العذَابِ الذي يَنزلُ بهم ـ ثَلاثَةُ أمُورٍ: الكِبْرُ، والعَنَادُ، والحِقْدُ .. وهذه خِصَالٌ إذا اجتمَعَت على المرءِ أهلَكَتْه، وأقصَتْهُ بَعيداً عن الحقِّ!

* * * * *

## وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ

443- [ وَهُوَ يُجِيرُ ]؛ لِكمالِ قُوَّتِه، وقُدْرَتِه، وعِزَّتِه، وعُلُوِّ وجَلالِ أسمائِه وصِفَاتِه .. فهو القَادِرُ على أن يحمِيَ مَن يَلُوذُ ويحتَمِي بِه، ويَطلُبُ جوارَه .. فيُجِيرهُ ويحميه مِن كُلِّ شَرٍّ، وطَالِبٍ، مهمَا كانَ الطَّالِبُ له قَوِيَّاً، وجَبَّاراً، [ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ]المؤمنون:88. لا يُوجَدُ مخلوقٌ ـ أيَّاً كانت صِفَتُه، ومَهمَا كان قَوِيَّاً ـ يمكنُ أن يُجيرَ ويحمي مَن يُريدُه اللهُ تعالى بِشَيءٍ، أو بِشَرٍّ أو ضُرٍّ .. فهو سُبحانه يُستَعَاذُ به مِن شَرِّ ما خَلَقَ، ولا يُستعَاذُ بمخلُوقٍ

مِنْهُ .. وفي الحديث:" أَلِظُّوا بيا ذَا الجَلَالِ والإكْرَامِ ". أي لوذُوا، والجَأُوا، والزَمُوا، وأكثِرُوا مِن هَذا الذِّكْرِ والدُّعاءِ " يَا ذَا الجَلَالِ والإكْرَامِ ". ومَن لَزِم ولَاذَ بيَا ذَا الجَلَالِ والإكْرَامِ، مَن ذَا الذي يَقْوَى عَليه ...؟!

* * * * *

## وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ

444- [ وَمَا كَانَ مَعَهُ ]؛ ليسَ معَ اللهِ، [ مِنْ إِلَهٍ ]؛ يُشاركُه الخلْقَ، والمُلْكَ، ويَستحقُّ أن يُعبَد مِن دُونِ اللهِ .. ولو كان هذا الإله الشَّريك موجُوداً حَقَّاً، [ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ]؛ لانفردَ في المُلْكِ والتصرفِ كلُّ إله بما خلَقَ عمَّا يخلقُه ويملكُه الإلهُ الآخَر، ولتَقاسَموا الكَونَ فِيما بينهم، [ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ]؛ ولحصَلَ التنافُسُ والصِّراعُ، والتَّدافعُ فِيما بينَهم، وحاوَلَ كلُّ إلهٍ أن يَغلبَ الإلهَ الآخَر على ما يملِك، وما قَد خَلَق .. شأنُهم في ذلك شأن ملُوكِ الأرضِ .. ولاضطرَبَ الكونُ، وفسَدَ، وعُدِمَ الاستقرارُ .. فخربُ الآلهة فِيما بينَهم ليسَ كحربِ العَبيدِ بعضُهم معَ بعضٍ .. ولمَّا هذا لم يَكُن، ولم يحصل شيءٌ مِنه، وهو بخلافِ الواقعِ المشَاهَد؛ كان ذلك دَليلاً قاطعاً على أن لهذا الكَونِ كله خالِقاً واحِداً، وإلهاً واحِداً، ومَعبُوداً واحِداً يَستحقُّ أن يُعبَد، [ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ]المؤمنون:91. تَعالى اللهُ، وتنزَّه عمَّا يَصفه المشركُون؛ بأن له شَريكٌ في الخلْقِ، والمُلْكِ، والعِبادَةِ؛ تُصرَف إليه العبَادَةُ معَ اللهِ، أو مِن دُونِ اللهِ!

* * * * *

## ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ

445- [ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ]؛ ادْفَعْ السَّيئةَ بالحسَنَةِ .. والشرَّ بالخيرِ .. والباطِلَ بالحقِّ .. والجهْلَ بالعِلْمِ .. والفُحْشَ والفجُورَ في القَولِ، بالقَولِ الحسَنِ .. والخلُقَ الرَّدِيَّ بالخلُقِ الرَّفيعِ .. وهذه صِفةٌ نبيلةٌ لَا يَقدرُ عليها إلَّا مَن كظَمَ غَيظَه في اللهِ، وهو قادرٌ على أن ينفذَه، [ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ]المؤمنون:96. أعلمُ بهم وبمقالاتِهم الباطِلَةِ والسيئةِ التي تَصِفُ الحقَّ وأهلَه كذباً وزُوراً بالقولِ السَّيءِ والباطِلِ .. وإنَّا لمجازُوهم على مَا يَقُولُون ويَفعَلُون .. وهذه الآيةُ الكريمةُ وإن كانَ العمَلُ بها منسُوخاً في حالِ التعامُلِ مع العدُوِّ الكافِرِ المحارِبِ ـ كما يَقولُ بَعضُ أهلِ العِلمِ ـ إلا أنَّ العمَلَ بها معَ مَن لا يجبُ قتالُهم من المخالِفين مِن أهلِ القِبْلةِ وغيرِهم، غيرُ مَنْسُوخٍ .. والعملُ بها باقٍ ما بقيَت الحسَنَةُ والسيئةُ .. وبقي الحسَنُ والسَّيءُ.

* * * * *

## لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ

446- [ حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ]المؤمنون:99-100. الكافرُ لِمَا يَرَى يومَ القيامةِ مِن مَشاهِدِ الخزْيِ والعذَابِ يتمَنَّى لو أنَّه يَستطيعُ أن يَعودَ إلى الدُّنيا؛ ليؤمِنَ ويعمَلَ عمَلاً صالحاً، ويستدرِكَ مَا فاتَه مِن الإيمانِ والعمَلِ، لينجُو مِن عذَابِ يومئذٍ .. والمؤمنُ لِمَا يَرى مِن مشَاهِدِ النَّعيمِ والكرَامَةِ والجِنَانِ، يتمَنَّى لو أنَّه يَستطيعُ أن يعودَ إلى الدُّنيا؛ ليَستزِيدَ مِن العمَلِ الصَّالحِ، ليعظُمَ له الأجرُ، وتَعظُمَ له المثوبَةُ والمقاماتُ العُلا .. والفَرْقُ بينَ الأمنِيَتَينِ عَظِيمٌ .. وهَا أنتَ يا ابنَ آدَم ـ يا مَن تَقْرَأُ هذهِ الكلمات ـ لا تَزالُ في الحياةِ الدُّنيَا .. والفُرصَةُ لا تزالُ مُتَاحَةً لَك .. ومَعْرُوضَةً عَليك .. فاغْتَنِمْهَا قَبلَ فَواتِ الأَوانِ .. وقبل أن تَقولَ عند الغَرْغَرَةِ، واقتِرَابِ الأجَلِ:[ ارْجِعُونِ ]، فيَقَعُ النَّدَمُ، ولاتَ حِينَ مَنْدَم!

* * * * *

## فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ

447- [ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ ]المؤمنون:101. فإذَا نُفِخَ في القَرْنِ، وبُعِثَ مَن في القُبورِ ليومِ الحِسَابِ .. تَنْقَطِعُ بينهم جميعُ الأوَاصِرِ، والروابِطِ، والأنسَابِ؛ روابطُ وأنسَابُ القَرَابَةِ والرَّحِم، وروابطُ وأنسَابُ القَبائلِ والعَشَائِرِ، والانتماءَات الوطنيَّةِ، والقِطْرِيَّةِ، والقَوْميَّةِ، والحِزبيّةِ، وغيرها .. فلَا يَنتفعُ وضِيعٌ بشريفٍ .. ولَا قَريبٌ بقَرِيب .. ولا فقيرٌ بغَني .. ولا طَالحٌ بصالحٍ .. كما كانُوا ينتفعُون في الحياةِ الدُّنيا .. ولهوْلِ الموقفِ يَومئذٍ لَا أَحَدٌ يَسألُ عن أحَدٍ، ولَا قَرِيبٌ يَسألُ عن قَرِيبٍ .. ولا حميمٌ وصديقٌ يَسألُ عن حميمٍ وصَدِيقٍ .. أو يَلتفتُ إليه، أو يهتمُّ به .. كما كانوا يفعلُون في الحياةِ الدُّنيَا .. كلٌّ له في نَفسِهِ مَشْغَلَة عن الآخَر .. يرجُو النَّجاةَ لنفسِه أوَّلاً!

* * * * *

## رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا

448- [ رَبَّنَا آمَنَّا ]؛ صَدَّقْنَا، وأَطَعْنَا، واتَبَعْنَا الرَّسُولَ، [ فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ]المؤمنون:109.

* * * * *

## أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً

449- [ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً ] هَمَلاً من غيرِ أمرٍ، ولا نهي، ولا تكليفٍ نتعبّدكم به [ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ] فتُحَاسَبون على ما كان منكم من عمل [ فَتَعَالَى اللهُ ] تَنزّه وتَعَاظَم، وتقَدَّسَ اللهُ عن هذا العَيبِ والنَّقص، وعن كلِّ عَيبٍ [ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ]المؤمنون:115-116.

* * * * *

## لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً

450- [ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً ]النور:12. وإن كان لهذهِ الآيةِ الكريمةِ مُناسَبَة .. لكن يُمكن الاستفادَةُ منها، وتَعميمُها على كلِّ مناسَبَةٍ أو حَدَثٍ يحملُ المؤمنين والمؤمنات على أن يَظنُّوا بأنفُسِهم شَرّاً .. فالعِبرةُ بعمومِ اللَّفظ، لا بخصُوصِ السَّبَب .. كم من رَجُلٍ صَالِحٍ؛ له سابقةُ عِلمٍ وبلاءٍ وجِهادٍ .. يَرِدُ موردِاً مُتَشَابهاً للبعضِ .. أو يقولُ كلمةً مُتشابهةً على البَعضِ .. فيخوضُ فيه الخائضُون بين التَّفْسيقِ، والتَّضليلِ، والتَّخوين .. وأحسَنُهم الذي يتوقَّفُ عن الخَوضِ .. تَاركاً مَسَاحةً لاحتمَالِ صحَّةِ خَوضِ الخائضين فِيما يخوضُون فيه!

موقفٌ يحتملُ مِن وجْهٍ ظنَّ الحَسَن .. ومِن وجهٍ آخَر يحتَمِلُ ظَنَّ السّوء .. فيُسَارِعُون إلى تَقديمِ ظَنِّ السّوءِ على الظَّنِّ الحَسَن .. ويُرتِّبُون عليه جَرْحاً وتَعديلاً!

كلمةُ قَذْفٍ تَصدُرُ عَن فاسِقٍ؛ يَرمي بها المؤمنين الصَّالحين .. فيتَنَاولها الناسُ مُباشرةً في مجالسِهم ومنتدياتِهم .. على أنَّها صِدْقٌ .. وأنها الحقيقَةُ التي ما بَعدَها إلا الضَّلال .. ومِن دونِ أن يُكلِّفُوا أنفسَهم عَناءَ التَّبينِ والتَّثَبُّتِ مما يُشيعُه الفسَّاقُ عن عِبادِ اللهِ المؤمنين!

مَا ضَرَّ هؤلاء لو ظَنُّوا بالمؤمنين والمؤمناتِ خَيراً .. وقَدَّمُوا ظنَّ الحسَنِ على ظنِّ السّوءِ .. والتَّفسيرَ الحسَن على التَّفسيرِ السُّوء؟!

ما ضَرَّ هؤلاءِ لو تَبيَّنُوا وتَثَبَّتُوا قبلَ أن يُصَدِّقُوا .. ويتَناقَلوا .. وينْقلُوا .. ما يُشيعُه الفسّاقُ والمنافقُون عن عبادِ اللهِ المؤمنين الصَّالحين، عملاً بقولِه تعالى:[ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ]الحجرات:6.

* * * * *

## إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا

451- [ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ]النور:19. لا يَرضَى الكفارُ، ولا يَهدَأ لهم بَالٌ، ولا يَهنأ لهم عَيْشٌ، أن تَبْقَى الفَواحِشُ والمنكَرات حَبيسةَ حياتِهم الخاصَّةِ والعَامَّةِ .. حتى تَنْتقلَ - عَدْوَى الفواحش - إلى المؤمنين؛ فتَشيع الفَاحِشةُ في جميع مرافقِ حياتِهم، إلى أنْ تدخلَ مساجِدَهم؛ أشَدّ الحصُونِ تحصُّناً ضِدَّ الفواحِشِ والمنكَرات .. ولا يَقبلون بأقلّ من ذلك .. كما أُعْلِن في بعضِ الدول الأجنبيَّةِ عن بعضِ المساجِدِ التي رَفعت رَاياتِ اللواطةِ والمثْليَّةِ والعياذُ بالله .. آملين - مع الضَّغطِ والدِّعايةِ المكثَّفةِ - أن تنتقلَ هذه العادةُ الخبيثةُ إلى بقيَّةِ المساجِدِ، وفي بلادِ المسلمين .. والمساجِدُ التي تَرفعُ تلك الرَّاياتِ تَدخلُ في خانَةِ وطابُورِ " مساجد ضِرَار " التي يجبُ اعتزالها .. والإسراعُ في الخُطَا عند المرورِ من جِوارها !..

وهم يَحرِصُون هذا الحرصِ الشَّدِيدِ على أن تشيعَ الفاحِشةُ في الذين آمَنُوا، ويُنفقونَ في سَبيلِ ذلك الأموالَ الطَّائِلةِ .. وأحياناً يجعلونَ الموافقةَ عليها شَرطاً لمضي كثيرٍ من الاتِّفاقيات والعُقُود السياسيَّةِ والاقتصاديَّةِ .. ليصدُّوا المؤمنين عن دِينِهم، ولِعلْمِهم بأثَرِ الفَواحِشِ الفَتَّاك على إيمانِ المؤمنين .. وهو آخَرُ ما تَبَقَّى مِن أسْلحتِهم في مواجَهةِ إيمانِ المؤمنين .. صدق الله العظيم:[ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء ]النساء:89.

452- [ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا ]؛ عَن طَرِيقَين: طَرِيقُ تَيسِيرِ الفَوَاحِشِ لهم، ونَشْرِهَا أمَامَهم، وتَزْيينِهَا، وتَرْغِيبِهم بها؛ ليَقَعُوا فِيها، وفي آثارِها .. وطَرِيقُ التَّجَسُّسِ عليهم، وعلى عَوْرَاتِهم، وكَشْفِ المخبُوءِ والمسْتُورِ مِن حيَاتِهم؛ ليُشَهِّرُوا بِهم، وَيَشْمَتُوا، ويُشَمِّتُوا النَّاسَ بِهم .. أولئك:[ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

]النور:19. عَن عبدِ الرحمنِ بن عوف رضي الله عنه، قال:" مَن سَمِعَ بِفَاحِشَةٍ فَأَفْشَاهَا، فهو كالَّذِي أَتَاهَا ". أي في الإِثْمِ. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه:" القَائِلُ الفَاحِشَة، والذي يَشِيعُ بها، في الإثمِ سَوَاء ". وقال ابنُ عِيَاض:" إنَّ الفَاحِشَةَ لَتَشِيعُ في الذين آمَنُوا، حتَّى إذا بَلَغَت إلى الصَّالِحِين كانُوا خُزَّانَها ".

* * * * *

## وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء

453- [ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء ]؛ فإنَّ الشيطانَ يأمرُ بتركِ الزواجِ الشَّرعي، وتأخِيرِه، وتَعْسيرِه، والتنْفيرِ منه .. والتَّشَدُّدِ فيه .. والاستِعَاضَةِ عنه بالعَلاقَاتِ والممَارَساتِ الجِنسيَّةِ خارِجِ عِشِّ الزَّوجيَّةِ، والحياةِ الزوجيَّةِ .. فالفَاحِشَةُ لا تَنتشرُ كما تَنتشرُ عند العزُوفِ عنِ الزَّواجِ، وتَأخيرِه؛ من الطَّرفين: الذُّكور والإنَاث، [ وَالْمُنكَرِ ]النور:21. وهو كل مَا خالفَ وضادَّ المعرُوف.

454- [ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ ]النور:21. [ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ]؛ لَن يقتصرَ انحرافُه على الوقوعِ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ .. فالشيطانُ لا يقبلُ منه أن يقفَ عندَ هذا القَدْرِ من المتابعَةِ والانحرَافِ .. فهو لا يَرضَى ولا يكفُّ عنه، إلَّا أن يصبحَ هو ذَاتُه مِن حِزبِ الشَّيطانِ، ومِن الدُّعاةِ إلى حزبِ الشَّيطانِ، يأمرُ بما يأمرُ به الشّيطانُ؛ [ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ ]!

## وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً

455- [ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ]النور:21. العَاصِمُ مِن الذُّنُوبِ والمعَاصِي هو اللهُ تعالى وحده .. والفَضْلُ

فِيمَا أنتَ فيه من الإيمانِ، والخيرِ، والاستقامَةِ للهِ تعالى وحده .. فحَذَارِ أن تَسْتَعْلِي به على العِبَادِ .. أو يحمِلُك على أن تُزَكِّي نفْسَكَ على اللهِ .. أو أن يأخُذَكَ العُجْبُ، فتُرُدّ الفضْلَ فِيمَا أنتَ فيه من إيمانٍ، واستقَامَةٍ، وخَيرٍ، إلى نفْسِك، وعَزَمَاتِك مِن دُونِ اللهِ، فتَهلَك .. ويَسلبُكَ اللهُ ما أنتَ فيهِ مِن خَيرٍ وفَضْلٍ!

* * * * *

## الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ

456- [ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ]النور:26. هذا هو الأَصْلُ، وهَذا هو الواجِبُ الذي يجبُ أن يحرصَ عليه الطَّيبُون والطَّيبَات .. فإن لم يَفعلُوا، وتَزاوَجُوا من الخبيثِين والخبِيثَات .. تآكَلَ عدَدُهم، ونَقُصَ، وكَثُرَ عدَدُ الخبيثِين والخبيثَات .. وكانَت فِتنةً تجني ثمارَها الأَجيَالُ .. وتحقَّقَ الفسَادُ العَريضُ في الأرضِ!

* * * * *

## وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ

457- [ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ]؛ باللهِ، وملائِكته، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِرِ، [ أَعْمَالُهُمْ ]؛ حَسنَاتُهم، وأعمالُهم الصَّالحةِ .. مَثَلُها؛ [ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ]؛ كحركَةِ وتَمَوُّجِ أشعَّةِ الشمسِ، في يومٍ حارٍّ، في وقْتِ الظَّهيرَةِ .. تَعْلُو بِقَاعاً مِن الأرضِ مَلْسَاء، لا شجَرَ فِيها، ولا زَرْع، [ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ]؛ إذَا رآهُ الظَّمْآنُ؛ الشَّديدُ العَطَشِ .. مِن بَعيدٍ .. يَحسَبُه ويُخَيَّلُ إليه لشِدَّةِ عَطَشِه أن تِلكَ الحركَةِ والتَّمَوّجِ مِن أشعَّةِ الشَّمسِ هي حركَةٌ وتموُّجُ للمَاءِ .. فيَقصُدُه مُسْرِعاً، ليَدفَعَ عن نفْسِه شِدَّةَ العَطَش، [ حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً

]النور:39. حتَّى إذا وصَلَ إليه لم يجِدْهُ مَاءً .. ولا شَيئاً يَنتَفِعُ به .. وإنما وجَدَهُ سَرَاباً لا يَرُدُّ عَطَشَاً .. ولا يُنتَفَعُ به في شَيءٍ .. فتَقَع الحَسْرَةُ، والنَّدامَةُ .. ولَاتَ حِينَ مَنْدَم .. كذلك الكَافِرُ لَمَّا بَنَى حَسنَاتِه وأعمَالَهُ الصَّالحةِ على أَسَاسِ الكُفْرِ والشِّركِ .. وليسَ على أَسَاسِ الإيمانِ والتَّوحيدِ .. فيَشتدُّ ظمَأُهُ يومَ القِيامَةِ .. وتَشْتَدُّ حاجَتُه للمَاءِ .. يومَ تَدنو الشمسُ من رؤوسِ العِبادِ كُلٌّ بحسْبِ عمَلِه .. فيَقصدُ أعمالَهُ الصَّالحة عَساهُ يجدُ فِيها ظِلَّاً لنَفْسِهِ .. أو أن تنفَعَهُ في شَيءٍ .. إلا أنَّه يُصدَم عندما يجدُها كسَرابٍ .. لا شَيء .. والسَّبَب أنَّه لم يبنِ حَسَنَاتِه وأعمالِه الصالحةِ على أَسَاسٍ مِن الإيمانِ والتَّوحِيدِ .. وإنما بنَاهَا على أَسَاسٍ مِن الكُفرِ، والشِّركِ .. والشِّركُ يُبطِلُ ويُحبِطُ العَمَلَ كُلّه.

458- [ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ]النور:39. الكافِرُ مَهْمَا عملَ مِن خَيرٍ، فالكُفْرُ يُحبِطُه، ويُبطِلُه .. لَا ينفعُ معَ الكُفْرِ والشرْكِ عمَلٌ .. فمن شرُوطِ قبُولِ العمَلِ الإقلاعُ عن الكُفْرِ والشِّرْكِ .. وذلك أنَّ اللهَ تعالى لَا يَقبَلُ معَ الشِّرْكِ والكُفْرِ عمَلاً .. والكافِرُ إذْ يتَعَبَّدُ ويعمَلُ عملاً خَيِّرَاً، يحسَبُ أن ذلك سينفعُه يومَ القِيامَةِ، ومَا هو بنافِعه في شَيءٍ، فإذَا جاءَ يومُ الحِسَابِ، ووضِعَ الميزَانُ .. تَساءلَ وبحثَ عن عمَلِه .. في وقتٍ تَشتَدُّ فيه الحاجةُ إلى الحسنَةِ الواحِدَةِ .. فلم يجِدْه شَيئاً .. ووجَدَ عمَلَهُ هبَاءً منثوراً .. فيقَعُ في النَّدَمِ على ما كان مِنه مِن تَفريطٍ في حقِّ اللهِ تعالى عليه .. مثَله مثَل العَطْشَان الذي يكادُ العطَشُ أن يقتلَه .. فيَنظرُ مِن بَعيدٍ فيرَى سرَاباً يتموَّجُ على أرضٍ مُسطَّحَةٍ، فيحسَبُهُ ماءً، فيَسْعَى إليه مُسرعاً، فإذا وصَلَ إليه، لم يجدْهُ شيئاً .. فتعْلُوه الحَسْرَةُ والنَّدامَةُ .. والحسرَةُ يومَ القيامَةِ أَشَدُّ وأعظَم!

459- [ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ]النور:39. هو الرِّيَاءُ، ومَا كانَ لغَيرِ اللهِ.

* * * * *

## وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ

460- [ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً ]؛ مِن كِتابِ اللهِ، ومِن سُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. يُبصِرُ به الحقَّ مِن الباطِلِ .. يَهتَدي به إلى الصِّراطِ المستَقِيم .. ويكشِفُ له الأشياءَ على حقيقَتِها مِن غيرِ لبْسٍ ولا غُموضٍ، [ فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ]النور:40. يَهتدي به الطريقَ .. سيظلُّ يتخبَّطُ في ظُلماتِ الكُفرِ، والشِّرْكِ، والضَّلالِ .. يَنتقلُ مِن باطِلٍ إلى باطِلٍ .. يَعيشُ التِّيهَ والضَّياعَ .. لا يهتَدي سَبيلاً .. ولا يُحسنُ التمييزَ بين الحقِّ والباطِلِ، ولا بينَ ما يَنفعُه، ومَا يَضرُّه .. والنورُ المستخدَم يخبُو ويقْوَى بحسْبِ ما تمدُّهُ من مَصْدَرِ الطَّاقَةِ والنُّور، مِن كِتابِ اللهِ تعالى، وسُنَّةِ نبيِّهِ صلى الله عليه وسلم .. ومَن كان نورُه ضَعيفاً لا يتكشَّفُ له ما يتكشَّفُ ويَظهرُ لمن كان نُورُه قويّاً .. ولربما مَرَّ عليه الباطلُ وهو لا يَتنبَّه له بأنَّه باطِلٌ .. وهذا سَببٌ قويٌّ ودَافعٌ للانكبابِ على طَلبِ العِلمِ، والتَّفقُّهِ بما في الكِتابِ والسنَّةِ.

* * * * *

## وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا

461- [ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ]النور:54. تُوجدُ ظُلماتٌ عِدَّة بعضُها يَعلُو بَعض .. وبعضُها يَزيدُ على بَعضٍ؛ ظُلُمَاتُ الجهْلِ .. وظُلمَاتُ الضَّلالِ، والتِّيه، والضياعِ .. وظلماتُ الشِّرْكِ والكُفْرِ .. وظلماتُ البِدَعِ والأهواءِ .. وظلماتُ الكآبَةِ، والقَلَقِ، والأمراضِ

النَّفْسيَّةِ .. فالهدايةُ للخرُوجِ من هذه الظُّلماتِ مجتمعةً .. إلى نورِ العِلْمِ، والإيمانِ، والتَّوحيدِ، والنَّجاةِ في الدُّنيا والآخِرَةِ .. إلى الصِّراطِ المستقيمِ .. تكمنُ حَصْراً في طَاعَةِ ومتابعةِ خاتمِ الأنبياءِ والمرسَلين محمد صلى الله عليه وسلم .. فلَا هِدَايةَ، ولا مَنْجَاة إلَّا بطاعَتِه صلى الله عليه وسلم.

462- [ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ]النور:54. إن تُطِيعُوا محمَّداً رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وتتَّبعُوا سُنَّتَه، تَهتَدُوا لِمَا فيه خَير دِينِكُم ودُنيَاكُم .. ولِمَا فِيه سعادَتِكُم في الدُّنيَا والآخِرَةِ .. مَفهوم المخالَفَةِ، إن لم تُطِيعُوه، ولَمْ تتَّبعوا سُنَّتَه، وعَدِلْتُم عنه إلى غَيرِه، تَضِلُّوا، وتَفقدُوا سَعادَةَ الدَّارَين، الدُّنيَا، والآخِرَة.

* * * * *

وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ

463- [ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ]، كل هذا المنّ، والعطاء، والخير، مقابل:[ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ]النور:55. وعندما يتأخّر الموعود، نحن أمام خيارين: إما الظن بالله تعالى سوءاً، وأنه تعالى قد أخلفَ الميعاد، وهذا مُحالٌ، وهو كفرٌ والعياذُ بالله، وتكذيب لقوله تعالى:[ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ ]التوبة:111. وإمَّا أن نتهم أنفسَنا بالتّقصير، وأنها لم تحقّق شرط الموعود كما يجب وينبغي، وهو [ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ]، ولا مناصَ لنا إلا هذا الخيار، لنجتهد طاقَتَنا ووسعنا في تحقيقِ العبادةِ بمعناها العام والخاص، الشَّاملِ لجميعِ ما يحبّه الله تعالى من الأقوالِ والأعمال الظَّاهرةِ والباطنة، وأن نجتنب الشّركَ ما ظهرَ منه وما بطن، ما عظُمَ منه، وما دَقّ .. ولا نتسرّع في تزكيةِ أنفسنا على الله!

* * * * *

## وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ

464- [ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ]النور:60. الحرَّةُ تَعِيشُ حياتَها مِن غَيرِ زَوْجٍ .. ولَا تَسْتَشْرِفُ الزَّوَاجَ بالسُّفُورِ، وبمَعْصِيَةِ اللهِ .. فَمَا عِندَ اللهِ تَعَالى يُطلَبُ بِطَاعَتِه، لا بمَعْصِيَتِه.

465- [ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ ]؛ عنِ الزَّوَاجِ، وأن يَبْقينَ بِلَا زَوْجٍ، [ خَيْرٌ لَهُنَّ ]النور:60. مِن أن يَتَزَوَّجْنَ مِمَّن لا يَرضَيْنَ دِينَهُ وخُلُقَه.

* * * * *

## لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً

466- [ لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً ]النور:63. أي لا تنادوه، ولا تذكروه باسمه مجرَّداً " محمد "، مِن دون أن تُضيفوا إليه صِفةَ النّبوّة والرسالة، وتُصَلُّوا وتُسَلّموا عليه .. ومِن دُونِ أن تُظهِرُوا احترَامَاً، وتَوقِيراً، وتَعظِيماً له .. كما يخاطِبُ بعضُكم بعضاً، ويَذكرُ بعضُكم بعضاً .. هذا لا يَليقُ ولا يجوز .. وكم يحزُنني عندما أسمعُ لدعاةٍ ووعّاظٍ كبار عندما يأتون في حديثِهم على ذِكرِ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم، تراهم يَذكرونَه باسمِه فقط " محمد !"، أو " النبيّ !"، من دون أن يصلّوا عليه .. فيُسيئون لأنفُسِهم، ويُقلّلون من قِيمةِ وعظِهم .. وفي الحديث:" البَخيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِندَهُ، فلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ ". هذا فيمن يُذكَر عِندَه، ثم لا يُصلي عليه، فكيف بالذي يَذكرُهُ باسمِه، ثم لا يُصلّي عليه .. صلَّى اللهُ عليه، وعلى آلِه، وصحبِه، وسلَّم تَسْليماً كثيراً؟!

467- [ لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً ]النور:63. وَجهٌ آخَر صحيحٌ ومُعتبر لمعنى " الدُّعاء " ذكَرَه ابنُ عبَّاس، ورَجَّحه ابنُ جرير الطَّبري في تَفسيرِه، وهو أن دُعاءَ النبيّ صلى الله عليه وسلم ليسَ كدُعاءِ غَيرِه، فدُعَاؤهُ مُستَجابٌ لَا يُرَد، ليسَ بينَه وبينَ اللهِ حِجَابٌ .. فاحذَرُوا أن تَعصُوه، وتخالِفُوا أمرَه، وسُنَّتَه، فيَطالكُم دُعاؤه عَليكم ..

واللهُ تعالى يحذِّرُ المسلمين من الاستخفافِ بدعاءِ النبي صلى الله عليه وسلم أو التَّهاون به .. والسؤالُ الذي يَطرحُ نفسَه: هل هذا المعنى مُقتصِرٌ على حياةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وعلى مَن كان يَعيشُ في زمانِه من المسلِمين .. أم أنه يَشمل المسلمين في زمانِه، وفي كلِّ زَمانٍ، وإلى قيامِ الساعَةِ .. وكَيف؟؟ والجواب عن هذا السؤالِ: أن دُعاءَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم يَطالُ ويشملُ مَن كان يعيشُ في زمانِه، وفي كلِّ زمَانٍ، وإلى قيامِ السَّاعةِ .. فالقُرآن الكريم لم يتنزَّل لزمَنٍ دُونَ زَمَن .. وصِفَةُ ذلك أن أعمَالاً محرَّمَة قد حرَّمَها اللهُ، وحرَّمها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم .. وقد ثبتَ في السنَّةِ الصَّحيحَةِ أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قد دَعا على من يَرتكبها، ويَقع فيها، أو يُعِين عليها .. وهي كثيرة جداً لو أردنا الإحصَاء .. وبالتَّالي مَن يتجرَّأ على تلك الأعمالِ والمعَاصِي ـ في أيِّ زمَانٍ كان يعيشُ ـ عليه أن يحذَر أن يصيبَه دُعاءُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، الثَّابت في سُنَّته، والبَاقي إلى يومِ القِيَامَة .. فالذنبُ الذي دعَا النبيُّ صلى الله عليه وسلم على مُقتَرِفه، أشدّ وزراً من الذَّنبِ، أو المعصيةِ المجرَّدَةِ التي لم يخصَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم مُقترفَها بالدَّعاءِ عليه .. ودُعاءِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بعد موتِه، كدُعَائِه في حيَاتِه .. فالحذَر، الحذَر!

* * * * *

## فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ

468- [ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ]؛ أمْرِ النَّبيِّ محمد صلى الله عليه وسلم؛ فيُعارِضُون أمْرَه بأمْرِ غَيرِه، ويَعْدِلُون عن أمْرِهِ إلى أمْرِ غَيْرِه، ويُقَدِّمُون قَولَ غَيرِه على قَولِه، [ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ]؛ شِرْكٌ؛ فيقَعُون ـ بِسَبَبِ صَنِيعِهم هذا ـ في الكُفْرِ والشِّرْكِ، [ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ]النور:63. في الدُّنْيَا قَبلَ وغَير عَذَابِ الآخِرَةِ!

* * * * *

## تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ

469- [ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ]الفرقان:1. أي القُرآن، وسُمّي فُرقَاناً؛ لأنَّه يَفْرُقُ بين الحَقِّ والبَاطلِ، وبينَ الإيمانِ والكُفرِ، وبينَ التَّوحيدِ والشِّركِ، وبين الهُدَى والضَّلالِ، وبينَ السُّنَّةِ والبِدْعَةِ، وبين العِلْمِ والجَّهلِ .. وبينَ سبيلِ المؤمنين وسبيل المجْرِمين.

* * * * *

## وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً

470- [ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ ]؛ نَفْسَهُ؛ يُشْرِك باللهِ؛ يَعبدُ مِن دُونِ ـ أو معَ ـ اللهِ آلهةً أُخْرَى، ويَنْسِبُ لهم مِن الخصَائِصِ، والصِّفَاتِ مَا هو للهِ تعالى وَحْدَه، [ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً ]الفرقان:19. أليماً شَديداً، خَالِداً فيه أَبَدَاً .. وذلك لأنَّ الشِّرْكَ ظُلمٌ لَا يُوازِيه ولَا يَعلُوه ظُلم.

* * * * *

## وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ

471- [ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ]؛ شَاملَةٌ لجميع النَّاسِ، وشرائِحِ المجتمَع .. فِتنَةُ الأبناءِ للآباءِ، والآباءِ للأبناءِ .. والزوج لزوجَتِه، والزَّوجَة لزوجِها .. والغنيّ للفقيرِ، والفقيرِ للغنيِّ .. والصحيح للسَّقيمِ، والسَّقيم للصَّحِيح .. والقويِّ للضعيفِ، والضَّعيفِ للقوِي .. والحكَّامِ للمحكومِين، والمحكُومين للحكَّامِ .. والخادِمِ المستأجَرِ لسَيدِه، والسَّيدِ لخادِمه .. والجارِ لجارِه، والعَكْس .. والصَّاحِبِ لصاحِبِه، والعَكْس .. والأقارِبِ بعضهم لبَعضٍ .. والعلماءِ لتلاميذِهم وأتبَاعِهم، والتَّلامِيذِ والأتباعِ للعلماءِ، [ أَتَصْبِرُونَ ]؛ على

التَّكاليفِ وعلى أدَاءِ كُلِّ طَرَفٍ حقُوقَ الطَّرَفِ الآخَر، مِن غيرِ إفراطٍ ولا تَفريطٍ .. إذ لكلِّ فريقٍ حقُوقٌ تُؤدَّى له، وواجِباتُ يُؤدِّيها، [ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ]الفرقان:20. بَصيراً بمن يَصبرُ على التَّكاليفِ، وأداءِ الحقُوقِ، ومِن لا يَصبِرُ على التَّكاليفِ، ولا يؤدِّي الحقُوقَ.

472- [ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ]الفرقان:20. مِن حِكَمِ اللهِ تعالى أن جَعَلَ النَّاسَ طَبقَات في العَيشِ، وفي النِّعَم، والنِّقَم .. ومُتَفاوتُون في الاهتِمَامات والمهَن .. فمنهم الغنيُّ، ومِنهم الفَقِيرُ .. ومِنهم الصَّحيحُ، ومِنهم السَّقيمُ .. ومِنهم العَالِمُ، ومِنهم الجاهلُ .. ومِنهم الشَّريفُ، ومِنهم الوَضيعُ .. ومَا بين كل فريقَين فَرِيقٌ وسَطٌ بينهُمَا .. وكلُّ فَريقٍ بما هو فيه مُبتَلى، يَستوجِبُ مِن صاحبِه حتى ينجحَ فِيما هو فيه مِن بَلاءٍ واختِبارٍ إلى الصَّبرِ .. لذا جاءَ الأمرُ الإلهي [ أَتَصْبِرُونَ ]؛ أي اصبرُوا على مَا آتَاكُم اللهُ مِن فضْلِه، وعلى مَا فاتَكم .. وعلى ما بينَكُم مِن تَفَاوتٍ في العَيْشِ والرُّتَبِ .. ومن دُونِ اعتِرَاضٍ ولا تَعقِيبٍ .. ولَا عُدْوانٍ أو استِشْرافٍ للحرَام.

* * * * *

## وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً

473- [ وَيَوْمَ ]؛ القِيامَةِ؛ يومَ تُرَى النَّارُ، والجَنَّةُ عينَ اليَقِين، [ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ]؛ حَسرَةً وندامَةً على مَا فَرَّطَ في جَنْبِ اللهِ .. وقوله [عَلَى يَدَيْهِ ]؛ فيه دلالةٌ على شدَّةِ الحسْرةِ والنَّدَامَةِ، فهو لم يكتَفِ بِعَضِّ يَدٍ واحِدَةٍ أو بَعْض أصَابع اليَدِ، بل يَعضُّ يَدَيه مَعاً، [ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ]؛ غايَةُ التمنِّي والرَّجَاء، والحَسْرةِ، والنَّدَامَةِ، وأنَّى .. [ اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ]الفرقان:27. يا ليتَنِي سلَكْتُ طريقَ الهِدايَةِ معَ الرَّسُولِ، واتبعتُه، فأفُوزُ فَوزاً عَظيماً .. يا ليتَنِي لم أُعَادِي الرَّسُولَ .. يا ليتَنِي لم أتخذْ طريقَ أعداءِ الرَّسُولِ مَنْهجاً وسَبيلاً؛ الذي انتَهى بي إلى ما أنا فيه مِن الحَسْرَةِ والنَّدَامَةِ .. والعَذَابِ الأليم!

474- [ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ]الفرقان:27. هذه الآيةُ لا تخصُّ الكفَّارَ أو من عاصرَ النبيّ صلى الله عليه وسلم من الكفار وحسب، وإنما كلّ من ردَّ السُّنَّةَ أو عارَضَها بهواه من أهلِ القِبلةِ - وعلى مرِّ الأزمان - له نصيبٌ من هذه الآية، ويقول يوم القيامة:[ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ].

475- [ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ]الفرقان:27. العَظَماءُ كُثُر .. لا يُلزِمُك أحدٌ مِنهم يا ابنَ آدم .. ولَن تُسأَلَ عن أحدٍ مِنهم .. إلَّا الرَّسُول صلى الله عليه وسلم الذي ارتَضَاهُ اللهُ تعالى لعبادِه قُدْوةً وأُسْوةً حسَنَةً في جميع مجَالاتِ حياتِهم الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ .. فأنت لم تُؤمَر بطاعَةِ ومُتَابَعةِ أحَدٍ إلا الرَّسُول صلى الله عليه وسلم، وما جاءَ به الرسولُ صلى الله عليه وسلم من عندِ رَبِّه .. وفي القَبرِ لَن تُسْأَلَ إلا عن شَخصِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم .. ويومَ القِيامَةِ لن تُسأَل إلا عن الرسولِ صلى الله عليه وسلم .. بما أَجَبْتَهُ .. وأجبْتَ دَعْوَتَه؟!

كلُّ ما عَدَا الرسُول صلى الله عليه وسلم مَهمَا عَظُمَ وعَلَا كَعْبُه، وشَأنُه .. يُخطِئ، ويُصيب .. يُؤخَذُ منه ويُرَدُّ عليه .. يُقالُ له أخطَأتَ وأصَبْتَ .. أحسنْتَ وأسَأتَ .. إلا الرسولُ المعصُومُ صلى الله عليه وسلم؛ فله مِنك كامِل الطَّاعَةِ، والمتابَعةِ، والاسْتِسْلامِ لحُكْمِه، وسُنَّتِه، مِن غيرِ أدْنَى اعتراضٍ، أو مُعَارَضةٍ، أو تَعقِيب .. وإلَّا فَلا إيمانَ ولا إسْلام .. ومن ثمَّ العَضُّ على اليَدَينِ حَسْرَةً، ونَدَامةً!

كلُّ ما عَدَا الرسُول صلى الله عليه وسلم مَهمَا عَظُمَ وعَلَا كَعْبُه، وشَأنُه .. مكانَتُه الحقِيقيَّة، تكمنُ في دَرَجةِ قُربِه أو بُعدِه عن الرسولِ صلى الله عليه وسلم، وعن سبيلِه ودَعوتِه .. وهي القيمَةُ والحقُوق التي أعطاها له الرسولُ صلى الله عليه وسلم .. فكلُّ مَن له

حَقٌّ عليكَ من الآباءِ، والعُلماءِ، وغيرِهم .. هو لأنَّ الرسولَ صلى الله عليه وسلم قالَ لك: فلانٌ له حَقٌّ عليك، ثم حَدَّدَ لك صِفَةَ ومَعَالِمَ، وحدُودَ هذا الحقِّ الذي لا يجوزُ تجاوزُه .. وحتَّى لا يُستَغَل هذا الحق استغلالاً خاطِئاً.

* * * * *

## يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً

476- [ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي ]الفرقان:28-29. لا أضَرَّ على المرءِ ـ سواءٌ كان ذَكَراً أم أُنثى ـ من صاحِبِ السُّوءِ .. يَدلُّه على الشرِّ، ويحجبُ عنه الخيرَ .. يُزهِّدُه بالطاعاتِ، ويُرغِّبه، ويُزيِّن له المعاصِي .. ما تبنيه الأسرةُ، والمسجدُ، والمدرسةُ معاً يهدُمه قرينُ السُّوءِ .. وقد قِيل: الصاحِبُ ساحِبُ .. وقُل لي معَ مَن تمشي أقلْ لك مَن أنتَ .. والمرءُ يُعرفُ بصاحِبِه .. وفي الحديث:" الرَّجُلُ علَى دينِ خليلِهِ فلينظُر أحدُكُم من يُخالِلُ ". فإذا قامَت القيامَةُ .. وجاءَ اليومُ الموعُود .. وأصبحَ الغيبُ عينَ اليَقِين .. قالَ الصاحِبُ الضَّحيَّةُ، والحسَراتُ، والنَّدَامَات تعلُوه، ولَاتَ حِين مَندَم:[ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً ]؛ فيتذكرُ صاحبَ السوءِ الذي كانَ سَبباً فيما انتهى إليه من خُذي وعذابٍ .. ويتمنى لو أنه لم يتخذْهُ خَليلاً وصاحِباً .. وبعدَ فواتِ الأوان!

* * * * *

## وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً

477- [ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً ]الفرقان:29. يرميه في الحفرَةِ، ثم يتخلَّى عنه، ويتبرَّأ مِنه!

* * * * *

وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً

478- [ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ]الفرقان:30. والهَجْرُ أنْوَاعٌ: هَجْرٌ أكْبَرُ، يَتَمَثَّلُ بهجْرِ وإعْرَاضِ الكافرين والمشركين. وهَجْرٌ دُون هَجْرٍ، يَتَمَثَّلُ بهَجْرِ أهْلِ القِبْلَةِ، وهؤلاء دَرَجَات، مِنْهم المُقِلُّ في هَجْرِه، ومِنْهُم المُكْثِرُ .. ومَن يُكثِر مِن تِلاوتِه، لكنَّه لا يَتَدَبَّرُه، ولا يَعْمَلُ به، أو ببعْضِه، يَطَالُهُ حَظٌّ وافِرٌ من مَعنَى الهَجْرِ الوَارِدِ في هذهِ الآيةِ الكريمة.

* * * * *

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ

479- [ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ]الفرقان:31. مَن لم يكن له عدوٌّ من المجرمين، ولا يُريدُ أن يكونَ له عدوٌّ من المجرمين، ليس من أتباعِ المرسَلين، وعليه أن ينظرَ أينَ هو من دينِ الله!

480- [ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ]الفرقان:31. والعُلماءُ هم ورَثَةُ الأنْبياءِ، فَمَن كانَ من العُلماءِ ليسَ له عَدُوّاً مِن الطُّغَاةِ المجْرِمين .. أو كان حَليفَاً للطُّغَاةِ المجْرِمين .. يخرجُ مِن صِفَةِ العُلماءِ، وصِفَةِ ورَثَةِ الأنْبِياءِ!

* * * * *

وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ

481- [ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً ]الفرقان:37. هم كذَّبوا بنوحٍ عليه السلام فقَط .. ولَمَّا كان التكذيبُ

برسولٍ واحدٍ بمثابةِ التكذيبِ بجميعِ الأنبياءِ والرُّسُل .. عُدَّ تكذيبُهم بنوحٍ هو تكذيبٌ بجميعِ الأنبياءِ والرسلِ؛ لأنَّ كلَّ رسولٍ يُصَدِّقُ جميعَ الرسُلِ ـ مَن كانُوا قبلَه، ومَن سيأتي بعدَه ـ ويَدعُو إلى الإيمانِ بجميعِ الأنبياءِ والرسلِ .. فمن كذَّبَه فيما يَدعُو إليه لزمَهُ التكذيبُ بجميعِ الأنبياءِ والرسلِ .. والحمدُ لله على نعمةِ الإيمانِ والإسلامِ أن هدَانا اللهُ إلى الإيمانِ بجميعِ الأنبياءِ والرسُلِ ـ مِن آدَمَ عليه السلام مروراً بجميعِ الأنبياءِ والرسلِ إلى خاتَمِ الأنبياءِ والرُّسلِ محمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ لا نفرِّقُ بينَ أحَدٍ مِن رُسُلِ اللهِ.

* * * * *

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً

482- [ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ]الفرقان:43. الحَلالُ ما يَراهُ حَلالاً، والحَرامُ ما يَراهُ حَرَاماً، والحقُّ ما يَراهُ حَقّاً، والباطِلُ ما يَراهُ بَاطِلاً .. والجميلُ ما يَراهُ جَميلاً، والقَبيحُ ما يَراهُ قَبِيحاً .. مَدْحُهُ زَيْنٌ، وذَمُّهُ شَينٌ .. فهذا الذي يُقالُ له:[ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ]، وما أكثَرُهم!

483- تأملتُ الطواغيتَ الذين يُعبَدون من دونِ الله، فوجدت أكثر الطواغيت شعبيّة وانتشاراً في الأرض، يُعبَد ويُطاع من دونِ الله، طاغوت الهوى .. صدق الله العظيم:[ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ]الفرقان:43. وقال تعالى:[ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ]الجاثية:23. وقال تعالى:[ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ ]القصص:50.

484- [ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ]الفرقان:43. جميعُ المذَاهِبِ والمدَارِسِ الفَلْسَفِيَّةِ، والنَّفْسِيَّةِ ـ القَديمَةِ مِنها والحَدِيثَة ـ التي تَتكلَّمُ عن الإنسَانِ، وعَن حُريَّتِه،

وحُظُوظِهِ، وحُقُوقِه .. وتُضَخِّمُ عِندَه صِفَةَ وكلمَةَ " الأَنَا " بَعيداً عن ضَابطِ وقَيدِ الشَّرْعِ المنَزَّلِ؛ قالَ اللهُ، قالَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم .. فهي عمَلِيَّاً تُكَرِّسُ عِندَه عِبَادَةَ إلَه الهوَى .. فتَرَاهُ يَتَأَلَّه مَا يَهْوَاهُ، ومَا يَميلُ إليه، ويَرغَبُه؛ فالحقُّ مَا يَراه حَقَّاً، وإن كان في مِيزانِ الشَّرعِ المنَزَّلِ باطِلاً، والبَاطِلُ مَا يَراهُ بَاطِلاً، وإن كانَ في مِيزانِ الشَّرْعِ المنَزَّلِ حَقَّاً .. فهذا عَبْدٌ مملُوكٌ لهوَاه كأَشَدِّ مَا تكُون العُبُودِيَّةُ، وكأَشَدِّ مَا يكُونُ الاسْتِملاكُ، وكَأَسْوأ مَا يَدخُلُ في مَعَانِي عبُودِيَّة العَبِيدِ للعَبِيد!

* * * * *

## إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً

485- [ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ]الفرقان:44. عِندَمَا تَجِدُ مِن الكُفَّارِ مَن يُريدُ أن يجرِّبَ حياةَ الحيوانَاتِ، كالكِلابِ والخنازِيرِ، وغيرِها .. فيُقَلِّدُها في أصواتِها، وحَرَكاتِها، وطَريقَةِ أكْلِها وشُرْبِها .. وهو في قِمَّةَ السعادَةِ والسُّرُورِ .. ومِنهم مَن يَدْفَع أموالاً ليعِيشَ هذهِ التَّجْرِبَةِ .. فإنَّهم بذلك يُصَدِّقُون هذه الآيةِ، ويُفَسِّرُونها تَفْسِيراً عمليَّاً يَعلُو البيَانَ اللفْظِي، [ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ]!

486- [ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ]؛ في اتِّباعِ شَهْوَتَي البَطنِ والفَرْجِ، وعَدَمِ الانتِفَاعِ مِن وسَائلِ التَّلَقِي؛ السَّمْعُ، والبَصَرُ، والفُؤَاد، [ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ]الفرقان:44. لتمايُزِ الأَنْعَامِ عنهم بالتَّوحِيدِ، والتَّسْبِيح ...!

* * * * *

## وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً

487- [ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ]الفرقان:48. طهوراً للأبدانِ من الأدْرَانِ، وطَهُوراً للأبْدَانِ مِن الذُّنُوبِ والخَطَايَا، وطَهُوراً للأبدَانِ مِن الأمرَاضِ .. وكانَ مِن السَّلَفِ مَن يَشربُ ماءَ المطَرِ معَ ماءِ زمزَم على نيَّةِ الشِّفاءِ، ويقول: ماءٌ طَهُورٌ معَ ماءٍ مُبَارَكٍ.

* * * * *

## فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً

488- [ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ ]؛ فِيما يَدعُونَك إليه، ويَنْهونَك عنه، [ وَجَاهِدْهُم بِهِ ]؛ وادفع شُبهاتهم، وحجَجهم، وباطِلَهم بالقرآنِ الكريم؛ ففيه العِلْمُ والنُّورُ الذي يُحِقُّ الحقَّ، ويُبطِلُ الباطلَ، ويَدفَعُ كلَّ ما يَستدلُّون به عليكَ من شُبَهٍ، وحججٍ، وأباطِيل، [ جِهَاداً كَبِيراً ]الفرقان:52. جهاداً شديداً تُفرِغُ فيه جَهْدَكَ وطاقَتَك .. فليسَ شيءٌ مِثل القرآنِ تُرَدُّ به شُبَهُ وأباطِيلُ المُبطلين.

كم يَخسر الدَّاعيةُ إلى اللهِ عندما يَحيدُ عن القُرآنِ الكريم وأسلُوبِه إلى غيرِه مِن طُرقِ علمِ المنْطقِ والكَلامِ في مواجَهةِ حُجَجِ وأباطيلِ المبطلِين، والمُلْحِدين ...؟!

* * * * *

## وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً

489- [ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً ]الفرقان:55. وهو كُلُّ مَن دَخَلَ في مُوَالاةِ الطَّواغِيتِ والظَّالمِين، ونَاصَرَهُم على الإسْلامِ، والمسْلِمين.

* * * * *

## وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ

490- [ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ]الفرقان:58. حيثُما، ووقتما تَطلبهُ، وتُريدُه، وتحتَاجُه، فهو حيٌّ لا يمُوت، ولا تَأخذُه سِنَةٌ ولَا نَوم .. وهو سُبحانه معَك، وقَادِرٌ على أن يُجيبَك لِمَا تُريد .. فمن الخصَائِصِ التي يجبُ أن نتوفَّر فِيمَن نتوكَّل عليه أن يكونَ حيَّاً لا يمُوت، ولا يَغفُو، ولا يَنامُ، ولا يَغفَل عمَّن يَستغِيثُ به، ويَتوكَّلُ عليه .. أمَّا مَن كان يموتُ، وينَامُ لا يَصحُّ ولا يليقُ أن تعبدَهُ، وتتوكَّلَ عليه؛ ولو فَعلت، فقد تجده مَيتَاً، أو نَائمَاً، غافِلاً عنك، لَا يَقدرُ على شَيءٍ!

491- [ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ]الفرقان:58. سؤالٌ للنَّصَارى الذين يعتقدُون أنَّ المسيحَ عليه السلام إلهٌ ورَبٌّ .. ثم يقولُون أنه قد ماتَ وأُدخِلَ في القبرِ ثلاثةَ أيَّامٍ .. كيفَ يَتوكَّلُون على مَيِّتٍ .. كيفَ يحقِّقُون معنى التوكُّل على ميِّتٍ لا يَقدرُ على أن يجيبَهم لشيءٍ طيلةَ الأيامِ التي ماتَ وغابَ فِيها .. ثم مَن كان يُديرُ الأكوانَ .. ويُجري الأرزاقَ على الخلائقِ .. ويجيبهم إلى مَا يَسألُون، ويَطلبُون، طِيلةَ هذه الأيَّامِ التي ماتَ وغابَ فيها يَسُوعُ الإله والرَّب .. رَبٌّ يمُوت، فمن للخلائقِ طِيلَةَ زَمَنِ مَوتِه؟؟!!

* * * * *

## فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً

492- [ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ]الفرقان:59. فاسْأَلْ خَبيراً باللهِ؛ عالِماً بكتَابِه، ومتَّبعاً لسنَّةِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ومُهتدياً بفهمِ الصَّحابَةِ والتَّابعين لهم بإحسَانٍ، يخبرك بأسماءِ، وصِفَاتِ، وخصَائصِ الخالِقِ سُبحانَه .. مَفهُومُ المخالَفَةِ لَا تَسأَلْ أهلَ الجهْلِ، والبِدَعِ، والأهوَاءِ، الذين يخُوضُون في أسماءِ اللهِ وصِفاتِه بغيرِ علمٍ، ولَا نَقْلٍ صَحِيحٍ.

493- [ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ]الفرقان:59. مَهمَا كان مستواك العِلمي ضَعيفَاً، فأنت مُطَالَبٌ بأن تتحرَّى وتَسأَلَ عن أعلَمِ، وأَتقَى، وأصلَح إنسانٍ تَستطيعُ أن تصلَ إليه .. فتتوجَّه إليه مُسترشِداً بالسؤالِ عن أمورِ دِينِك، وآخِرَتِك .. فإن لم تفعَل ذلك، ثم وقَعت في الانحرافِ، وضَلَلتَ الطَّريقَ، وصِراطَ اللهِ المستقيم ـ بسببِ مَن تَسألهم وتُراجعُهم في أمورِ دِينِك وآخِرَتك مِن أهلِ الجهلِ، والأهواءِ ـ فأنتَ المُلامُ، والمؤاخَذُ؛ لأنَّك بإمكانِك أن تَتفَادَى ذلك، ولم تَفعَلْ .. وإنه ليَشتَد العجَبُ ممن يُريدُ أن يُصلحُ سيارتَه أو شيئاً من متَاعِ الدُّنيا، فتراهُ يتحرَّى عن الأَعلمِ، والأجوَدِ، الذي يُتقنُ عملَه، ولَا يَغش، وشاعَ صِيتُه الحسَن بين الناسِ، فيَقصُدُه .. بينَما إذا أرادَ أن يَسأل عمَّا أهمَّه من أُمورِ دينِه، وآخِرتِه ـ وهو الجانِبُ الأَهَم ـ تراهَ يَقصِدُ النَّطيحَةَ، والمتردِيَّةَ، ومَا أَكَلَ السَّبُعُ، مِن أهلِ الأهوَاءِ، يَلتَمسُ مِنهم الرخَصَ، والإجابَةَ .. ومِثْلُ هذا أنَّى لهُ أن يُعذَرَ لو وقَعَ في الخطَأ أو الانحرَافِ!

* * * * *

## وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً

494- [ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً ]؛ بسَكينةٍ، وتواضُعٍ، ووقَارٍ بَعيداً عن الخيلاءِ، والعُجْبِ، والتهتُّكِ، والكِبرِ، [ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ ]؛ بما يَكرهُون .. والجاهِلُون يَشملُ جميعَ مَن يجهَل على الحقِّ وأهلِه، بِسَقَطٍ مِن القَولِ، سَواءٌ كانُوا كفَّاراً، أم كانُوا مِن عُصَاةِ أهلِ القِبلَةِ، [ قَالُوا سَلَاماً ]الفرقان:63. قالُوا كلاماً حَقَّاً سَدِيداً، سَالماً مِن الجهالَةِ، والسَّفاهَةِ، والشَّطَطِ، والمآخِذِ .. فلم يُقَابلُوا جهالَةَ

الجَّاهِلين، بجهَالَةٍ مماثِلةٍ .. بَل اتَّسَمُوا بالحِلمِ، وأكرمُوا أنفُسَهم مِن أن يَنزلُوا إلى مستوى الجاهِلين.

* * * * *

## فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ

495- [ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً ]الفرقان:70. في هذه الآيةِ الكريمَةِ بُشْرَى عَظِيمَةٌ، وترغيبٌ شَدِيدٌ لغيرِ المسلمين، مِن ربٍّ غَفُورٍ رَحيمٍ .. يَتودَّدُ لهم ـ وهو الغَنِيُّ ـ إذا ما تَابُوا وآمَنُوا وعَمِلُوا عَمَلاً صَالحاً .. ليسَ فقط يَغفِرُ لهم سَيئاتِهم التي كانت مِنهم قَبلَ الإسلامِ .. حتَّى يَعودَ أحَدُهُم في الطُّهْرِ مِن الرِّجْسِ والآثَامِ كيَومِ ولَدَتْهُ أُمُّه .. بل يَزيدُهُم مِن فَضْلِه ورَحمتِه، فيُبَدِّلُ سَيئاتِهم التي كانَت مِنْهم إلى حَسَنَاتٍ .. ويجعلُها في الميزانِ يوم القيامةِ في كفَّةِ الحسَناتِ .. ويُعطيهم على سَيئاتِهم أجْرَ الحَسَنات .. سُبحانَ الله العظيم وبحمدِه، ما أوسع رحمته ومغفرته، وما أكرم وأجمل عطاءه!

* * * * *

## وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ

496- [ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ]الفرقان:72. الَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ مَوَاطِنَ ومَجَالِسَ الظُّلْمِ، والكَذِبِ، والتَّكْذِيبِ، مِن غَيرِ إنْكَارٍ، ولَا بَيَانٍ، ولَا قِيَام.

497- [ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ]الفرقان:72. مِن أعظَمِ الزُّورِ أنْ تَقولَ في دينِ اللهِ ما ليسَ فِيه، وأنْ تُوقِّعَ عن اللهِ تَعالى، وعن رسُولِه صلى الله عليه وسلم، بغيرِ عِلْم.

498- [ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ]الفرقان:72. لا يَشْهَدُونَ على الحقِّ بأنَّه باطِلٌ، ولا على البَاطِلِ بأنَّه حَق.

499- [ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ]الفرقان:72. لَا يَشْهَدُونَ الشِّرْكَ.

* * * * *

## وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً

500- [ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ ]؛ بمجالسِ اللَّغْوِ .. والتَّجمعَاتِ التي يجمعُها ويَسُودُ فِيها اللَّغْوُ؛ وهو البَذَاءةُ، والفُحشُ في القَولِ، والكَلامِ التَّافِه؛ الذي لا فائدةَ مِنه في دِينٍ، ولَا دُنْيَا .. هذه المجالِس والتَّجمُّعَاتِ قَد تَكونُ بصُورةٍ شخصيَّةٍ ومُبَاشرَةٍ، وقد تكونُ عبرَ ما باتَ يُعرَفُ بغُرفِ وصفَحَاتِ التَّواصُلِ الاجتمَاعِي؛ وهي أوسَعُ انتِشَاراً وخَطَراً؛ حيثُ غالب الأسماءِ والأعْيانِ التي تُشارِكُ فِيها مجهُولَةٌ، لا تَخشَى على نفْسِها مِن رَقابةٍ ومُسَاءلة الناسِ، والمجتمع الذي يَعيشُون فيه .. فترَى أحَدَهم يُرسلُ خرابيشَهُ ولَغْوَه للعَالَم كَمَن يَكتُبُ مِن مِرْحَاضٍ! [ مَرُّوا كِرَاماً ]الفرقان:72. مُرُورَ الإعْرَاضِ، والتَّرفُّع .. غيرَ آبِهين بما يُقالُ .. يُكْرِمُون أنفُسَهم عن المشاركَةِ .. ويُكرِمُون سمْعَهم، مِن أن تَسمعَ شَيئاً مِن لَغْوِهم .. وأبصَارَهم مِن أن تَقَعَ على شيءٍ من لغْوِهم وفحْشِهم وبَذاءتِهم!

* * * * *

## قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ

501- قال موسى عليه السلام:[ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ . قَالَ كَلَّا ]؛ والضَّمَان [ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ]الشعراء:14-15. ولَمَّا أن قال الربُّ سبحانه [ كَلَّا ]؛ انتهى الأمْرُ؛ فلم يَعُدْ للطّاغيةِ فرعون رغم طُغيانِه وجَبَروتِه، أيُّ سَبيلٍ أو سُلطانٍ على موسَى عليه السلام!

إذَا أَرَادَ اللهُ شَيْئاً، شُلَّت وتَعَطَّلَت جَميعُ الإرَادَاتِ؛ لِتَمْضِيَ إرَادَةُ اللهِ فِيما يُرِيد.

502- [ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ]الشعراء:15. لم يقلْ الربُّ سُبحانه " إنَّا معَكُما "؛ معَ موسى وأخيه هارون عليهما السلام مسْتَمِعُونَ .. بل زِيادَة في الاطمئنانِ، قالَ لهما:[ إِنَّا مَعَكُم ]؛ معَكُما معيَّة عِلمٍ، وتَوفيقٍ، ونُصرَةٍ، وتَأييدٍ .. ومعَ عدوكم فرعون؛ مَعيَّةُ عِلمٍ، وقُدرةٍ، وإحَاطَة، [ مُّسْتَمِعُونَ ]؛ نسمَعُ ما تَقُولان، وما يُقالُ لكُما، وما سيردُّ بهِ عليكُما فرعونُ ومَلَأُه، [ لَا تَخَافَا ]طه:46.

* * * * *

## لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ

503- [ قَالَ ]؛ فرعون الطَّاغِية لموسَى عليه السلام، [ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي ]؛ مُطَاعاً ومَعبوداً، تُطيعُه، وتَعْبُدُه غَيرِي، [ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ]الشعراء:29. عقوبَةً على عصيانِك، وكُفْرِك بِي .. هذا لِسَانُ حَالِ جَميع طُغَاةِ الأرضِ على مَرِّ العُصُورِ معَ معارِضِيهم؛ إمَّا السجْنُ، وإمَّا القَتْلُ، وإمَّا التَّهْجِيرُ والتَّرحِيلُ، والإخْراجُ مِن الأرضِ .. فهم لا يَملِكُون أدْنَى حُجَّةٍ في تَقريرِ ألوهيَّتِهم وربُوبِيتِهم على النَّاسِ .. وفي تَعْبِيدِ النَّاسِ لذَوَاتِهم .. لِذا عِندَ المعَارَضَةِ سُرعَان مَا يَلتَجِئون إلى العُقُوبَاتِ الماديَّةِ والجَسَديَّة!

* * * * *

## فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ

504- [ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ]الشعراء:63. فكانَ لموسَى عليه السَّلام ومَن معَهُ آيةً، ونَصْراً، وفَرَجَاً، وممراً آمِناً .. وكان للطَّاغيَةِ فرعون، ولجندِه، استدْرَاجاً، وغَرَقاً، وهَلاكاً .. فسُبحَان مَن يجعل من الشيءِ، الشَّيءَ وضِدَّه، في آنٍ معاً .. وكَم مِن بَرِيقٍ ظنَّه المرءُ ذَهَبَاً، فكانَ سَبَباً لاستِدْرَاجِه وهَلاكِه!

* * * * *

## وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ

505- [ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ]الشعراء:79. اللهُ تعالى هو الذي يُطعِمُك على وجْهِ الحقيقَةِ، من وجهَين: أولهما أنَّ اللهَ تعالى هو الذي خَلَقَ الرزقَ، وأوجَدَه لك، ويَسَّر وصوله إليك .. ومِن وجْهٍ آخَر، أن اللهَ تعالى بعدَ أن أوصَلَ الرزقَ إليك، هو الذي مَكَّنَك مِن تَناوُلِه، وإساغَتِه، والاستفادَةِ منه .. وهو الذي خَلَقَ الأعضاءَ في جسدِك التي تُحْسِنُ استقبالَ هذا الطعَامِ استقبَالاً حَسَناً، وتمكِّنُك مِن الانتفَاعِ به .. وما يُقالُ عن الطعامِ يُقالُ عن الماءِ والشَّرابِ .. وكانَ من أدعيَةِ النبي صلى الله عليه وسلم ـ التي أوصَانا بِها ـ إذا أكَلَ أو شَرِبَ، قالَ:" الحمدُ للَّهِ الَّذي أطعَمَ وسَقَى، وسوَّغَهُ، وجَعلَ لَهُ مَخرَجاً " صحيح أبي داود:3851. إذْ كثيرٌ مَن يَستطيعُ أن يَشتَرِيَ الطعامَ .. وأن يُعِدَّه .. لكن لا يَستطيعُ تناولَه ولا استسَاغَتَه .. ولو أَسَاغَه، استعْصَى، ثم لا يجدُ له مخرَجاً .. ليشْكرَ الصَّحيحُ المُعَافَى، ويَعلم أنَّ الرَّازقَ، والمُطعِمَ على وجهِ الحقيقَةِ هو اللهُ سُبحانه وتعالى.

مَا تَقَدَّمَ لا يمنعُ أن يُحاسَبَ الإنسانُ على منعِه الطَّعامَ والماءَ عن أخيه الإنسان لأسبابٍ مِن عندِ نَفْسِه، منها: الطَّمَعُ، والجشَعُ، والبَغْي، والفَسَادُ، وسوءُ الإدارَةِ، والتَّوزيع .. وهو مَا يُفسِّرُ حصولَ الفَقْرِ والمجاعَاتِ في بعضِ بقاعِ الأرْضِ .. وهؤلاء يجبُ أن يُؤخَذ على أيدِيهم.

* * * * *

## وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ

506- [ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ]الشعراء:80. اللهُ هو الذي يَشْفِين .. فالشَّافي على الحقِيقَةِ هو اللهُ تعالى .. أمَّا الأسْبابُ التي نتَعَاطاهَا في عِلاجِ المرَضِ؛ فهي أولاً مخلوقَةٌ لله؛ اللهُ تعالى قد خَلَقَها وأوْجَدَها، وثانياً اللهُ تعالى هو الذي أوْدَعَ في هذهِ الأسبابِ ـ التي نُسميها دَواءاً ـ خاصِيَّةَ الشِّفاءِ .. ومع ذلك أحياناً يُعطِّلُ الخالقُ في هذه الأسبابِ خاصِّيَّةَ الشِّفَاءِ، ويَمنعها مِن أنْ تَعْمَل عَمَلَها المرجُو .. ليَعلمَ المريضُ أنَّ الشَّافي على الحقِيقةِ الذي يجبُ أن يَتعلَّقَ القَلْبُ به هو اللهُ.

* * * * *

## إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ

507- [ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ]الشعراء:89. سَلِيمٌ مِنَ الشِّركِ، والرِّيَاءِ، والنِّفَاقِ، والأهْوَاءِ، والحِقْدِ على المؤْمِنين .. عَامِرٌ بالإيمانِ، والتَّوحِيدِ، ومَحبَّةِ المؤمِنين.

508- [ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ]الشعراء:89. سَلِيمٌ مِن أمرَاضِ الشَّهواتِ، وأمراضِ الشُّبُهَات.

* * * * *

## قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ

509- [ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ . تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ]الشعراء:96-98. [ قَالُوا ]؛ الكُفَّارُ الأَتْبَاعُ، لمتبُوعِيهم، ومَرْؤوسِيهم، ومَعْبُودِيهم، [ وَهُمْ فِيهَا ]؛ في نارِ جَهنَّم؛ بَرلمانهم يومَئذٍ، [ يَخْتَصِمُونَ ]؛ يتجَادَلُون، ويَتَصَايَحُون، ويَتَلاوَمُون، [ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ ]؛ عنِ الحَقِّ، والصِّراطِ المُسْتَقِيم، [ مُّبِينٍ ]؛ بَيِّنٍ وواضِحٍ، [إِذْ]؛ كُنَّا في حياتِنا الدُّنْيا، [ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ]؛ مِن جِهةِ الطَّاعَةِ والمحبَّةِ؛ فنُطِيعُكُم لذواتِكم فِيما تُشَرِّعُون، وتَأْمُرُون وتَنْهون، بغيرِ سُلْطانٍ مِن اللهِ .. ونُحِبُّكُم لِذَواتِكُم؛ فنوَالي ونُعَادِي فِيكم مِن دُونِ الله!

* * * * *

## فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ . وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ

510- [ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ . وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ]الشعراء:100-101. لَا يَنتَفِعُون مِمَّن اتخذُوهم أصدِقَاءَ في الحيَاةِ الدُّنيَا؛ لأَنَّ الصدَاقَةَ لم تكُنْ في اللهِ، ولم تكُنْ وشاؤجُها ورَوابطُها على أُسُسٍ من التَّقوَى والإيمانِ، وإنما كانَت من أجلِ عَرَضٍ مِن الدُّنيا، وأَنَّى لِصَدَاقَةٍ هذه وشَاؤجُها أن تَنفعَ أصحابَها يومَ القِيامَةِ .. وفي الآيةِ تَنويهٌ للاستِكْثارِ مِن إخوَانِ الصِّدْقِ، والإيمانِ، عسَى اللهُ تعالى أن يَنفعَ بِهم، وأن يَأْذَنَ لهم بالشفَاعَةِ لأخلَّائِهم وأصدِقَائِهم يومَ القِيامَة .. فما يُمنَعُ عن أهْلِ الكُفْرِ، وأخِلَّاءِ السُّوءِ، يُمنَحُ لأهْلِ الإيمَانِ، ولأَخِلَّاءِ الصِّدْقِ والإيمانِ .. فَلا يَشتركَانِ في وَعِيدٍ أَبَدَاً!

* * * * *

## وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ

511- [ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ]الشعراء:183. فرُبَّ دِرْهَمٍ سَبَقَ مَائةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .. ورُبَّ كَسْرَة خُبْزٍ في مَجَاعَةٍ سَبَقَت أَرْطَالاً مِن الدَّقِيق .. ورُبَّ دُعَاءٍ مِن أَشْعَث أَغْبَر مَدْفُوع بالأَبْوَاب، يُغيِّرُ اللهُ به الحَالَ إلى أَحْسَنِ حَالٍ .. ورُبَّ كَلِمةٍ طيبةٍ، أو نَصِيحَةٍ ـ لا يُؤبَهُ لها ـ يَنفعُ اللهُ بها عِبَادَه أكثر مِن عَشَراتِ المواعِظِ .. ورُبَّ إحْسَانٍ على بَهِيمَةٍ أو إمَاطَة أذَى عَن طَرِيقٍ، تكونُ سَبباً في دخُولِ صاحِبها الجَنَّةَ .. فَلَا تُنْقِصُوا مِن قَدْرِ النَّاسِ، ومِن أعمَالِهم، وحُقُوقِهم شَيئاً.

* * * * *

## مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ

512- [ مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ]الشعراء:207. الكافرُ لجهْلِه وغفْلَتِه، يَظنُّ أنَّ ما يَعيشُه مِن متَاعِ الحياةِ الدنيا، وزينَتِها .. سيعْصِمُه مِن الشَّقاءِ، ومِن العذَابِ في الدُّنيا والآخِرَةِ .. والحقيقةُ أن المتَاعَ مهمَا تكاثَرَ وتعاظَمَ وتنوَّعَ، لَا يمنعُ عن صاحبِه الشَّقاءَ في الدُّنيا، ولَا العذابَ في الآخِرةِ .. فكَمْ هي الحسْرةُ والنَّدامَةُ عندما يُدركُ الكافِرَ ذلك، يومَ لا يَنفعُ مالٌ، ولا بنُون .. وكَمْ همْ هؤلاءِ الذين اجتمعَ لهم متاعُ الحياةِ الدُّنيا .. حتى ظنُّوا أنَّهم في مَنجَاةٍ من الشَّقاءِ .. انتهَت حياتُهم بالكآبةِ، وجميعِ الأمراضِ النَّفْسِيَّة؟!

* * * * *

## أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ

513- [ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ]؛ إن متَّعنا الكافرين بأنواعٍ مِن متَاعِ الدُّنيا، سنِين حياتهم .. وغرَّهم ما هم فيه من متاعٍ، وسكَنُوا إليه، [ ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ]؛ من العذابِ الأليمِ يومَ القِيامةِ، جزَاءَ كُفرِهم، وبَطَرهم، [ مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ]الشعراء:205-207. هل يُغني عنهم ما كانوا فيه من النَّعِيمِ، والتَّرفِ، الذي كانُوا يتمتَّعون به، شيئاً من العذابِ .. أم أنه يَزيدهم عذاباً، عندما يُسأَلُون عن النَّعيمِ كيفَ اكتسبُوه، وكيفَ أهدَرُوه، وهل شَكرُوه أم كفَرُوه .. ثم مَا قِيمةُ المتَاعِ في تلك السِّنِين المعدودَةِ والقَليلةِ إذا كانَت سَتَنتَهي بصاحِبها إلى نارِ جهَنم وبئسَ المصِير .. خالداً فيها أبَداً .. وفي الحديثِ، فقد صَحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال:" يُؤْتَى بأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيا مِن أَهْلِ النَّارِ يَومَ القِيامَةِ، فيُصْبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقالُ: يا ابْنَ آدَمَ، هلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا واللَّهِ يا رَبِّ، ويُؤْتَى بأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْساً في الدُّنْيا مِن أَهْلِ الجَنَّةِ، فيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجَنَّةِ، فيُقالُ له: يا ابْنَ آدَمَ، هلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا واللَّهِ يا رَبِّ، ما مَرَّ بي بُؤْسٌ قَطُّ، ولا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ "مسلم.

* * * * *

## فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ

514- [ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ ]؛ فلا نتوجَّه بالعبادةِ، أو بشيءٍ مما يدخلُ في معنى العبادَةِ، كالدُّعاء، والاستغاثة، والسجودِ، والرُكوع، والطاعَةِ، والمحبَّةِ، والتحاكُم، والخشيةِ، وغير ذلك .. لغيرِ اللهِ، فإن فعَلت شيئاً من ذلك، وتألَّهت غيرَ الله، بعد أن بلغَك الخطابُ الشَّرعي الذي ينهاكَ عن فعلِ ذلك، [ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ

]الشعراء:213. فإن مصيرَك يومَ القِيامَة إلى العذابِ الأليم .. هذا غير العذابِ الأدنَى الذي يصيبك في الحياةِ الدُّنيا!

* * * * *

## وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ

515- 42- لَمَّا نَزَلَت هذه الآية:[ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ]الشعراء:214. قامَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فنَادَى:" يا بَنِي كَعْبِ بنِ لُؤي، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُم مِن النَّارِ، يا بَنِي عبدِ مَنَاف، أنْقِذُوا أنفُسَكُم مِنَ النَّارِ، يا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أنفُسَكُم مِن النَّارِ، يا بَنِي عبدِ المطَّلِبِ، أنْقِذُوا أنفُسَكُم مِن النَّار ..."، بهذا الوضُوح يَنبغي أن نُخَاطِبَ الآخرين عندما نَدْعُوهم إلى الإسلام:" أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُم مِنَ النَّار ".

* * * * *

## قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ

516- [ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ]النمل:18. نملةٌ مِن أضْعفِ وأضْأَلِ مخلوقَاتِ اللهِ .. تحرسُ قومَها وبني جِنْسِها، مِن أضخَمِ جيشٍ على وجْهِ الأرْضِ؛ جَيشٌ قَهَر جبابرةَ ومُلوكَ الأرضِ؛ إنَّه جيشُ سُلَيمَان عليه السلام ..!!

نملةٌ لم يمنعْهَا ضَعْفُها وضَآلةُ حجمِهَا مِن أن تكونَ حارِسَةَ الحرَسِ، وأنْ تحرسَ قومَها في الخطُوطِ الأماميَّةِ المتقدّمَةِ مِن الخطَر الدَّاهِمِ؛ خَطَرُ جَيشِ وجُند سُلَيمان!

نملةٌ لم تفكّرْ ـ على طريقةِ الأنانيين الانْتِهَازيين ـ بنفْسِها .. كيفَ تنجُو بنفْسِها مِن الخطَرِ .. وليكُنْ بعدَ ذلك لقومِها مَا يكُون .. لَا .. لم تَفعَلْ شيئاً مِن ذلك .. كما يفْعَلُ ذلك كثيرٌ مِن بني الإنْسَانِ .. بل جعلَت نفْسَها وروحَهَا دُونَ قَوْمِها .. وكأنَّها تقولُ لا نجوتُ إن لم ينجُ قَومِي، وأهْلِي .. لا عِشْتُ إن لم يعِشْ بني قَوْمِي .. وأيُّ حياةٍ أعيشُها وبني قَومِي وأهْلِي قد تحطَّمَت بيوتُهم .. وهمُ صَرْعَى كالذَّرِّ تحتَ أقدَامِ جنُودِ سُليمان .. لا نجوتُ إن لم ينجُ بني قومي وجِنْسِي ..!

ثم هي ما إن تَرَى طَلائعَ جيشِ سُليمان قد ظَهَرت .. واقتَرَبَت مِن المنازِلِ .. لم تنتَظِرْ أن تأتي قومَها لتُخبرَهُم خبرَ الجُنْدِ والجيشِ .. فالوقتُ ليسَ لصالِحِها .. وجَيشُ سُليمان أسْرعُ إليهم مِنها .. فَما كانَ مِنها إلا أن صَرَخت وصَاحَت بأعْلَى صَوتِها: يا أيُّهَا النَّمل .. النَّجَاةَ النَّجاةَ .. ادخلُوا حُصُونَكم ومساكِنَكُم .. فإن لم تَفْعَلُوا .. ليحْطِمَنَّكُم سُليمان وجنُودُه وهُم لا يَشْعُرُون!!

تَأمَّل حَرفَ المدِّ ومجيءَ الهمْزَةِ بعدَه في [ يَا أَيُّها ]؛ مما يُوحِي بنداءٍ .. وقَلَقٍ .. ومَدٍّ في الصَّوتِ والنِّدَاءِ .. وبكلِّ ما أُوتِيَت مِن قُوَّةٍ:[ يَا ..... أَيُّها النَّمل ]؛ لكي يسمعها قومُها قبلَ أن يَستشْرِفَهم خَطَرُ جيشِ سُليمَان!

نملةٌ لا قِيمةَ ولا وَزنَ لها في ميزانِ القِوَى .. لا تخشَى أكبرَ قُوةٍ على وجهِ الأرض!!

نملةٌ لا قِيمةَ ولا وزنَ لها في ميزانِ القِوَى .. تَفعَلُ كُلَّ هذه الأفاعِيل .. تَفعَلُ ما لا يفعلُه كثيرٌ من الانتهازيين الأنانيين في عَصْرِنا!

كم من إنسانٍ يَفِرُّ مِن مواجهَةِ العدُو .. ولا يُبالي بما يُصيبُ أهلَه وإخوانَه من بعدِه .. فهو في السِّلمِ والحربِ لا يَعرِفُ إلا نَفْسَهُ .. ولا يعرفُ مَصلحةً إلا مَصلحةَ نفْسِه؟!

كم من حارسٍ يُؤتَى إخوانُه من جهتِه بسببِ إهمالِه وتَقْصِيره .. كم مِن حصْنٍ أو مَدينَةٍ تُنْتَهكُ حُرماتِها مِن قِبَلِ العدُو بسبَبِ إهمالِ وتَقصيرِ حرَّاسِهَا .. أتكونُ هذه النملةُ خيراً لقومِها مِنهم لقومِهم وإخوانِهم ..؟؟!

هذه النملةُ ـ على ضَعفِها وضَآلةِ حجمِها ـ تُعطِي دَرساً كبيراً لأولئك الذين يُؤثرُون الرَّاحَةَ والدّعةَ، والفِرَاشَ الوَثِيرَ .. لا يَهمهم مِن أمرِ العامَّةِ وأُمّتِهم شيئاً إلا أنفُسَهم وذَواتهم!

هذه النملةُ ـ على ضَعفِهَا وضَآلةِ حجمِها ـ خيرٌ من أولئك الذين يَقُولون: الحمدُ للهِ أنَّها جَاءَت على أخِي وجَارَي .. ولم تَجئْ عليَّ .. وقد نجوتُ مِنها وإن هلَكَ غَيرِي!

اعلمْ يا أخِي أنَّك مهمَا قَلَّ شَأنُك فأنتَ لسْتَ أقَلَّ شَأناً مِن تلك النملةِ .. فأقَلُّ ما يمكنُكَ القِيام به أن تفعَلَ فِعْلَها معَ قومِك وأهْلِك .. فتُنْذِرَهم الأخطَارَ التي تُداهمهم مِن كلِّ حَدبٍ وصَوْب، وصَبَاحٍ ومَساءٍ؛ الأخطار التي تُداهمُهم في دِينِهم، وفي أخْلاقِهم،

ومَعَاشِهِم، وأمْنِهم، وأوْطانِهم .. وإني أُعِيذُك أن تكونَ هذه النملةُ خَيراً لقومِها وأهلِها، مِنْك لإخوانِك، وأهْلِك، وأُمَّتِك!

* * * * *

## وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ

517- [ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ]؛ الشِّركيَّة، [ فَصَدَّهُمْ ]؛ بتزيينِه لشركِهِم، [ عَنِ السَّبِيلِ ]؛ عن التَّوحِيد، [ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ]النمل:24. لشدَّةِ تزيين الشيطان لباطلِهم وشركِهم، وتحسينِه لهم .. فإنهم لا يَهتدُون إلى الحقِّ، ولا إلى عبادَة اللهِ وحدَه .. فإنَّهم يَرون الحقَّ باطِلاً، والباطِلَ حقاً!

* * * * *

## بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

518- [ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ]النمل:30. مَا مِن عَمَلٍ تُريدُ القِيامَ به، والاستفَادَةَ منه، إلا وهو مملُوكٌ ومخلُوقٌ للهِ ربِّ العَالمِين .. والأَدَبُ يَقتَضِي مِنك قبل أن تَقتَحِمَ عملَكَ؛ الذي هو مِن مخلُوقاتِ اللهِ تعالى ومِن مُلْكِه .. أنْ تَستأذِنَ المالِكَ الخالِقَ فِيما تُريدُ القِيامَ بِه، والاستفادَةَ منه .. هذا الاسْتِئذَانُ يَتمَثَّلُ بقولِك " بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ "؛ أي أستَحِلُّ فِعْلَ هذا الشَّيءِ، وأُقْدِمُ عليه باسمِ اللهِ تعالى الذي أحَلَّه لي .. ولو استأذَنتَ غيرَه، في استِحْلَالِك للأَشْياءِ، فقُلْتَ:" باسمِ فُلان .. أيَّاً كان هذا الفُلان "؛ أستَحِلُّ هذه الأشياء، فأنتَ بفِعْلِكَ هذا قد استأذَنْتَ مَن لا يَملِكُ ولا يخلقُ .. ولا يحقُّ له أن يأذَنَ أو لا يأذَن .. ثم أنَّك بذلك تكونُ قد أشرَكْتَ باللهِ العَظِيم، واللهُ تعالى

يَقُول:[ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ ]يونس:59.

* * * * *

## لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ

519- [ لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ]النمل:40. عَكْسُ الشُّكْرِ الكُفر، والكُفْرُ نوعَان: أَصْغَرُ، وهو كُفْرُ النِّعْمَةِ، وأكبَرُ، وهو كُفْرُ المُنْعِم.

520- [ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ]النمل:40. النِّعَمُ ـ كالشِّدَّةِ ـ بَلاءٌ، واختِبَارٌ، فَمَن قَابَلَها بشُكرِ اللهِ، وبالتواضُع، وردِّ الفَضْلِ إلى الله، فقَد فازَ، ونجَحَ في الاختِبارِ، وزادَهُ اللهُ من فَضْلِه. ومَن كفَرَ النِّعَم، فلم يَشْكُر اللهَ، وردَّ الفَضْلَ فيها لنفْسِه ولعزَماتِه، وللأسبَابِ مِن دُونِ اللهِ، وحملَته النِّعَمُ على العُجبِ، والكِبْرِ والتَّعَالِي على الخلْقِ، فقَد خَابَ وخَسرَ، ولم يَضر إلا نفْسَه!

521- [ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ]النمل:40. اللهُ تعالى غنيٌّ عنك وعن شُكرِك، لَا يَرتَدُّ عليه شيءٌ مِن شُكرِك، وإنما شُكرُك يَرتدُّ خيرُهُ على نَفسِك .. واللهُ تَعالى يُريدُك أن تَشكرَ نِعمَه عليك؛ ليُعطِيك، ويَزيدك مِن فَضلِه وعطَائِه في الدُّنيا والآخِرَة .. فأنت مِن هذا الوجه تَشكُر لنَفْسِك، ومِن أجلِ مَصلحتِك، ومَنفَعتِك .. وليميز الشَّاكر عنِ الكافِرِ لأنعُمِ اللهِ.

* * * * *

## فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً

522- [ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً ]؛ خَالِيةً مِن الأُنْس، والجمَالِ، والحُبِّ، والسَّكينَةِ، والرَّحمَةِ، [ بِمَا ظَلَمُوا ]النمل:52. بسببِ ظُلمهم لأنفُسِهم، ولبعضِهم بعضاً .. فالظلمُ يخرِّبُ العَامِرَ مِن الدِّيارِ، ويجعلُ الدِّيارَ بَلاقِعَ!

* * * * *

## أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ

523- [ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ]النمل:62. المضْطَرُّ تجتمعُ فيه أربعُ خِصَالٍ: شِدَّةُ الكَرْبِ .. وشِدَّةُ الحاجَةِ لتَفْرِيجِ الكَرْبِ .. وإفراغُ القَلْبِ مِن العَوَالِقِ التي لَا تَدْفَعُ ضرَّاً، ولا تُجلِبُ نَفْعاً .. وصِدْقُ التَّوجُّهِ إلى اللهِ .. ومَن اجتمَعَت فيه هذه الخِصَالُ، يجيبُه اللهُ، ولَا يَردُّه خَائِبَاً.

* * * * *

## وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً

524- [ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ]؛ ثابتةً واقِفةً مِن غَيرِ حِرَاكٍ، [ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ]النمل:88. بينَمَا هي في حَقيقَتِها تَسيرُ سَيراً سريعاً جدَّاً، فتَدُورُ معَ الأرضِ دَورَتِين؛ دَورةً تَدُورُ فيها الأرضُ حولَ نفسِها في اليومِ الواحِدِ، فيَتَعَاقَبُ الليلُ والنَّهارُ، وتُعرَف أوقاتُ الصَّلواتِ الخمس، وما بينها من أوقَاتٍ .. ودَورةً حولَ الشمسِ في السَّنَةِ مرةً واحِدَة، تكون سرعتُها وهي تَدورُ حولَ الشمسِ ـ كما يَقولُ علماءِ الفلَك ـ 107000 كم في السَّاعةِ .. وهي ـ أي الجبالُ ـ معَ هذه السرعَةِ الفائقَةِ لحركَةِ الأرضِ لا تَهَاوَى،

ولَا تَسقُط .. وكذلك المحيطَاتُ، والبحارُ، لَا تَرتَطِمُ، ولَا تَسقطُ على اليَابسَةِ، ولا يختلِطُ بعضُها ببعضٍ .. أفلَا يَدلُّ ذلك على الخالِقِ القَدِيرِ .. وأنَّ هذا القُرآن كلامُ اللهِ .. وأنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم رسولُ الله؟!

## صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ

525- [ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ]النمل:88. خَلَقَ اللهُ الأشيَاءَ، فأتْقَنَ وأحسَنَ الخَلْقَ، وأعطَى كلَّ مخلُوقٍ مِن الخصَائصِ والوظائفِ مَا يُمكّنُه مِن العَيشِ، ومِن أداءِ رسالَتِه في هذهِ الحيَاةِ .. لَا يُوجدُ مخلوقٌ قَد خُلِق عَبَثاً، لَا يَعرفُ طعَامَهُ، وشَرابَهُ، ومَأوَاه، ولَا الغَايَةَ التي وُجِدَ لأجلِها .. تَأمَّلُوا المخلُوقات السَّماويَّة، مِن نجومٍ، وكواكِب، ومجرَّاتٍ .. كلٌّ له وظيفَتُه التي خُلِقَ لها، وكُلٌّ يمشي في السكَّةِ التي رُسِمَت له، مِن دُون أدنَى خلَلٍ أو انحرافٍ .. وانظرُوا إلى الإنسانِ، والخصَائصِ العَجيبَةِ، البَاطِنَةِ منها والظاهِرَة، التي أودَعَها اللهُ فيه، والطَّريقَةِ التي يُولدُ بها، والأطوار التي يمرُّ بها .. ثم تأمَّلُوا المخلُوقات الأرضيَّةِ مِن جِبالٍ، وسُهولٍ، وبحارٍ، ومحيطَات، وحيوانَات، ونبَاتات .. تجدُون منتَهى الإعجَازِ، والدقَّةِ، والإتقَانِ .. أفلَا يَدلُّ ذلك على الخَالِقِ القَدِيرِ، وأنه الإلهُ الذي يجبُ أن يُفرَدَ بالتَّألُّهِ والعِبَادَةِ؟!

* * * * *

## مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا

526- [ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ]النمل:89. كلُّ تجارَةٍ في الدُّنيَا تحتَمِلُ الربحَ والخسَارَةَ، وتحتملُ البَوارَ .. إلَّا التِّجَارةُ مع اللهِ، فهي تجارةٌ رابحةٌ لَا خَسَارَةَ فِيها البَتَّة .. الربحُ الوافرُ فِيها مَضمُونٌ ومؤكَّد لَا رَيبَ فِيه .. فالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أمثَالِها، إلى سبعمائةِ

ضِعفٍ .. واللهُ يُضاعِفُ ويَزيد في العَطاءِ لمن يَشَاء .. فأينَ التُّجَّارُ، وأينَ العَامِلُون .. وفي الحديثِ:" كلُّ عملِ ابنِ آدمَ يضَاعَفُ لَهُ الحسنةُ بعشرِ أمثَالِها إلى سَبعِمائةِ ضِعفٍ، قالَ اللَّهُ سبحانَهُ إلَّا الصَّومَ فإنَّهُ لي وأَنا أجزي بِهِ ". فحسنَةُ الصومِ تُرِكَت مِن غيرِ تحديدٍ لكرمِ وجُودِ اللهِ .. ولك أن تتصوَّر حسَنَةً تُترَك لكرَمِ وجُودِ الخالِقِ سُبحانَه، كم سيُضَاعفُها اللهُ .. مهمَا بالَغْتَ، وزِدتَ في الرَّقمِ .. فاللهُ أكثَرُ!

* * * * *

## وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ

527- [ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ]النمل:91. هو خَالِقُ ومالِكُ كُل شيءٍ، له مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، وما بينهُمَا، ومَا فِيهِنَّ .. خَالقُ ومالِكُ الملائكَةِ، والجنِّ، والإنسِ، والجنَّةِ ومَا أعَدَّ فِيها للمؤمنِين، والنارُ ومَا أعدَّ فيها للكافِرِين .. فكلُّ شيءٍ مخلوقٌ ومملوكٌ له سُبحانه .. ليسَ له نِدٌّ، ولَا شَريكٌ في الخلَقِ والمُلْكِ، ولَا في الحُكمِ، والأمْرِ .. وكُلُّ شيءٍ سِوَاه ـ على الحقيقَةِ ـ لَا يملكُ شَيئاً .. فأيُّهما أَوْلَى بالسؤالِ، وبالتَّعلُّقِ، وبالرجَاءِ، والخشْيَةِ، والدُّعاءِ، مَن يملِكُ كلَّ شيءٍ، أمَّن لا يملكُ شَيئاً ...؟!

* * * * *

وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ

528- [ وَنُرِيدُ ]؛ الذي يُريدُ هو اللهُ .. هو السَّيِّدُ .. هو المَلِكُ؛ الذي له المُلْكُ كُله .. ولهُ الأمرُ كُله .. واللهُ تعالى إذا أرادَ شيئاً يَقُولُ له كُنْ فيَكُون .. ليس بينه وبين ما يُريد في خَلقِه سِوَى حَرْفَي " كُنْ "؛ فيكُون بإذنِ اللهِ .. لَا رادَّ، ولَا مُعقِّبَ لأمرِهِ، وإرادَتِه، [ أَن نَّمُنَّ ]؛ أن نتفضَّلَ، ونُنعِمَ، ونُحسِنَ .. فالفَضلُ فضْلُه، والإنعامُ إنعَامُه، والإحسانُ إحسانُه، [ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ]؛ هم ضُعفَاءُ وليسُوا أقوياء؛ ليَستَشْعِرُوا مِنَّةَ وفضلَ اللهِ عليهم، وأنَّ ما أصَابَهم مِن فضْلٍ، ونَصْرٍ، وتمكِينٍ إنما هو محْضُ فضلٍ مِن اللهِ، وليسَ بسببِ قوَّتِهم، وعزَماتِهم، [ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ]؛ ونجعلهُم ـ بعدَ ضَعفٍ ـ أقوياءَ، وحُكَّاماً، وولاةً، [ وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ]؛ للأقوياءِ الظالمين مِن قَبلِهم الذين طَغوا، وأفسَدُوا، وتجبَّرُوا .. وليعلمَ الأقوياءُ الظَّالمون أن قوَّتَهم لَا تمنَعهُم مِن أمرِ اللهِ إذا جاءَ، [ وَنُمَكِّنَ ]؛ للمستضعَفِين المؤمنِين، [ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ]؛ الحكمَ في الأرضِ؛ لنرَى ماذَا سيَفعلُون؛ وهل سيَشكرُون أم سيكفرُون النِّعمَةَ والفَضلَ، ويَردُّون النَّصرَ والتمكينَ لعزَماتِهم مِن دُونِ اللهِ، [ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا ]؛ الطاغيةُ الحاكِمُ، ووزَرَاؤه، وجنُودُه، كلهم آثمون وظالمون، ومجرمُون، في الوِزْرِ سَواء، سيُحاسَبون، لا يُعذرُ فريقٌ مِنهم .. فالطَّاغيةُ لم يَكنْ طاغيةً إلا بوزَرائِه، وجنُودِه، وأعوانِه، [ مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ]القصص:5-6. ما كانوا يحذَرُون ويتوقَّعُون من المستضعَفِين، مع شيءٍ من الاستخفافِ، والإذلالِ، والاحتقارِ للمستضعَفِين .. ليعلمَ الطُّغاةُ الظَّالمون أن مشيئةَ الله تَعالى نافِذةٌ في خَلْقِه، وأن حذَرَهم، واعتِقالَهم، وقَتلَهم، وإذلالهم للمستضعَفِين، وتتبعَهم لحركاتِهم، لا يمنعُ عنهم أمرَ اللهِ إذا جَاء!

* * * * *

## إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ

529- [ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ]القصص:8. الجميعُ شُركاء في الوِزْرِ، الطَّاغُوت، ووزرَاؤه، وجنُودُه .. الطَّاغيةُ يَأمرُ، والوزَراءُ يُقدِّمُون للطاغِيةِ المشورَةَ والرَّأي، والجنُودُ يُنفِّذُون الأوامرَ، والأحكامَ الصَّادِرَةِ عن الطاغيةِ .. فهم الأدَاةُ التَّنفيذيَّة، واليدُ الباطِشَة والضَّارِبة للطاغِيةِ .. بهم يَبطشُ، ويَظلمُ مَن تحتَ حُكمِه من النَّاسِ .. ولولاهُم لما كان للطاغيَةِ كلمة تُسمَع، أو تُنفَّذ .. وبالتالي فهُم شُركَاءُ في الظُّلمِ، والوزْرِ .. وتَطَالُهم المسؤوليَّةُ والمحاسَبةُ كما تَطالُ الطَّاغِيةَ ذَاته .. ولا عُذْرَ لهم لو اعتذَرُوا لأنفُسِهم بالحاجَةِ، وأنَّهم يتجنَّدُون لخدمَةِ الطاغُوت من أجلِ المالِ، ولُقمَةِ العَيْشِ .. فما كانَت لقمَةُ العيشِ يوماً مُبرراً شَرعيَّاً، أو عقلياً، أو أخلاقِيَّاً للوقوعِ في الكُفْرِ، وارتكَابِ الموبِقَاتِ، وظُلمِ النَّاس ...!

* * * * *

## وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً

530- [ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً ]القصص:10. مِن كُلِّ شَيءٍ، ومِن كلِّ تَفكيرٍ، أو تَعلُّقٍ، أو هَمٍّ يُشغِلُها عن التَّفكيرِ بمصيرِ وليدِها الرَّضِيع، والحبيب موسَى، بعدَ أن ألقَته في اليمِّ، وبَعدَ أن التَقَطَه أعوانُ، وجندُ فرعون .. وأدخَلُوه إلى قَصرِ الطاغيَةِ فرعون الذي أصدَرَ أمْرَاً بقتلِ جميعِ أطفالِ بني إسرَائِيل .. ليسَ في قَلبِها مُتَّسَعٌ لِهَمٍّ سِوَى هَمّ واحِدٍ فَقَط، وهو مَعرفَةُ مَصيرِ وسَلامَةِ وليدِها الحبِيب، والرَّضِيع مُوسَى .. يَا لَه من اختِبارٍ عَظِيم، وفَرِيدٍ، لم يَقْوَ عليه أحَدٌ إلَّا امرأةٌ واحِدَةٌ فقَط .. ولم يُجرَ على أحَدٍ من البشريَّةِ كلها إلَّا على امرأةٍ واحدَةٍ فقَط، وهي أُمّ موسَى المؤمنَةِ الصَّابرَةِ!

* * * * *

## قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ

531- [ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ]القصص:17. مِن شُكْرِ النِّعَم التي يمنُّ اللهُ بها عليك .. أنْ تكونَ عَوْنَاً للحقِّ وأهْلِه .. وأن لا تكونَ عَوناً ونَصِيراً للطغاةِ الآثِمين المجرِمين .. ولا عَامِلاً عِنْدَهُم!

يُعرَفُ المرْءُ مِن اصْطِفَافَاتِه؛ هل اصْطَفَّ في طَابُورِ وزُمْرَةِ الطُّغَاةِ المجرِمين .. أَمِ اصْطَفَّ في طَابُورِ وزُمْرَةِ المؤمنين الصَّالِحين؟!

532- [ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ]؛ مِن نِعَمٍ كَثيرةٍ لا تُحْصَى، أعظَمُها نِعْمَةُ الهِدَايَةِ والإيمانِ .. [ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ]القصص:17. أتمِمْ نِعَمَكَ عليَّ، واعصمْنِي مِن أن أكونَ نَصِيراً ومُعِيناً للظَّالمين المجرمين؛ أُجَادِلُ وأُنَاغِفُ عنْهم، وعَن ظُلمِهم .. فتَنْسَلِخُ عنِّي النِّعَمُ، وأنْسَلِخُ عَنها .. مِن أكبَرِ العوَامِلِ في إزَالةِ النِّعَمِ عن صاحبِها، نصرَةُ الظَّالمين، والجِدَالُ عنهم، وعن ظُلمِهم!

533- [ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ]القصص:17. مِن شُكْرِ النِّعَم التي يمنُّ اللهُ بها عليك .. والتي مِنها نعمةُ القوَّةِ في العِلم، والبدَنِ، والمالِ .. أن تستخدمَ هذه النِّعَم في طاعةِ اللهِ، ونصرةِ الحقِّ وأهلِه .. وأن لا تكون عونَاً ونَصيراً للمجرمِين الظالمِين على جرائمِهم، وظُلمِهم.

* * * * *

## رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ

534- [ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ]القصص:24. لَمْ يَقُلْ رَبِّي إِنِّي فَقِيرٌ .. فهَذا لا يَلِيقُ بأدَبِ النُّبُوَّةِ .. وإنَّما سَألَ سُؤالَ المُقِرِّ بفضلِ اللهِ عليه، وبخيرِه الجَزِيلِ الذي لَمْ يَنْقَطِعْ عنهُ .. والشَّاكِرِ لَه .. وأنَّه في سَاعَتِه ـ وقد بَلَغَ به الجهْدُ والجُوعُ مَبْلَغَه ـ التي توجَّهَ فِيها بالدُّعَاءِ، فقير لبَعْضِ الخَيرِ الذي كانَ الرَّبُّ سُبحَانَهُ يخصُّهُ بِه، ويُيَسِّرُهُ لَه، وهَذا مِن عَظِيمِ أدَبِ النُّبُوَّةِ .. وعَظِيمِ أدَبِ السُّؤالِ .. قالَ ابنُ عَبَّاس: " كان يَومَئذٍ ـ أي موسى عليه السلام ـ فَقِيراً إلى شِقِّ تَمْرَةٍ "!

* * * * *

## إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ

535- [ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ]القصص:37. لا في الدُّنيا ولا في الآخِرَةِ .. فالظالمُ مهمَا عَلَا واستكبَرَ .. وانتفَشَ .. وتَزيَّن له الظُّلمُ .. مآلُه إلى أفولٍ، وزَوالٍ ذَلِيلٍ .. لا يَدومُ مُلْكٌ، ولا جَاهٌ مع الظُّلمِ .. فالظلمُ هَادِمُ وهازِمُ الدُّولِ والممَالِكِ .. وقَد جَرَت سنَّةُ اللهِ تعالى في كثيرٍ مِن الظالمين؛ أن يَضربَ الظالمين بالظالمين .. وأن يُسَلِّطَ الظالمين على الظالمين.

* * * * *

## وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي

536- [ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ]القصص:38. أي مَا عَلِمْتُ لكُمْ مِن مَعْبُودٍ، ومُطَاعٍ تَرجِعُون إليهِ فِيما يأمرُ بِه، ويَنْهَى عَنهُ، غَيْرِي ..

فأنا المُطاعُ، وغَيري يُطاعُ لِذَاتي .. وهَذا لِسَانُ حَالِ جميعِ طوَاغيتِ الأرضِ على مَرِّ التَّاريخ!

* * * * *

فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ

537- [ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ ]؛ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولحملَةِ رسالتِه مِن العلماءِ العامِلين مِن بَعدِه .. فيؤمنون ويُسلمون، [ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ ]القصص:50. المانعُ الصادُّ لهم عن الإيمانِ، والدخُولِ في الإسلامِ .. ليس لما لديهم من العِلم، ولا لأنَّهم يملكُون الحجَج والبراهينَ التي بها يردُّونَ ما تدعُوهم إليه .. ليسَ شيئاً من ذلك .. إنما فقط الأهواءُ، والرَّغباتُ، والنَّزَوات، والشَّهوات .. والحرصُ عليها، والخوفُ مِن تقييدِها، أو فوات شيءٍ منها .. هي التي تصدُّهم عن الإيمانِ، والمتَابعَةِ، والدُّخولِ في دينِ الله .. وهي التي تميلُ بهم عن الحقِّ إلى الباطِلِ .. ومَن كان كذلك مهمَا جادَلتَهم، وعَرَضتَ عليهم مِن الحجَجِ والبراهِين والآياتِ البَاهِرات فلن يتَّبعُوك؛ لأنَّ مشكلتَهم ليسَت مِن جهةِ الرغبةِ الصَّادقَةِ في البحثِ عن العِلمِ، والحجَجِ، والبراهِين، وعن الحقائِق .. فمن كانت مشكلتُه ـ التي تحول بينَه وبين الإيمانِ ـ مِن هذا الجانِب وحَسْب، يهونُ أمرُه؛ فهذا ما إن يَسمعَ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم، وبدعوتِه، وبالقرآنِ الذي أُنزِلَ عليه إلا ويؤمِنُ، وينصاعُ ـ راغباً راضياً ـ للحقِّ.

* * * * *

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ

538- [ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ]القصص:50. يُريدُ ديناً على مَقَاسِه، يُوافِقُ رَغبَاتِه، وميولاتِه .. يَسيرُ معه حيثُمَا سَارَ، ويُوافِقُهُ فِيما يختَارُ .. ينتَقِي

مِنه ما يُوافِقُ رَغَباتِه وميولاتِه، ويَردُّ مِنه ما يخالِفُ .. فرَغباتُه هي الحَكَمُ على الدِّينِ وأحكامِه .. وهي المقياسُ في تحديدِ ما هو حَقٌّ، وما هو باطِلٌ .. وما هو حَلالٌ، وما هو حَرامٌ .. فهذا قَد ضَلَّ ضَلالاً بَعيداً .. لا أحَدَ أضلَّ مِنه عن الحقِّ، والصِّراطِ المستقِيم.

* * * * *

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ

539- [ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ]القصص:56. ليسَ بمقدُورِ الأنبياءِ والمرسَلين، وورثتِهم من العُلماءِ العامِلين هِدايَةَ أحَدٍ مِن الناسِ؛ هِدايَةَ تَوفِيقٍ .. مهمَا أحبُّوا له الهِدايَةَ، وأرادُوها له .. فهذا لا يَملِكُونَه، ولا يَقْدِرُون عليه، وإنَّما يملكونَ أن يَهدُوا الناسَ؛ هِدايةَ دَلالَةٍ إلى الحقِّ، وإلى الصراطِ المستقيم .. أمَّا هِدايَةُ التَّوفِيق لا يَقدِرُ عليها إلا اللهُ سُبحانه وتعالى .. أحيَاناً تجدُ إنساناً تكفيه كلمَاتٌ قَليلَةٌ .. ووسَائِلُ بَسيطةٌ وقَليلَةٌ ليُصبحَ مُسلماً ومؤمناً .. ويُشهر إسلامَه .. وأحيَاناً تجد إنسَاناً تبذلُ له كُلَّ جهدكَ وجهدَ مَن حَولكَ من العُلماءِ، وتُقدِّمُ له كثيراً من الوسَائلِ التي تُسهِّل عليه الهِدايَةَ .. إلا أنَّه لا يَهتَدِي .. ويظلُّ مُعَانداً مُكابراً .. لتعْلم أنَّ الهادِي ـ هداية تَوفيق ـ هو اللهُ تعالى وحدَه.

540- [ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ]القصص:56. أحياناً تحبُّ هدايةَ إنسانٍ قَريبٍ أو صَديقٍ، وتحرصُ على هِدايتِه .. وتُرغِّبُه بالهِدايةِ .. وتسوقُ له الأدلَّةَ النقليَّة والعقْليَّة، التي تساعِدُه على الهِدايةِ، وتحقِّقُ عندَه العِلمَ، وتَدفعُ عنه الجهلَ .. فيُقَابِل جُهودَك وحرصَكَ بالصدِّ والإدْبارِ، والاستهتَارِ .. فتُصَابُ بشيءٍ من الإحباطِ والحزنِ .. هنَا، وفي هذه اللحظةِ أنتَ معنيٌّ مِن خِطابِ اللهِ تعالى:[ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ]؛ فهدايةُ التوفيقِ ليسَت لك، ولا لغيرِك

.. فإنَّك لن تَقدرَ على أن تهدي أحَداً هِدايَة توفيق، وإنما مهمَّتك تقتَصرُ على هِدايةِ البيانِ والدَّلالةِ على الحقِّ، لا غَير، ثم تفوضُ أمرَ هِدايَةَ مَن تُحب إلى اللهِ تعالى، [ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ]؛ فالذي يَهدي هِدايَةَ تَوفيقٍ، ويَقْدرُ على أنْ يهدي الناسَ هِدايَةَ تَوفيقٍ هو اللهُ تعالى وحده، فمنه تُطلَب الهدايةُ، والثباتُ على الهِدايَةِ، [ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ]؛ بمن يُريدُ الهدايةَ، ويحرصُ عليها، ويَسعَى لها سَعْيَها؛ فهذا اللهُ تعالى يُسَهِّلُ له الهدايةَ إلى الحقِّ، ويجعله من المهتَدِين .. وهو أعلمُ بالمعانِدين المتكبرين .. فهؤلاء لا يَهديهم اللهُ تعالى، ولا يُسَهِّلُ عليهم أمرَ الهِدايةِ، ولو بُذِلَت لهم جميعُ وسَائل الهِدَاية.

* * * * *

## وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا

541- [ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ]القصص:58. كم تُفيدُ التَّكثيرِ؛ أي هي كثيرةٌ تلكَ المدُن التي تمَّ إهلاكُها، ودمَارُهَا، وخرابُها، بسببِ أنَّ النِّعَم التي منَّ اللهُ بها عليهم، بَدلاً مِن أن تحملَ أهلهَا على شُكْرِ الله .. حملتهم على الطُّغيانِ، والأشَرِ، والتَّعَالي، والغُرورِ، والتَّفَاخُرِ، والإسْرافِ، والتَّبذِيرِ .. فَكَفَرُوا النِّعْمَةِ .. فكانَ ذلك سَبَباً في زَوالِ النِّعمةِ عنهم .. واستبدَالِ النِّعمَةِ بنَقْمَةٍ .. لو تَّعظُون مِنْها!

النِّعمةُ تبْقَى، وتَزيدُ، مَا شَكَرْتها، ولم تَكْفُرْهَا .. فإذا كفَرْتَها، فقَد آذَنَت بالرَّحِيل!

* * * * *

## أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ

542- [ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ ]؛ على إيمانِه، وطاعَتِه للهِ، ولرسولِه صلى الله عليه وسلم، [ وَعْداً حَسَناً ]؛ بأن نُدخِلَه الجنَّةَ، جزاءً لإيمانِه وطاعَتِه، [ فَهُوَ لَاقِيهِ ]؛ فهو مُلاقِيه

وواجِدُهُ يومَ القِيامَةِ حَتماً، ويَقِيناً؛ لأنه لَا أَحَدَ أَوفَى عَهداً مِن اللهِ، ولَا أحَدَ أقدَرُ على أن يَفي بما وعَد مِن اللهِ، [ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ]؛ كَمَن غرَّته الحياةُ الدُّنيا؛ فانشَغَل بها، وبمتَاعِها، عن طَاعَةِ اللهِ تعالى، وطاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. وآثَرَ الكُفرَ على الإيمانِ، [ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ]القصص:61. فيُؤتَى به يومَ القِيامَة؛ ليَشهَد حِسابَه، وعذَابَه .. فتعلُوه الحسَراتُ، ويعلُوه النَّدَمُ على مَا قَدَّمَ، وفرَّطَ بحقِّ نَفسِه، ولَاتَ حِين مندَم .. هَل يَستويَان؟ كَلَّا؛ لَا يَستويَان مَثَلاً .. ولَا مآلاً!

* * * * *

## وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ

543- [ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ]القصص:62. يوم القِيامَة .. يوم تكونُ الشمسُ دانيةً من الرؤوسِ .. وجهنم يُسمَعُ لها زَفيرٌ وشَهيق .. في هذا اليوم الذي يكونُ فيه الملك كله للهِ .. والناسُ مجرَّدُون من كل شيءٍ .. والقلُوبُ قد بلغَت الحناجر مِن شدَّةِ الخوفِ، والرَّهْبَةِ .. يُنادِي اللهُ تعالى المشركين على وجْهِ التَّقْريع، والتَّوبيخ، والتهديدِ، والوعيدِ .. ليزيدَهم حَسرةً وندامَةً .. أين الذين كنتم تُشركُونَهم معيَ في العبادَةِ، والطَّاعةِ، فتعبدُونهم، وتطيعونَهم في التَّحليلِ والتَّحريمِ مِن دُوني .. وتَزعمون أنَّهم آلهةً من دُونِ الله .. فليخرجُوا الآن إن كنتم صَادقين فيما كنتم تَنسبُون إليهم من الألوهيَّةِ والربوبيَّةِ .. هل يَقدرُون أن يَنفعوكُم في شيءٍ، أو أن يدفَعُوا عنكم شيئاً مِن العَذَاب ...؟!

* * * * *

## وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

544- [ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ]؛ من المخلُوقاتِ الإنسيَّةِ، والجنيَّةِ، والكونيَّةِ، والأرضيَّةِ، وعلى الصُّورةِ التي يُريدها ويختارُها، لا رَادَّ، ولا مانعَ لمشيئتِه الماضيةِ في خَلْقِه شَيءٍ، [ وَيَخْتَارُ ]؛ ويَصطَفِي مَن يَشاءُ مِن عِبادِه؛ أنبياءَ، وأولياءَ، وصِدّيقين، وشُهداءَ .. ويَصطفيهم لما يَشاءُ مِن المهَامِ، والأعمالِ، والطَّاعاتِ، [ مَا كَانَ لَهُمُ ]؛ للشركاءِ، والأندادِ، والأصنامِ الذين يُعبَدُون مِن دُونِ اللهِ، [ الْخِيَرَةُ ]؛ أن يختارُوا شَيئاً معَ خِيرةِ اللهِ .. فَلا شراكَةَ ولا رَأيَ لهم فِيما يختارُه اللهُ ويُريدُه أن يكونَ في الوجُودِ .. كما أنَّهم لا يملكُون حقَّ الاختيارِ، والاصطفَاءِ، والتزكيَةِ لغيرِهم، فاختيارُهم ـ لو فعلُوا ـ لا قيمةَ ولا وزنَ له في ميزان الحقِّ، والحقيقَةِ، فلو قَالُوا عن كذَّابٍ دَجَّالٍ بأنَّه نبيٌّ .. أو عن فاجرٍ كافرٍ بأنَّه وليٌّ .. لا قِيمةَ ولا حقيقَةَ لاختيارِهم ولشهادَتِهم، فهم على الحقيقَةِ يختارُون طواغِيت يُعبَدُونهم مِن دونِ اللهِ، [ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ]القصص:68. تنزَّه اللهُ وتَعَالى عمَّا يفعلُه المشركُون مِن شِركٍ، وعندما يتوجَّهون بالعبادَةِ لمن لا يَستحقُّ العِبادَة، ولا يملكُ أن يخلقَ، ولا أن يختَارَ .. ويُعرضُون عن عبادَةِ وتوحيدِ مَن بيدِه الخلْق، والأمْر، والخِيرَة.

* * * * *

## إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ

545- [ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ]القصص:76. لَا تَفْرَحْ فرَحَ البَطَرِ والتَّعَالِي الذي يُنْسِيكَ فضْلَ اللهِ عليك .. ويُنْسِيكَ ما للفقراءِ والمسَاكِين مِن حَقٍّ فيمَا رزَقَك الله .. فاللهُ تعَالى لَا يحبُّ مَن كان فرَحُه مَبْعَثه البَطَر، والكِبْر، والتَّعَالي على الحقِّ، والخلْق!

* * * * *

## وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ

546- [ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ]القصص:77. اطلُب رِضَا اللهِ، وثوابَ الآخِرَةِ في استعمالِ مَا آتَاكَ اللهُ مِن المالِ، والعِلمِ، والمُلْكِ، والقُوَّةِ في طاعَةِ اللهِ، وطَاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم.

547- [ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ]القصص:77. ولَا تَنسَ فِيما خصَّك اللهُ به مِن نِعَمِ الدُّنْيَا أن تَعملَ بها لآخِرتِك .. فَلا تُشغِلُك النِّعمَةُ عن المُنعِم المتفَضِّلِ، ولا عَن أدَاءِ حقُوقِها .. فلكلِّ نِعمَةٍ عليك حقًّا.

548- [ وَأَحْسِن ]؛ إلى عبادِ اللهِ مِن ذَوي الحاجَةِ بما استخْلَفَك اللهُ عليه مِن عِلمٍ، ومَالٍ، وقُوَّةٍ، [ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ]القصص:77. بالنِّعَمِ العديدَةِ والوافِرَةِ .. وإحسَانُك إلى عِبادِ اللهِ يَزيدُ مِن إحسَانِ اللهِ إليك.

549- [ وَلَا تَبْغِ ]؛ ولَا تَطلُب فِيما آتَاكَ اللهُ مِن المالِ، والقوَّةِ، والعِلمِ، [ الْفَسَادَ ]؛ الضَّرَرَ والخرَابَ، [ فِي الْأَرْضِ ]؛ بأن تعمَلَ بما آتاكَ اللهُ إياه مِن الخيرِ، والنِّعَمِ، بخلافِ أمرِ اللهِ ونَهجِه، [ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ]القصص:77. الذين يخالِفُون نهجَ اللهِ، ويَعملُون بالمعَاصِي، ويُفسِدُون على الناسِ دِينَهم، ومعَاشَهم، وحيَاتهم!

* * * * *

## وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ

550- [ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ]القصص:77.
يُرادُ بالفسَادِ معنيان: فسَادٌ في الصُّورَةِ، والبيئة، وفسَادٌ في المعنَى؛ الذي يَشملُ الفسَادَ في القِيَمِ، والمبادِئ، والأخلاقِ، والسُّلُوك .. فكِلَا المعنيَين للفسَادِ لا يحبُّهما الله تعالى، والنَّهي يَشملهما معَاً .. وأَوْلَى النَّاسِ بالاستخلافِ في الأرضِ هم الذين يجتنبون الفسادَ بنوعَيه الآنِفَي الذِّكْر، وأكثرهم حرصاً على جمَالِ الأرضِ، وعلى إعمارِهَا بالجمَالِ؛ جمَالُ الصُّورَةِ، والمعَانِي معَاً .. فاللهُ تعالى جميلٌ، يُحِبُّ الجمالَ، وقد خَلَقَ الأرضَ جميلةً، واستخلَفَ الإنسانَ فيها ليزيدَها جمَالاً، ويَعمرها بالجمَالِ.

* * * * *

## قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي

551- [ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي ]القصص:78. كُلُّ مَن يَردُّ إنجَازَاتِه ـ أيَّاً كانَ نَوعُها ـ للأَسْبابِ مِن دُونِ اللهِ، فهو على مَذْهَبِ وقَولِ الكَافِرِ قَارُون!

* * * * *

## ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً

552- لِسَانُ حَالِ المفتونين بالدُّنيا، يقول ـ وعَبْرَ كُلِّ زمَانٍ ـ:[ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ]القصص:79. بينما لِسانُ حالِ المؤمنين، الذين أُوتُوا العِلْمَ، يقول ـ وعبرَ كلِّ زمَانٍ ـ:[ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ]القصص:80.

* * * * *

## تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ

553- [ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ ]؛ تعَالِياً على الخَلْقِ، [ وَلَا فَسَاداً ]القصص:83. ولَا رَدّاً للحقِّ.

* * * * *

## فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ

554- [ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً ]؛ مُعِيناً، ونَاصِراً، ولو بِشَطْرِ كلمَةٍ، [ لِّلْكَافِرِينَ ]القصص:86. على كُفْرِهِم، وظُلمِهم، وباطلِهم .. فتكون بذلك عَوناً لهم على الحقِّ وأهْلِه .. وهَذا نهيٌ يَقتَضِي ضِدَّه، أي لَا يكفي أن لا تكونَ مُعيناً، ونَاصِراً لهم .. فتأخذ موقفَ الحِيادِ السَّلبي .. لَا، بَلْ عليك أيضاً أن تخالفَهم، وتُفاصلَهم، وتُباينَهم .. وأن تكونَ ظَهيراً للحقِّ وأهلِه .. فَلا يَستقيمُ براءٌ مِن الكافِرين الظَّالمين مِن غَيرِ ولاءٍ للمؤمنين.

* * * * *

## وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ

555- [ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ ]؛ لَا تعبُدْ معَ الله إلهاً آخَر، فعبادَتُك للهِ لا تُبررُ لك أن تعبدَ آلهةً أُخْرَى، ولا تَشفَّع لك .. فعبادَةُ اللهِ تعالى وعبادَةُ غيرِه ـ بأيِّ وجهٍ من أوجهِ العِبادَة ـ لا يجتمعَان أبَداً .. فاللهُ تَعالى لَا يَقبلُ عمَلاً أُشرِكَ معَه غيرُه، وهو أغنَى الشُّركاءِ عن الشركِ، [ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ]؛ لَا مَألُوه، ولَا مَعبُود على الحقيقةِ، وبحقّ، إلا اللهُ، [ كُلُّ شَيْءٍ ]؛ عامٌّ وشَاملٌ لكلِّ شيءٍ في الوجُود، [ هَالِكٌ ]؛ ميتٌ وزَائلٌ، ومَن كان مصيرُه إلى الهلاكِ والفنَاءِ لَا يَصحُّ، ولا يجوزُ أن تتخذوه إلهاً، ومَعبُوداً، [ إِلَّا ]؛ أداةُ استثناءٍ تُفيدُ الحصْرَ والقَصْرَ، [ وَجْهَهُ ]؛ إلَّا اللهُ، فإنه الحيُّ القيوم الذي لا

يموت، ومَن كان كذلك هو الذي يجبُ أن تتوجَّهُوا إليه بالعبادَةِ، لا أحَداً سواه، [ لَهُ الْحُكْمُ ]؛ فقضَاؤُه وحده في الوجُودِ كلِّه هو النَّافذُ، فما شَاءَ كان، ومَا لم يشَأ لم يكُنْ .. فمن رَضي فله الرِّضَا، ومَن سخطَ فعليه سخطُه،[ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ]القصص:88. وإليه تُبعثُون من قبورِكم، وتَرجعُون بعد الموتِ .. ليُجَازي كلَّ واحدٍ من عبادِه بما كان مِنه مِن عَمَل.

* * * * *

556- ..... يتبع إن شاء الله.

www.abubaseer.bizland.com

www.tartosi.blogspot.com

altartousi1@gmail.com